



۳۵۶ /

قبسات

من حياة وسيرة

شهيد الحراب

آية الله المجاهد السيد محمد باقر الحكيم

تأليف

السيد منذر الحكيم

حکیم، منذر
قیسات من حیاة و سیره : شهید المحراب آیه الله المجاهد السيد محمد باقر الحكيم / المؤلف
مذکر الحکیم - تهران: المجمع العالمی للتقريب بين المذاهب الإسلامية، المعاونة الثقافية،
١٣٢٥ق-٢٠٠٣م-١٣٨٣.
ص ٢٢١

ISBN: 964 - 7994 - 57 - 5 ریال ٢١٠٠٠

فهرست نویسی بر اساس اطلاعات فیبا.

عربی.

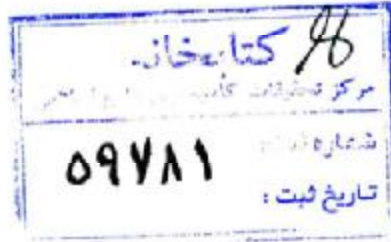
کتابنامه: به صورت زیر نویس.

١. حکیم، محمد باقر. ١٩٣٩ - ٢٠٠٣ م. -- سرگذشتنامه. ٢. مجتهدان و علما -- سرگذشتنامه.
الف. مجمع جهانی تقریب مذاهب اسلامی. معاونت فرهنگی. ب. عنوان. ج. عنوان: شهید
المحراب آیه الله المجاهد السيد محمد باقر الحكيم.
٢٩٧/٩٩٨ BP ٥٥/٣/ ج ٨ ح ٨

١٣٨٢

٩٧٩١ - ٨٣ م

کتابخانه ملی ایران



المجمع العالمی للتقريب بين المذاهب الإسلامية

اسم الكتاب:	قیسات من حیاة و سیره شهید المحراب آیه الله المجاهد السيد محمد باقر الحكيم
المؤلف:	السید منذر الحکیم
الناشر:	المجمع العالمی للتقريب بين المذاهب الإسلامية - المعاونة الثقافية
الطبعة:	الاولی - ١٤٢٥ هـ - ق ٢٠٠٤ م
الکمية:	٢٠٠٠ نسخة
السعر:	٢١٠٠ تومان
الطبعة:	حاتم
ردمک:	ISBN: 964 - 7994 - 57 - 5 ٩٦٤ - ٧٩٩٤ - ٥٧ - ٥
العنوان:	الجمهورية الإسلامية في ایران - طهران - ص. ب: ٦٩٩٥ - ١٥٨٧٥ تلفکس: ٠٠٩٨ - ٢١ - ٨٨٢٢٥٣٢

جميع الحقوق محفوظة للناشر

كلمة المجمع

إنّ الكلام عن شهيد المحراب آية الله المجاهد السيد محمدباقر الحكيم يقودنا الى الحديث عن مؤسس المدرسة الاسلامية التي نشأ في ظلها هذا الشهيد المظلوم.

لقد كان الشهيد السعيد آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر مؤسس مدرسة تنجذب إليها العقول المفتوحة والقلوب المتطلّعة الى المستقبل المشرق والمتحرّرة من براثن الماضي المنغلق على نفسه، والآبي عن التطور والتحديث.

إنّ هذه الشخصية العملاقة في ما جمعته من خصائص تجلت في الفكر والمنهج والعمق والأصالة والشمول والتحديث والابداع، استطاعت خلال عدة عقود من العمل الدؤوب أن تستقطب جمعاً معدوداً بالأصابع من الشخصيات العلمية المتميزة في حوزة النجف الأشرف وترفع بها الى جبل شاهق من العلم والفكر، بحيث صنعت منهم مدرسة متميزة في ظرفها ومتلائمة ومشعة بالخير والبركة في الساحة الإسلامية العامة، فضلاً عن الساحة الإيمانية، التي ولدت فيها هذه المدرسة المباركة.

إنّ كل من استقطبته مدرسة الشهيد الصدر واستطاعت أن ترتفع به مما كان مألوفاً من مستوى فكري وعلمي، وصيرته كائناً فاعلاً في مسيرة الفكر الإسلامي المبدع، يعتبر بحق معتبراً عن هذه المدرسة المتميزة عما سواها في كل حواظر العالم الإسلامي، فضلاً عن العالم الشيعي الذي انبثقت فيه.

و حين نصنّف كتابات الشهيد الصدر فإنّما نصنّفها ضمن النتاجات الريادية بلاريب.

ومن يقرأ تراث الشهيد الصدر ثم يقرأ ما أنتجته يراع تلميذه المبدع وصاحبه البار الشهيد السعيد آية الله السيد محمد باقر الحكيم يلاحظ الطابع الصدري والنفس الابداعي واضحاً على كل نتاجاته المكتوبة بقلمه أو التي ألقاها إرتجالاً خلال عقود ثلاثة من العطاء المستمر.

وقد سار هذا الشهيد البار على خطى استاذة الذي خط بدمه لأتباعه طريق الاستشهاد في سبيل الله والتضحية بكل كيانه لمبدئه في أحلك الظروف وأظلمها، وحاول أن يكمل جملة من خطوات أستاذة العبقري فجاءت أبحاثه في الإمامة والسياسة والوحدة والقرآن الكريم وغيرها من المجالات الحيويّة ... لتحل في الموقع الريادي والمتميز الى جانب كتابات أستاذة الفذ قدس الله سرهما وحشرهما مع النبي وآله الأطهار.

ويعتبر الحجة آية الله السيد محمد باقر الحكيم من الرعيل الأول من تلامذة الشهيد السعيد آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر في دفع تيار الحركة الإسلامية باتجاه الأهداف الإسلامية العليا تنظيراً وبرمجة وحضوراً فاعلاً في الساحة الجهادية في كل أشواطها حتى حظي كأستاذة ببقاء ربّه شهيداً شاهداً بعد إقامته لصلاة الجمعة، في الحرم الحيدري الشريف في غرة رجب الحرام سنة ١٤٢٤ وذلك حين أرادت حوزة النجف الأشرف أن تتنفس هواء الحرية الطلق وفي زحمة الانتداب المرّ الذي فرضته أميركا المستكبرة وقوات التحالف المستعمرة تحت شعار التحرير من الاستبداد العقلي الذي قدّمت له كل أنواع الحماية والتسليح الكامل للقضاء على الجمهورية الإسلامية وإبادة الأحرار من الشعب العراقي المسلم طيلة ثلاثة عقود مظلمة جثى فيها

على صدر عراق الإسلام الأبيّ وجرّعه أشدّ أنواع الاستدلال والإرهاب .
 إنّ الشهيد السعيد السيد محمدباقر الحكيم يعتبر أوّل شهداء المحرّاب
 بعد انهيار النظام العفلقّي الكافر وقد حلّ في الموقع الريادي من هذا الخط
 الاستشهادي الذي سوف يحزّر العراق تحريراً كاملاً بإذن الله تعالى تحت
 راية ولي الله الأعظم الحجّة بن الحسن المهدي المنتظر أرواحنا له الفداء إن
 شاء الله تعالى، فإنه ولي النصر وهو الذي يتولّى الصالحين.

وإذ نقدّم هذا الكتاب الى الأمة الإسلامية بمناسبة السنوية الأولى
 لاستشهاد رئيس المجلس الأعلى للتقريب بين المذاهب الإسلامية فإنّما
 نقدّمه وفاءً منا لهذا الشهيد العظيم الذي كزّس كل وجوده من أجل انتصار
 الثورة الإسلامية المباركة في كل ساحاتها في عصر الإمام الخميني العظيم
 وفي ظل قيادته المثلّي وفي ظل رايته التي حملها من بعده تلميذه البار
 سماحة آية الله العظمى السيد علي الخامنئي (دام ظلّه)؛ فإنّ أقل ما يلزمنا من
 تكريمه وتعظيمه أن نقدّم هذه الصفحات من حياته المشرقة والقيسات من
 خطواته الرائدة في مجال الفكر ومجال العمل ومجال الجهاد والشهادة؛
 شاكرين لفضيلة الأستاذ الباحث السيد منذر الحكيم اهتمامه بإعداد هذا
 الكتاب وتصنيفه؛ آملين من المولى أن يأخذ بأيدينا الى ما يحب من النصر
 المؤزّر تحت راية وليّه الأعظم الى حيث الظهور التام للدين الحق ولو كره
 المشركون. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المعاونة الثقافية

للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

الإمام الخامنئي

يدين عملية تفجير موكب آية الله الشهيد السيد محمد باقر الحكيم

وجه قائد الثورة الإسلامية سماحة الإمام السيد علي الخامنئي بياناً بمناسبة استشهاد رئيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق ورئيس المجلس الأعلى للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية آية الله السيد محمد باقر الحكيم وجمع من المصلين في مدينة النجف الأشرف يوم الجمعة الأول من شهر رجب ١٤٢٤ هـ المصادف للثلاثين من آب ٢٠٠٣م في انفجار سيارة مفخخة بعد أداء صلاة الجمعة ولدى خروجه من مقام الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وبهذه المناسبة أثن سماحة الإمام القائد الشهيد الحكيم وأدان الجريمة الجبنة التي ارتكبت ضد هذا الشعب المسلم المظلوم، وفيما يلي نص البيان:

في الحرم الطاهر للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه آلاف التحية والسلام) تجرع آية الله السيد محمد باقر الحكيم ومعه العشرات من رجال العراق ونسائه المؤمنين الذين نهلوا من زلال ذكر وخشوع صلاة الجمعة، تجزّعوا رحيق الشهادة لينتقلوا في عروج الى حرّيم الأمن الإلهي. لقد كان الشهيد عالماً مجاهداً، كابد لسنين متمادية من أجل احقاق حقوق الشعب العراقي في جهاده ضد نظام صدام اللعين، وعقب سقوط نصب الشر والفساد، بادر متصدياً للاحتلال الأميركي والبريطاني كالسد الراسخ، شارعاً في مقاومته الصلبة تجاه مخططاتهم الخبيثة، معبئاً نفسه للاستشهاد على طريق هذا الجهاد العظيم والاتحاق بركب الشهداء من آل الحكيم العظام

وبقية شهداء العلم والفضيلة في العراق.

ان فاجعة (أمس) في النجف الأشرف وشهادة هذا السيد الجليل والعالم والمجاهد هي بلاشك تصب في خدمة أهداف أميركا والصهاينة. لقد كان الشهيد آية الله الحكيم يمثل بحق مظهراً لتطلعات شعب كان يرى أن دينه واستقلاله ومستقبل بلده في مهيب التهديد، وان دياره باتت تحت وطأة (جزمات) الاحتلال، وهو يريد الذود عن هويته الدينية والوطنية في مواجهة المعتدين.

وان شهادة هذا السيد الجليل لهي مصيبة مروعة للشعب العراقي ووثيقة أخرى على جرم المحتلين الذين فرضوا بوجودهم الانفلات الأمني والهرج والمرج على العراق.

ان على اعداء العراق المستقل والمسلم ان يعلموا بأنهم بهذه الشهادة المظلومة سوف لن يفتوا من عزم وصمود الشعب العراقي تجاه المخططات والنوايا الاستكبارية والصهيونية، ولا من ايمانهم ووفائهم لنهج الإسلام والقيادة الدينية، وعلى العكس ما ينشدونه سيكون أشد رسوخاً ان شاء الله.

اذكر الشعب العراقي المؤمن الغيور بأن السبيل الوحيد لرفعة الشعب وانقاذ البلاد من شر المخططات الاستكبارية والصهيونية الخطيرة هو في وحدة كلمتهم تحت راية الإسلام المشرفة، وانهم باستطاعتهم اليوم ومن خلال التمسك بهذا الجبل الالهي المتين ان يصنعوا مستقبلاً لبلدهم والأجيال القادمة يكون العراق فيه اسلامياً، ومستقبلاً، يتألق كالنجم الزاهر في دنيا الإسلام.

ان عظماء العراق ونخبه الدينية والسياسية، سوف يستطيعون من خلال

التمسك بالإسلام ووحدة الكلمة فقط من النوء بأعباء المسؤولية الجسيمة التي بعاتقهم في ظل هذه البرهة الحساسة، مع الرجاء لهم بروسوخ الأقدام والنجاح في ذلك.

إنني أعزي بهذا الفقد المصاب كافة أبناء الشعبين العراقي والإيراني والحوزة العلمية والمراجع الكرام والعلماء الأعلام في النجف وقم والمجلس الأعلى للشوره الإسلامية في العراق، ولا سيما الأسرة المعظمة والمنجبة لشهداء أسرة الحكيم، وبالأخص شقيقه المكرم حضرة السيد عبدالعزیز الحكيم والعائلة والأبناء المبجلين لشهيد المحراب هذا.

كما أعزي عوائل ضحايا هذا الحادث الأليم واطلب من الله العلي القدير الرحمة لهؤلاء الشهداء والشفاء للجرحى.

بيان المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية
حول استشهاد آية الله السيد محمد باقر الحكيم

إنا لله وإنا إليه راجعون

لقد كان لنباً استشهاد آية الله السيد محمد باقر الحكيم وقع الصاعقة على العالم الإسلامي والجوامع العلمية والجماهير المؤمنة وكل العاملين في سبيل تحقيق الوحدة الإسلامية.

وهكذا توجت السنوات الطوال من العمل الشاق لخدمة أهداف الأمة، ونشر العلوم الإسلامية، ومقارعة الطاغوت بما فيها من تضحيات جلّى، وجهود مضنية، وسجن وتبعيد وتشريد وتهم، توجت بالشهادة في يوم مقدس هو يوم الجمعة (مطلع رجب ١٤٢٤ هجرية) وبعد صلاة الجمعة، وعند مرقد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

ومرة أخرى يكشف الكفر العالمي وعملاؤه عن أقنعتهم ليؤكدوا أنهم لا يتورعون عن ارتكاب أية جريمة ومهما كانت النتائج وحشية في سبيل التنفيس عن حقدهم ضد الخيرين في الأرض، وتحقيق مآربهم الشريرة.

إن المستفيدين من مقتل هذه الشخصية المجاهدة هم كل قوى الشر من الاستكبار العالمي والصهيونية المعادية للإنسانية وفلول النظام البعثي الصدامي وباقي الخونة والعملاء المتنفذين في عالمنا الإسلامي.

ولكن خط الشهادة هو خطنا اللاحب، وهو عادة كل الواعين لأهدافهم والسائرين بعزم نحو تحقيقها.

إن شخصية الراحل الحكيم، ومن قبلها شخصية العلماء الشهداء الآخرين

وفي طليعتهم استاذهم الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر، وغيره من العظماء يمكن تلخيصها في بعض المعالم الإنسانية، من العلم والوعبي والاخلاص والجهاد في سبيل تحقيق الأهداف الإنسانية العليا.

ومن ملامح هذه الشخصية عملها الجاد الدؤوب على تهيئة الأرض المناسبة لتحقيق الوحدة الإسلامية عبر تحقيق التقريب بين المذاهب الإسلامية والتآلف بين قلوب المسلمين، وذلك بثتى الأساليب، فلقد كان الشهيد (رحمه الله تعالى) من رواد التقريب، وشغل منصب رئيس المجلس الأعلى للتقريب بين المذاهب الإسلامية، منذ انشاء المجمع العالمي للتقريب على يد سماحة آية الله الخامنئي قائد الثورة الإسلامية منذ أكثر من عشر سنين. وكتب وألف وحاضر في شتى أرجاء العالم الإسلامي حول ذلك.

فرحمه الله تعالى وتغمده بلطفه العميم، ورزقنا السير على نهجه ومواصلة دربه المقدس، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

٢ رجب ١٤٢٤

الفصل الأول

شهيد المحراب في سطور

١ - هو السيد محمد باقر ابن السيد محسن الطباطبائي الحكيم المرجع الأعلى للطائفة الشيعية في الخمسينات والستينات من القرن العشرين. وينتهي نسبهما الشريف الى إبراهيم الغمر بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن نجل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .

٢ - مولده في العراق في النجف الأشرف في ٢٥ جمادى الأولى عام (١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م) . وهو الابن الخامس للإمام الحكيم عليه السلام بين اخوته التسعة.

٣ - نشأ السيد محمد باقر في ظل والده المعظم وإخوته الأفاضل، ورغم أن والده كان من كبار الفقهاء ثم أصبح مرجع الطائفة وسيدها إلا أن الأسرة كانت تعيش عيشة الفقراء، إذ كانوا يكتفون من الطعام بالخبز واللبن ولتتمر وما شابه من الطعام البسيط، حيث لم يكن السيد محسن الحكيم يستحل لنفسه أموال الحقوق الشرعية ليوسع على أهله وعياله.

في بيت العلم والزهد والتقى هذا نشأ السيد محمد باقر وبدأ دراسته في الكتاتيب ثم دخل مدرسة متدى النشر الى الصف الرابع الابتدائي حيث

التحق بالحوزة العلمية وعمره ١٢ عاماً، فدرس المقدمات وبعض السطوح عند السيد محمد سعيد الحكيم والسيد محمد حسين الحكيم وأتم السطوح لدى أخيه آية الله السيد يوسف الحكيم وآية الله الشهيد السعيد محمدباقر الصدر، ثم دخل مرحلة البحث الخارج وتلمذ فيها على يد كل من والده المعظم وآية الله العظمى السيد أبي القاسم الخوئي وآية الله السيد محمدباقر الصدر (عليهم رضوان الله تعالى).

٤- وتصدى لتدريس السطوح في الفقه والأصول في جامع الهندي، وقد عرف عنه النبوغ في الدراسات الحوزوية المختلفة وكان كثير المطالعة والقراءة في كتب التاريخ والسياسة والسيرة، وكانت لديه دقة في فهم الأمور وطرحها وتحليلها، حتى أن السيد محمد باقر الصدر أوكل إليه مهمة مراجعة كتابه (فلسفتنا) ومناقشة الأفكار والآراء الواردة فيها الى جانب تصحيحه. كما كان المرجع المعظم آية الله السيد الخوئي يرعاه ويوليه اهتماماً خاصاً. وحين برز نبوغه وتميزه على أقرانه طُلب منه التدريس في كلية أصول الدين ببغداد وأصبح أستاذاً لمواد علوم القرآن والفقه المقارن واستمر ١١ عاماً في التدريس حتى أغلقت الكلية من قبل البعثيين في عام (١٩٧٥م). وكان خلالها يلقي المحاضرات ويشارك في اجتماعات الأساتذة ويشرف على مجلة رسالة الإسلام.

٥- وكان للسيد محمد باقر نشاطه الاجتماعي والسياسي المتميز في الساحة العراقية، فهو إضافة الى كونه فقيهاً وأستاذاً جامعياً كان أحد أبناء

مرجع الطائفة، وكان والده يعتمد عليه بشكل كبير في العديد من المهام، فهو وكيل والده المطلق ولاسيما في مواسم الحج، ومبعوث المرجعية للعديد من المدن في مختلف المناسبات والظروف، حيث مثل المرجعية في المؤتمر الإسلامي في مكة المكرمة سنة (١٩٦٥م) وفي الأردن سنة (١٩٦٧م). إضافة الى علاقته الشديدة بالسيد محمدباقر الصدر رائد النشاطات الثقافية والسياسية في الحوزة العلمية، ممّا دفعه للمشاركة في تلك الأنشطة بقوة.

كما ساهم السيد محمد باقر في تأسيس مدرسة العلوم الإسلامية في النجف وساهم أيضاً في تأسيس العديد من المساجد والحسينيات والمكتبات، وكان يولي الشعائر الحسينية اهتماماً كبيراً ويبدل الجهد والمال فيها، فيخرج في مواكب اللطم ويقرأ المقتل في يوم عاشوراء، ويؤسس ويشارك في الاحتفالات الدينية العامة التي تقام في عدة مدن حيث كان يلقي فيها كلمة المرجعية الدينية، كما ساهم أيضاً في تأسيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان مع الإمام المغيب موسى الصدر في عام (١٩٦٩م). وفي أيام المواجهة بين المرجعية الدينية وبين الشيوعية الكافرة كان السيد محمد باقر الحكيم يتحرك ضد الشيوعية على أكثر من صعيد ولم يكن يهتم بأن يكون مصيره مثل الكثيرين الذين قتلوا وسحلوا وقطعوا على يد الشيوعيين لمعاداته للشيوعية.

وعندما اشتدت الأزمة بين المرجعية وبين البعثيين وأحيطت دار السيد محسن الحكيم بالمخابرات ومارست الحكومة ضغطاً شديداً على المرجعية الصامدة لعلها تتراجع. كان السيد محمدباقر يدير مكتب والده ويلتقي الوفود

ويلقي الكلمات التي تفضح ممارسات البعثيين وكان موقفه حاسماً من طلبات أحمد حسن البكر وصدّام حسين من أجل اللقاء بالسيد محسن الحكيم.

٦- وبعد وفاة والده المعظم، انتقل السيد محمدباقر للتحرك مع السيد محمدباقر الصدر من أجل بث روح الإسلام والتضحية بين الجماهير ومن أجل التحرك ضد الطغمة الفاسدة التي استولت على الحكم، ونتيجة للنشاطات الدينية والاجتماعية والسياسية المتعددة له تعرّض للاعتقال في عام (١٩٧٢م) مع السيد محمد باقر الصدر وسجن في بغداد وتعرض للتعذيب القاسي. وعندما جاء قرار الإفراج عنه فرض الخورج إلا إذا أفرج عن أستاذه السيد الصدر وكان له ما أراد.

وفي عام (١٩٧٤م) كان الاعتقال الثاني وفيه تم إعدام خمسة من المؤمنين منهم ثلاثة من طلبة الحوزة ونتيجة للضغوطات من قبل الشيعة في الداخل والخارج تم إطلاق سراح السيد الحكيم.

وفي عام (١٩٧٧م) تفجرت انتفاضة شهر صفر الحسينية ضد البعثيين وكان للسيد محمدباقر الحكيم دور كبير فيها فتم اعتقاله عن طريق الغدر والمكر ونقل الى بغداد وتعرض لتعذيب شديد وبقي لمدته شهر في سجن انفرادي وفي زنزانه لم يكن يميز فيها الليل من النار ثم أبلغ بصدور حكم بالسجن المؤبد نتيجة اتهامه بالتجسس لصالح دولة الكويت.

وكان لسجنه ألم عميق لدى مراجع الطائفة، وبعد سنة ونصف أُطلق

سراحه ومُنع من مغادرة العراق.

وبعد إعدام السيد محمدباقر الصدر جاءت النصيحة من بعض مراجع الطائفة والعلماء بضرورة مغادرة العراق وكان السيد يرى ذلك أيضاً، وبالفعل استطاع الإفلات من قبضة النظام وخرج الى سوريا بعد شهرين من إعدام آية الله العظمى السيد محمدباقر الصدر ومكث فيها ثلاثة أشهر تقريباً ثم انتقل بعدها الى الجمهورية الإسلامية في إيران ونزل في تبريز عند آية الله السيد أسد المدني الذي اصطحبه للقاء الإمام الخميني في طهران.

٧- وفي إيران أعلن المواجهة والجهاد ضد نظام صدام حسين العفلقى وظهر في وسائل الاعلام المختلفة وجاءته وفود العراقيين المهجّرين الى طهران وبذل السيد جهوداً كبيرة من أجل أولئك المهجّرين على مختلف المجالات السياسية والاجتماعية والصحية والغذائية والتعليمية والثقافية والحوزوية.

وفي عام (١٩٨٢م) تم تأسيس المجلس الأعلى للشورة الإسلامية في العراق وتم انتخابه ناطقاً رسمياً.

وفي عام (١٩٨٦م) تولى رئاسة المجلس وأسس أول جيش لمحاربة نظام صدام والذي سُمي فيما بعد بـ (فيلق بدر) وضمّ عشرات الألوف من المجاهدين العراقيين الذين نفذوا ضربات شديدة على النظام من داخل بغداد، ونتيجة لذلك تمت مصادرة دار السيد محمدباقر وما تحويه من كتب

مخطوطة

وتقريرات لدروس مشايخه، ثم تم اعتقال العشرات من أفراد أسرته في العراق وتمت مساومته على إخوته وأهله مقابل تركه للمعارضة، وقد تم إعدام ستة من آل الحكيم في عام (١٩٨٣م) وبعد سنتين تم إعدام عشرة آخرين، وكان أخوة السيد محمدباقر وأولاد إخوته في مقدمة الشهداء بينما بقي العشرات في السجون والطوامير.

ورغم شدة الفاجعة والمصائب لم يتراجع السيد محمد باقر عن مواقفه وجهاده وآثر الاستمرار في درب ذات الشوكة مقتدياً بأجداده الأطهار (عليهم الصلاة والسلام).

ولما شاهد النظام العراقي صمود السيد محمدباقر الحكيم أصدر أوامره لأزلامه بقتل السيد الحكيم فتعرض لتسع محاولات اغتيال، كلها باءت بالفشل بإذن الله.

٨- ورغم انشغاله بالعمل السياسي لم يترك ساحة العمل الثقافي والحوزوي، حيث كان يلقي المحاضرات في علوم القرآن والفقه والتاريخ في طهران وقم إضافة لقراءة المقتل في يوم عاشوراء في مسجد الإمام الرضا عليه السلام.

كما ألقى دروساً في بحث الخارج في كتب القضاء والجهاد والحكم الإسلامي والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتولى رئاسة المجلس الأعلى للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية وسكرتارية رئاسة الشورى العليا للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام وكان يحضر الندوات ويشارك في الأبحاث المقدمة في مؤتمرات هذين المجمعين.

٩- وبعد سقوط النظام العفلقى بدخول جحافل الأمريكان والبريطانيين الى العراق قرّر السيد محمدباقر الحكيم العودة ليكون في صدر خطّ المواجهة. ورغم التحذيرات من فلتان الوضع الأمني وتردي الأوضاع في كل المجالات كان مصرّاً على العودة وتوطين النفس على لقاء ربه فدخل الى العراق في ٩ ربيع الأول سنة (١٤٢٤ هـ / ١٠ مايو ٢٠٠٣م) واستقبله عشرات الألوف من العراقيين وأقاموا الاحتفالات وذبحوا الذبائح فرحاً بعودته، وتولّى السيد الحكيم بعدها إمامة الجمعة في هذا الظرف العصيب في حرم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لمدة تقارب الأربعة أشهر.

١٠- وفي الأول من رجب الحرام وفي الاسبوع الرابع عشر من اقامته لصلاة الجمعة في النجف الأشرف وبعد أن ألقى خطبتي صلاة الجمعة في الحرّ الشديد في حرم أمير المؤمنين عليه السلام وهو صائم بعدما أدى الصلاة والزيارة خرج من الحرم العلوي، وما أن ركب السيارة حتى دوى صوت انفجار رهيب هزّ النجف الأشرف واهتزّت معه قلوب مئات الملايين من المسلمين في العالم. وكان مصدر الانفجار ٧٠٠ كيلو غرام من المتفجرات والقنابل التي وضعت في سيارتين لقتل السيد الحكيم وتحول بدنه الى أشلاء ممزقة، وقُتل وجرح معه عشرات المصلين. وهكذا قضى السيد محمدباقر الحكيم نجه شهيداً سعيداً ممزق الأشلاء كأجداده الطاهرين بين الكفار والمنافقين^(١).

(١) انظر مجلة العصر، العدد الخامس والعشرين: شهيد المحراب والحرم العلوي: ٨-١٠. (بتصرف)

الفصل الثاني

آل الحكيم

النسب المشرق

أبو:

آية الله العظمى المرجع الديني الأعلى السيد محسن الطباطبائي الحكيم
«هو بن مهدي بن صالح بن أحمد بن محمود بن إبراهيم بن علي بن مراد بن
أسد الله بن جلال الدين بن حسن بن مجد الدين بن قوام الدين بن إسماعيل
أبي المكارم بن عباد بن أبي المجد علي بن عباد بن علي بن حمزة»^(١). ابن
إسحاق بن طاهر بن علي بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد إبراهيم بن
إسماعيل الديباج بن إبراهيم الغمر بن الحسن المشني بن الإمام أبي محمد
الحسن بن الإمام علي عليه السلام»^(٢).

وتنسب أسرة آل الحكيم إلى السيد إبراهيم الطباطبائي (المعروف
بالغمر)^(٣)، «وَجَدَهُمُ الْأَكْبَرُ الْأَمِيرُ عَلِيُّ بْنُ السَّيِّدِ مَرَادِ بْنِ مِيرْشَاهِ أَسَدِ اللَّهِ كَانَ

(١) حرز الدين، محمد: معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء، النجف ١٩٦٤م، ج ٢، ص ٨٥-٨٧.
(٢) الحسيني: أحمد الأشكوري، الإمام الحكيم، السيد محسن الطباطبائي ص ١٨، ويذكر في هامش الصفحة،
أنه نقل هذا النسب عن الشجرة القديمة المؤرخة سنة (١٢١٢ هـ)، الموجودة عند السيد محمد صادق
الحكيم، وهي مستنسخة على شجرة أقدم منها.

(٣) الحلو، عامر: النجف الأشرف خواطر وذكريات، دمشق ١٩٤٠/١٩٨٢م ص ٤٤.

طبيب الشاه عباس الصفوي المتوفى سنة (١٠٥٢ هـ / ١٦٤٣ م)^(١)، وجاء الى النجف زائراً مع الشاه سنة (١٠٣٣ هـ - ١٦٢٤)^(٢).

وتسمية الأسرة بالحكيم جاءت عن مهنته، «حيث كان الطبيب يسمى حكيماً ولذلك عرفت هذه التسمية»^(٣) «وقد يلقبون أيضاً بالطبيب لكن لم يشتهروا بهذا اللقب»^(٤) ويؤكد الحسيني الاشكوري في كتابه عن الحكيم، أن اسرته هي من أقدم الأسر الطباطبائية النجفية النازحة الى النجف، وان المستندات الموجودة تدل على نزوحها بعد القرن العاشر الهجري بقليل^(٥).

جده:

السيد مهدي بن صالح، «كان في طليعة أعلام عصره، وكان مجتهداً»^(٦) ويراها الأميني واعظاً، يحفظ الخطب الأخلاقية وربما تلاها في مجالس العلماء والأخيار^(٧)، ويعبر عنه الشيخ آغا بزرك الطهراني في كتابه أعلام الشيعة: بأنه كان مهذباً بارعاً في العلوم الدينية^(٨).

(١) الأميني، محمد هادي: معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام، النجف ١٩٦٤م، ص ١٣٠ - ١٣٣.

(٢) حزر الدين: معارف الرجال في تراجم الأدباء، ص ٨٧.

(٣) الحلو: مرجع سابق، ص ٤٤.

(٤) الحسيني: مرجع سابق، ص ١٨.

(٥) المصدر السابق: ص ١٩.

(٦) الأميني: مصدر سابق، ص ١٣٠، ١٣٣.

(٧) حزر الدين: مصدر سابق، ج ٣، ص ١٢١ - ١٢٩.

(٨) الحسيني: مصدر سابق، ص ٢٠.

«وكان كاسباً في سن الشباب، ويشتغل في الدرس، ولما حصل على مستوى علمي جيد، ترك الكسب واتجه لطلب العلم^(١). ولما توفي الشيخ موسى شرارة العاملي في بنت جبيل طلبه الأهالي من الشيخ محمد حسين الكاظمي وتكررت الطلبات منهم واشتدت فأرسل لهم الشيخ السيد مهدي الحكيم^(٢) «وأصبح مرجعاً يرجعون إليه في المهام الدينية وغيرها إلى أن توفي ودفن هناك»^(٣).

وأعقب ثلاثة أولاد محمود وهو أكبرهم ومحسن وأمهم كريمة العلامة جعفر بن الشيخ عبد النبي الكاظمي، صاحب تكملة الرجال، «وأصغرهم هاشم من كريمة الشيخ محمد أمين شرارة العاملي ويقوم اليوم في لبنان»^(٤) وخلف أيضاً سبع بنات وله مؤلفات فقهية وأخلاقية عديدة^(٥).

(١) حرز الدين: مصدر سابق، ص ٢٠.

(٢) الأميني: مرجع سابق، ج ٣، ص ١٢٧.

(٣) الأميني: مصدر سابق، ج ١٠، ص ٣٤٧.

(٤) حرز الدين: مرجع سابق، ص ١٢٩، هكذا جاء النص لأن الكتاب ألف قبل عام وفاته سنة ١٩٩٥م.

(٥) الطهراني، آغا بزرك: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، بيروت ١٩٨٤م الأجزاء ٢١، ١، ١١، ص ١٨، ٣١، ٤٦١.

الحسيني: مصدر سابق، ص ٢١.

العاملي: أعيان الشيعة، المجلد التاسع، ص ١١.

الأميني: مصدر سابق، ص ١٣٠-١٣٣.

أعمامه:

للسيد محمد باقر عمّان هما: السيد محمود والسيد هاشم وهما من العلم والمنزلة الاجتماعية والأخلاق الفاضلة على درجة طيبة، ولد الأول سنة (١٢٩٨ هـ - ١٨٨١ م) بالنجف وتوفي في ٦ ربيع الثاني سنة (١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م) في النجف أيضاً، أما الثاني فولد في بنت جبيل سنة (١٣٠٩ هـ - ١٨٩٢ م) وتوفي في ٤ رجب سنة (١٣٧٥ هـ ١٩٥٦ م)، ودفن في بلدته أيضاً^(١) «وكان فقيهاً أصولياً وعالمًا محققاً»^(٢)، له مؤلفات خطية في العلوم الدينية^(٣).

إخوته وأخواته:

للسيد محسن الحكيم عشرة من الذكور وأربع من الإناث من زوجتين، أما زوجته العراقية فهي بنت خالته وقد انجبت له السيد يوسف والسيد محمد رضا وثلاثاً من الإناث، وأما زوجته اللبنانية فهي من بيت الحاج حسن البرزي في بنت جبيل وقد انجبت له بنت واحدة وثمانية من الذكور هم: السيد محمد مهدي، السيد محمد كاظم، السيد محمد باقر، السيد عبدالهادي، السيد عبدالصاحب، السيد علاء الدين، السيد محمد حسين، السيد عبدالعزيز... «واهتم الإمام الحكيم بأن يكون جميع أولاده من العلماء وطلبة الحوزة

(١) العاملي، مصدر سابق، ص ٩.

(٢) الأميني، مرجع سابق، ج ٣٠، ص ١٣٣.

(٣) المصدر السابق، ص ١٣٠.

العلمية مع كثرتهم»^(١).

وكانت تربيته لأولاده واهتمامه المتواصل بهم مع كثرة مشاغله عاملاً مهماً لتحقيق هدفه، فكان يراقبهم مراقبة دقيقة ويتدخل في تفاصيل تربيتهم، وانه ما كان يوكل هذا الأمر للأم أو الأخوة الكبار بل يهتم بهذا الموضوع شخصياً هكذا يراه نجله السيد محمد باقر .

ونجح في تخريج أولاده من الحوزة العلمية بدرجات من العلم والأخلاق، وأصبح بعضهم يدرس في الحوزة العلمية كالسيد يوسف والسيد محمد كاظم والسيد محمد باقر والسيد عبدالصاحب وساروا في طريق الاجتهاد وبلغوا مراتب عالية من الكمال العلمي والعملي حتى استشهدوا في سبيل الله تعالى^(٢).

(١) الحكيم، لمعات عن مرجعية السيد الحكيم، مصدر سابق، ص ١٥.

(٢) انظر: عندنا السزاج، الإمام محسن الحكيم: ٢١ - ٢٥.

- ٢ -

بيت العلم والفاقة

إن أسرة آل الحكيم - كما عرفنا - من الأسر العلوية التي يعود نسبها إلى الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام عن طريق ولده الحسن المثنى ، وهي من العوائل العلمية العراقية الأصيلة (آل طباطبا) ، حيث استوطن أجدادها العراق منذ أوائل القرن الثاني الهجري ، ثم انتشروا بفعل الظروف السياسية والاجتماعية التي مرت على العراق .

وهي من الأسر المشهورة التي ذاع صيتها خصوصاً في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري .

وقد برز منها قبل ذلك علماء مشهورون بالطب والأخلاق والفقهاء والأصول .

وعرف منهم في أوائل القرن الرابع عشر الهجري ، العالم الأخلاقي المعروف آية الله المقدس السيد مهدي الحكيم ، والد الإمام السيد محسن الحكيم عليه السلام ، والذي هاجر في أواخر حياته إلى بنت جبيل من قرى جبل عامل في لبنان بطلب من أهلها ، وكان زميلاً في الدرس مع آية الله المجاهد السيد محمد سعيد الجبوبي ، وقد تخرج في الأخلاق على يد المقدس الشيخ حسين قلي همداني صاحب المدرسة الأخلاقية المعروفة.. وتوفي في لبنان يوم الجمعة ٨ صفر سنة (١٣١٢ هـ) ، وله في تلك البقاع مدفن يزار .

وعرف منهم كذلك المرجع الديني الأعلى الإمام السيد محسن الحكيم عليه السلام وعدد كبير آخر من هذه العائلة المباركة سوى أبنائه العشرة الذين أصبح جلهم من أساتذة الحوزة العلمية ، وتحظى هذه الأسرة اليوم بحب واحترام ملايين المسلمين في العراق وخارجه.

- ٣ -

أسرة الكفاح والجهاد

منذ أوائل الثمانينات من القرن العشرين الميلادي تعرضت هذه الأسرة الشريفة الى حملة اعتقال انتهت الى إبادة واسعة على يد صدام وجلاوزة حزب البعث العراقي المجرمين مما لم يشهد له تاريخ العراق مثيلاً في العصر الحاضر ، ففي ليلة واحدة اعتقل نظام المجرم صدام أكثر من سبعين شخصاً من هذه الأسرة كرهائن بينهم من قارب الثمانين من العمر كآية الله العظمى المغفور له السيد يوسف نجل الإمام الحكيم عليه السلام ، وآية الله السيد محمد حسين نجل آية الله السيد سعيد الحكيم عليه السلام ، وبينهم من لم يبلغ الحلم بعد ، وزج بهم جميعاً في السجون دون أن توجه لهم أي تهمة ، إلا لأنهم من أقرباء (السيد محمد باقر الحكيم) ولأنهم رفضوا الخضوع للنظام وتنفيذ سياساته الهوجاء. (١)

وفي فترات لاحقة قتل منهم النظام أكثر من ستة عشر شخصاً (٢) ، بينهم

(١) طلبت أجهزة النظام من كبار العائلة وعلمائها الحضور والمشاركة في المؤتمر الشعبي الذي عقده النظام في بغداد في أيام الحرب الظالمة التي شنها صدام ضد إيران ، لكنهم رفضوا ذلك وأصروا على الرفض على الرغم من تهديدهم بالاعتقال ، فنفذ النظام تهديده وارتكب جريمته.

(٢) وهم الشهداء: آية الله السيد عبد الصاحب الحكيم ، حجة الإسلام والمسلمين الدكتور السيد عبد الهادي الحكيم ، وحجة الإسلام والمسلمين السيد علاء الدين الحكيم ، وحجة الإسلام والمسلمين السيد محمد حسين الحكيم ، والأربعة هم من أبناء الإمام الحكيم ، حجة الإسلام والمسلمين السيد كمال الدين الحكيم ،

مجتهدون وعلماء كبار ، كما ان عدد الشهداء منهم على يد طاغية العراق زادوا على العشرين ، ولا زال قسماً منهم لا يعلم له أثر^(١).

لقد جسدت هذه الأسرة مظلومية المؤمنين ولا سيما الأسر العلمية منهم في أجلى صورها ، حيث تحملت ما تحملت من المصائب والآلام ، لا لشيء فعلته سوى انتماؤها لرسول الله ﷺ ، وإيمانها بالله عز وجل وصبرها وضمودها في مواجهة الطاغية ولأن من رجالها الأبطال من تحمل مسؤولية الدفاع عن الشعب العراقي المظلوم فهتف بنداثة وصرخ في وجه الطاغية بـ (لا) ذلك هو آية الله المجاهد السيد محمد باقر الحكيم ﷺ^(٢).

وقد ورث آل الحكيم هذه الروح الجهادية من أبيهم المقدس آية الله

→ وحجة الإسلام والمسلمين السيد عبد الوهاب الحكيم ، ونجلاء آية الله العظمى السيد يوسف الحكيم ، -وحجة الإسلام والمسلمين السيد محمد رضا الحكيم ، وحجة الإسلام والمسلمين السيد عبد الصاحب الحكيم ، ونجلاء آية الله السيد محمد حسين السيد سعيد الحكيم ﷺ والسيد أحمد الحكيم نجل حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد رضا نجل الإمام الحكيم ، آية الله السيد مجيد الحكيم نجل آية الله السيد محمود الحكيم ﷺ شقيق الإمام الحكيم ﷺ ، السيد حسن الحكيم والسيد حسين الحكيم وهما ابنا الدكتور الشهيد السيد عبد الهادي الحكيم.. الشهيد السيد ضياء الدين والشهيد السيد بهاء الدين نجلا الشهيد السيد كمال الدين الحكيم ، السيد محمد علي السيد جواد ابن السيد محمود الحكيم ﷺ والشهيد السيد محمد نجل آية الله السيد محمد حسين الحكيم ﷺ ، واستشهد منهم آخرون قبل ذلك وبعد ذلك ، منهم السيد حسن نجل آية الله السيد محمد علي الحكيم والمهندس السيد عبد الأمير نجل آية الله السيد حسن الحكيم ، والسيد مهدي الحكيم نجل آية الله السيد باقر الحكيم وزوجته وولده والسيد حسين الحكيم نجل آية الله السيد حسن الحكيم والسيد غياث الحكيم.

(١) وهم ثمانية عشر شخصاً من العلماء والمؤمنين والمدنيين ، منهم السيد محمد رضا نجل الإمام الحكيم ، الذي اعتقل مع مجموعة من كبار علماء النجف الأشرف بعد الانتفاضة الشعبانية في آذار ١٩٩١ م. وقد تبين بعد سقوط صدام ونظامه المجرم انهم جميعاً قد قتلوا الى جانب أكثر من مائة عالم من مختلف البلدان العربية والإسلامية والمواثيل العلمية العراقية المروقة.

(٢) إطلالة على السيرة الذاتية للسيد الشهيد محمد باقر الحكيم ﷺ ، محمد هادي: ص ١٣-١٥.

العظمى السيد محسن الحكيم ﷺ .

وقد كتب الشيخ محمد تقي آل الفقيه عن الجهاد الذي خاضه السيد محسن الحكيم في أيام الاحتلال البريطاني بما نصّه:

اندلعت نار الحرب العظمى، فاستدار خطرهما حتى احتوى الكون، وطاف الرعب في القلوب.. وهبت السلطة العثمانية للدفاع عن البلاد التي تسيطر عليها، ونشطت كما ينشط المريض المحتضر، واشدت كما يشتد لهب السراج عند نضوب زيته... فاعلنت النفير العام، وعزمت على أن تزج كل من يستطيع حمل السلاح في ساحة الحرب! فشملت قسوة الحرب ذوي الأعدار من المعيلين ومن طلاب العلم الديني وغيرهم.

كانت سنة (١٣٢٢ هـ) وكان ذلك كله، وكان النفير العام، فاستدعت السلطة طلاب العلم الديني الى بغداد للتدريب لكي يثمنوا المران الكافي ويصبحوا بعد ذلك ضباطاً في الجيش العثماني! فأحاط الخطر بالمشمولين -كما يحيط السجن بالأبرياء، وأصبح السيد محسن الحكيم مشمولاً للقانون ولم يجد من القانون مخرجاً ولا من القائمين عليه هوادة!

وهنا راحت والدته تنشد جاراتها وتستعلم عن المشمولين، ولما تبينت الخبر تبذلت أسرة وجهها، فقد تجهمت لها الحياة مرة أخرى.. فبالأمس البعيد فقدت رب البيت وابتلت بالأيتام.. واليوم دارت رحى الحرب الزبون وصرت بأنيابها وتريد أن تصطلم فرخها الغالي!

يا لك من نبأ مريع!! يصطدم فيه قلب الأم الحنون!

عاد الى البيت وعادت أمه، والتقت نظرتان نظرة الأم وابنها، تلك تحمل العاطفة الريانة الهامدة، وهذه تحمل الشعور بواجب الأم المقدس. إنه صمم

أن يكتفم عنها الأنباء الموحشة وكان تصميم الأم على ذلك أسبق من تصميمه، ولكن كلاً منهما كان يلمس خواطر الآخر ويشترك معه في أحاسيسه فقد قرأت الأم في جبين ولدها سطور الكآبة التي اعتادت أن تقرأها في مثل هذه الحالات، وأما كآبة الأم فكانت أكثر وضوحاً، وأشد جلاء... جمعتهم الندوة المتواضعة فقالت الأم:

-بني ماذا علمت؟ وماذا عملت؟

أماه لا تفكري.

وكيف لا أفكر؟! هل استعلمت الأخبار... بُني لعل الله يعمي عنك أبصار

الظالمين.

حديث يشبه حديثاً تتبادله الأم مع ابنها بين حين وحين.. بقيا على هذه الحالة نحواً من ستة أشهر، فكان يطوف الأندية يتحسس الأخبار، فيجد أمامه أشباح الأنباء الموحشة واقفة بالمرصاد!

كان يسمع هذه الأنباء الموحشة، ويعود للبيت عازماً على كتمانها فيجد أمه قد استقتها من مواطن أخرى.

كان يعود وقد أنهكه التعب وأجهده الهم، فيجلس على الأرض وقد أرسل قدميه، يحاول إبعاد الألم عنهما بارسالهما فتتنظر الأم الى ولدها والدموع تطوف في مقلتها وربما مدت إليه يدها تتلمسه وكأنها تريد التزود منه، وتحاول تبريد قلبها اللاهب فتزيده ألماً على ألمه.. وهي تقول:

-بني ما ربيتك للظالمين، ولا سهرت عليك الليالي للغاشمين.

بُني.. إنهم يريدون تضييع تعبني! بني.. كيف أراك بعيداً عني؟! وكيف

أصبر على فراقك؟!.. وكيف يجري عليك ما يجري ولا يكون بمرأى مني..

وكيف أصبر ولا أسمع عنك خبيراً ولا أعرف لك أئماً.. بني.. بني!! ولا يجد الفتى طريقاً لتخفيف المصيبة المنتظرة إلا بتكثير المصيبة الحاضرة، فيشاطرها آلامها وتشاطره آلامه فتتلاقى أحزان وأحزان.. ودموع ودموع.. ثم ابتهالات وانقطاعات الى الله تعالى.. وروحانية تسمو بالضعيف فتخلق به الى مطالع الأقوياء. ويعقبها النصر المحتم.

أسباب اعلان الجهاد

دخل الجيش البريطاني حلق (الفاو) -مدخل شط العرب - واستشرى الشر وحمي الوطيس، وأحدق الخطر، وزعزع العثمانيون في العراق - وزلزلوا زلزالاً شديداً فاستغاثوا بالنجف الأشرف - والنجف قلب العراق - والعراق جوُّجو البلاد الإسلامية، وجمرة العرب واستنصروا بزعماء الدين في النجف، وزعماء الدين فيها هم حماة الاحسلام، وقطب الرحي، وقاده الفكر، المحافظون للشريعة، والقائمون على النواميس الرفيعة، والذابون عن بيضة الإسلام.

وإذا بشيخ من شيوخ الهاشميين، فتى في عزيمته، متوسط في منسبة الروحاني، مديد القامة، أبيض مشرب بحمرة، ترف الشياب يهيب به الواجب، فيهب - بعد استقصاء الموازين الشرعية - ويهتف بوجوب الدفاع^(١)

(١) الجهاد عندنا ابتدائي: غزو وهو من وظائف سلطان المسلمين الجامع للشرائط، ودفاعي وهو لا يختص به، وهذا هو الذي حكم به السيد الجبوي وعلماء النجف - رحمهم الله تعالى - وعلماء الشيعة شديداً الاحتياط في الدماء ثم في الأعراض، ثم في الأموال.

عن إخوانه المسلمين ولزوم حفظ بيضة الإسلام... ذلك هو السيد محمد سعيد الجبوبي الذي لبي نداء الله والواجب، وهتف بالصفوة الباقية، والبقية الصالحة فاهتز الندى المحتشد، ورنّ صداه في الأندية الأخرى وتدققت الموجات الأثيرية من أفواه الى قلوب، ومن قلوب الى أقلام.. فلّباه نظراؤه ومن هم أعلى منه منصباً، وتبعهم سائر الطبقات...

وما اكتفى الجبوبي باعلان كلمته الفاصلة، وبانشاء الحكم الذي لا يرد^(١) بل طفق يتسنى ذروة الأعواد، ويستوي على قمم المنابر، فيستولي على شعور الخاصة، ويشور الجماهير ويتخذ بعد ذلك من القلوب جنداً، ومن الحق سلاحاً، ومن الإيمان بالله سبحانه درعاً!! وإذا به مثال تطوف حوله الناس، خافضة الأبصار، مشرّبة البصائر مؤمنة به كل الإيمان.

ثم توجه السيد الجبوبي الى جبهة الناصرية، بصفته أحد علماء النجف المبرزين، ليقود الجبهة، وطلب السيد الحكيم من السلطة فسمحت له به - وصحبه بصفته - كاتباً يركن إليه وأميناً يعتمد عليه، فكانت أمور السيد الجبوبي كلها بيده، فهو المستشار وهو المنفذ، وهو الذي يدون الرسائل.

إن اعتماد السيد الجبوبي عليه، وانتصاره في أفكاره وآرائه ونزاهته

(١) الفرق بين الحكم والفتيا: أن الفتيا هي بيان الحكم الكلي، وأما تشخيص موارد الجزئية فهي لا تختص بالمجتهد، وأما الحكم فهو إنشاء حكم جزئي في واقعة جزئية، وهو ثابت في مورد الخصومة بالضرورة وثابت في الهلال في باب الجهاد. والفتيا حجة في حق المجتهد نفسه وفي حق من يقلده، ولا يجب على المجتهد الآخر متابعتها، بل ربما يحرم كما إذا كان يرى أن ما أفتى به غيره غير مشروع مثلاً. وبعبارة أوضح: دليل التقليد لا يشمل العالم ومقتضى الأصل عدم مشروعيته في حقه، لعدم حجته. وأما الحكم فإنه ينفذ على كل أحد مجتهداً كان أو محتاتماً أو مقلداً، مقلداً لمن حكم أو لغيره من المجتهدين، هذا كله إذا كان الحاكم جامعاً للشرائط المعتمدة في الحاكم من الاجتهاد والعدالة وغيرهما.

الصريحة وحسبه الكريم كانت كلها شواهد على سموه وكفائه وكان الجبوبي قد عرفه كذلك من قبل، فاستصفاه واعتمد عليه، وعرفه الناس كذلك بعد ذلك اليوم، فآمنوا به ورنوا إليه، وتحدثوا به.. ولم تزل الأفواه تتناقلها كل ما مر حديث الجهاد وحديث حركة الجبوبي!

قيل له مرة: لو اشتريت جواداً لتعمله وقت الحاجة؟

وكان المال الذي تبذله السلطة، أو يتبرع به المتبرعون أو يقدم للجبوبي باسم الحقوق، لا يكاد يصرف إلا بنظره أو اطلاعه، فنفقات المجاهدين، ورحلات الزعماء، وتسليح العزل، والنفقات السرية والعلنية تكاد تكون كلها بيده وتحت تصرفه.

وكان غرض هذا الناصح، الاحتفاظ بشيء من المال للسيد بهذا الأسلوب لينتفع به السيد في وقت آخر - ورأى أنه لا يقنعه إلا بهذا الأسلوب - فقال السيد الحكيم: ما أصنع بالجواد؟! وهذه خيول المجاهدين من الزعماء وغيرهم كلها تحت تصرفي! ثم كشف للناصح عن نيته، وأفهمه أنه قد عرف مقصوده، فقال:

لو كنت أملك شيئاً من المال لأنفقته على المجاهدين، لأنّ الواجب الديني يقضي بذلك في مثل هذا اليوم.

ونازع أستاذه الجبوبي في مسألة وتصلب في الجدل، فقيل للجبوبي في ذلك، فقال: إنه أعلم مني، ولكنني لو قلت ذلك للناس لم يقبلوه مني لصغر سنه! ولما وقعت الهزيمة وفرّ المجاهدون واحتل النظام، وسادت الفوضى، ثبت السيدان الجبوبي والحكيم وثلة من الأبرار المسامح بالنفوس في اليوم

العصيب، ولم يكن همّ الثابتين معهما إلا أن يهيبوا بالسيد ليتحركا من مركزهما، ولكنهم حاولوا عبثاً.

وكانت القبائل تتطير في الفضاء، وتشير الرمول حول المضارب وهما لا يريان الفرار والحال هذه - إلا فراراً من الزحف^(١).

وأخيراً استقر الرأي على أن يذهب السيد الحكيم الى القائد العثماني ليستوضح المرقف، فأراد فرساً ليركبه فلم يسمح له أحد الحضارين بجواده لعظم الخطب، وتبليبل الأفكار - وكان كل واحد من المجاهدين بين ممتط ظهر جواده، مستعد للفرار وبين آخذ بشكميته منتظراً أمر السيد بفراق الجبهة - فترجل الشيخ المرحوم الظالمي عن فرسه، وقدمها للسيد، فتعجب منه بعض الحاضرين، وعاتبه على ذلك، لأنّ السخاء بالجواد في مثل تلك الساعة سخاء بالنفس! فقال: لا أبالي إذا سلم هذا السيد وهلكت، لأنّ وجوده أنفع من وجودي، وسيأتي يوم يقود فيه العراق، وكانت هذه النبوءة نبوءة مقدسة لا تستكثر على عربي صميم، فالعربي يقرأ في ملامح الصور جمل المستقبل الغامض ولا تستكثر على مؤمن بر، فان المؤمن ينظر بعين الله.

فامتطى الحكيم صهوة الجواد، وتخطى بين الجثث المبعثرة والأشلاء المحطمة الموزعة، والمطاعين المتململين، وتحت دمدمة المدافع وأزيز البنادق، حتى انتهى الى مضرب القائد، فرجود حوله جملة مضارب مبعثرة هنا وهناك، ووجد الحجاب على مراتبهم وقد أحاطت مضاربهم بمضرب القائد شبه الهلال الذي يهيم طرفاه بالتلاقي، فوجد على أتم حال وأكمل اتزان،

(١) الفرار من الزحف، هو الفرار من ساحة الجهاد، وهو من المحرمات الكبائر. وقد نهى الله تعالى عنه في كتابه العزيز.

يكتب ويدون، ويضع الخطط، فقال القائد: ما فعل المجاهدون؟ فقال السيد: تفرقوا، لأنه شاع بينهم أنه قد قتل القائد وقتل جميع الضباط حتى لم يبق من يقود اثنين.

فأخرج له القائد ما عنده من المعلومات، فإذا بالاشاعات لا تقوم على أساس وإنما هي غلطة أو خديعة، أدت الى الهزيمة.

قال لي السيد مرة: ما عرفت الخوف، إلا مره، وذكر الحديث الآنف. بقي الحكيم في صحبة أستاذه، حتى آخر ساعة من حياته فقد جمّ الحبوبي في الناصرية، على أثر الانفعال النفسى الذي ألمّ به عندما ظهرت إمارات انتصار الجيوش البريطانية وأودى بحياته وقد كان خاتمه بيد السيد الحكيم، لأنه هو الذي يتولى التوقيعات والأوامر، فلما لفظ الحبوبي نفسه الأخير، نهض السيد الحكيم الى السراة والزعماء وعزاهم بالفقيد الغالي، ثم أخرج خاتمه وأراهيم إياه وعرضه عليهم، ثم دقه في هاون من حديد بمطرقة من حديد وكسره ثم رماه في مكان سحيق^(١).

معالم الجهاد السياسي للسيد محسن الحكيم

وخير من صوّر هذا الجهاد نجله الشهيد السيد محمد باقر بقوله: «أحاول هنا أن أشير الى بعض المصاديق والأمثلة، التي تجسد هذا الخلق الإسلامى بشكل واضح من خلال رؤيتي ومشاهداتي:

١- في بداية تصدي الإمام الحكيم للعمل السياسي من موقع المرجعية

(١) جاسة النجف في عصرها الحاضر، ولمحة عن سيرة آية الله الحكيم وبعض أعيان الشيعة للشيخ محمدتقي آل الفقيه العاملي: ص ٣٥-٤٤.

في أوساط السبعينات الهجرية، شهد العراق أحداثاً مهمة ومتوترة، خصوصاً بعد العدوان الثلاثي: الانجليز وفرنسا وإسرائيل على مصر عند إعلانها لتأميم قناة السويس، وكان التيار الشيوعي وبعض القوى السياسية الوطنية تهيمن على الشارع العراقي، وتحاول أن تقوده، وكانت المرجعية الدينية السياسية في النجف الأشرف حينذاك^(١)، تتأرجح في موقفها بين الوقوف الى جانب النظام حذراً من أخطار هذه التيارات السياسية الغربية، أو الوقوع تحت تأثير هذا الغليان والاتجاه السياسي العارم.

وهنا برز الإمام الحكيم كقوة سياسية مستقلة، لها موقفها من الأحداث، حيث استنكر عمليات القمع التي كان يمارسها النظام ضد الشعب من ناحية، انسجماً مع المبدأ الإسلامي في الحرية السياسية، ومقاومة العدوان الأجنبي والهيمنة الخارجية، ولكنه في الوقت نفسه حاول أن يتميز بموقفه ومنهجه عن القوى السياسية وشعاراتها، أو الانقياد لها في المواقف والأساليب والشعارات.

وهنا أدركت هذه القوى لأول مرة في هذه الحقبة من الزمن، أهمية الوجود الديني وخطره على وجودها، فحاولت أن تضغط وتحرض على الإمام الحكيم من خلال إماناتها، وأجهزتها، وتجاربها السياسية، والاستفادة

(١) كانت المرجعية الدينية العامة، تتجنب الدخول في القضايا السياسية، لمخلفات عمود ما قبل الحرب العالمية الثانية، ونكسة ثورة العشرين، وكان يتصدى للعمل السياسي الديني (المرجعية السياسية الدينية) بعض الأعلام من رجال الحوزة العلمية، أمثال آية الله الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، وآية الله الشيخ عبدالكريم الجزائري، والعلامة السيد علي بحر العلوم، وغيرهم من أبناء البيوتات العلمية المعروفة، والديونيات الاجتماعية الدينية.

من العواطف الشعبية الجياشة.

وأتذكر أن المرجعية خاضت معركة دقيقة، محفوفة بالأخطار من أجل الصمود والمحافظة على المبادئ والاستقلال السياسي لها، وفرز المواقف الأصلية عن غيرها، فكانت أن قامت هذه القوى السياسية بتوجيه المظاهرات إلى منزل الإمام الحكيم، تحمل جثث القتلى^(١) ووراءها الشعارات السياسية المنحرفة، لفرض موقف على الإمام الحكيم.

ولكن الإمام الحكيم رفض بإصرار هذا الضغط، واستمر في موقفه الذي اختاره في هذا المجال المتوازن، الراض لسياسات الحكومة وللمعدوان، وعدم الانسياق مع الضغوط، وذلك من أجل إعطاء المرجعية موقعها الطبيعي.

٢- في بداية انقلاب ١٤ تموز (١٩٥٨م)، كانت الجماهير متجاوبة مع الانقلاب درجة عالية، ومساحة واسعة جداً، وكان كل من يتوقف في التأييد يعرض نفسه لأشد الأخطار المعنوية والمادية، ولكن الإمام الحكيم توقف عن تأييد الانقلاب، لأنه كان يخشى من تحول الانقلاب إلى حكم يساري إرهابي عنصري طائفي، ولم تكن شخصية عبدالكريم قاسم معروفة لدى الأوساط السياسية، ولم يقدم على إرسال برقيته المعروفة إلى عبدالكريم قاسم، التي أكد فيها على أهمية الخطوات الصحيحة والمنهج السليم وحذره من العواقب التي لحقت بمن قبله^(٢)، حتى قام بعملية فحص للوضع السياسي،

(١) كان بعض القتلى ينتسبون إلى بعض الأوساط العلمية والدينية، التي ساهمت بدورها في الضغط، وبدون وعي أو إرادة.

(٢) يمكن مقارنة برقية الإمام الحكيم، ببرقيات ورسائل التأييد الأخرى، ليلاحظ بأنها البرقية الوحيدة المتميزة التي كانت تتصف بهذا التأكيد والتحذير.

وجاءه التأكيد على أن الحكم سوف يراعي الموازنة السياسية، ويعطي الفرصة للعمل السياسي الحر بدرجة معقولة، كل ذلك بالرغم من الأخطار التي تحيط به بسبب هذا الموقف.

٣- بعد محاولة الانقلاب العسكري الفاشل، الذي قام به عبدالوهاب الشواف في معسكر الموصل، عمت العراق موجة من الارهاب التي كان يقودها الحزب الشيوعي، مستغلاً فرصة الصراع بين عبدالكريم قاسم مع القوى القومية التي كانت تتلقى دعماً من الجمهورية العربية المتحدة آنذاك، وقام الشيوعيون بعمليات قتل وسحل للجثث في الشوارع، واعتداء على الأموال والكرامات وكان ضمن ذلك اعتقال عدد من طلبة الحوزة العلمية في النجف الأشرف، والمنتسبين إليها، وان قائمة أخرى من أسماء العلماء قد أُعدت للاعتقال أو العدوان، وقفت (جماعة العلماء) التي أسستها المرجعية الدينية للتصدي للعمل السياسي، عن اصدار بياناتها بسبب الضغوط والارهاب، وتخلت السلطة المحلية عن مسؤولياتها، مهددة بأنها لا تملك الوقوف أمام هذا التيار اليساري^(١)، وبدأت الضغوط الداخلية من الحوزة، والخارجية من السلطة وغيرها على الإمام من أجل أن يرسل برقية تأييد - ولو بالحد الأدنى وبمستوى ارسال تهنئة بعيد الفطر - لعبدالكريم قاسم، من أجل انقاذ الموقف وتجنب العدوان، ولكن الإمام الحكيم رحمته الله رفض ذلك بشجاعة، تعبيراً عن الموقف الراض لاستخدام هذه الأساليب الارهابية في ادارة

(١) لقد جاء قائم مقام النجف الأشرف الى منزل الإمام الحكيم بصورة رسمية وأبلغه ذلك، وكان يُفهم من الابلاغ، إنها رسالة تهديد، واقترح على الإمام الحكيم، إرسال برقية التهنة.

الحكم وسياسة الرعاية، وكذلك رفض الاستسلام لموقف الحزب الشيوعي، الذي كان له تأثير واسع على الوضع الرسمي والشعبي حينذاك^(١).

٤ - فتواه المعروفة الشجاعة، تجاه الحزب الشيوعي، التي كان لها أصداء واسعة، وموقفه الشجاع المتميز، تجاه حزب البعث بعد ذلك في سنة (١٩٦٣م)، والذي كان له دور مهم في محاصرته واسقاطه، وكذلك في سنة (١٩٦٩م)، وحتى وفاته رضوان الله عليه في سنة (١٩٧٠م)، وحمله لكل الآلام والمحن، من أجل تأصيل الخط الإسلامي، والموقف المستقل النابع من ارادة الأمة وفكرها وعقيدتها الإسلامية الصحيحة.

٥ - موقفه الشجاع، تجاه موضوع قانون الأحوال الشخصية، الذي وضعه عبدالكريم قاسم، مخالفاً نص القرآن الكريم، وإصراره على تعديله، ورفضه لاستقبال عبدالكريم قاسم، بالرغم من الضغوط والتهديدات.

٦ - موقفه الشجاع، من عبدالسلام عارف، وخلفه عبدالرحمن عارف، ورفضه لقبول اللقاء بهما، أو استقبالهما، بسبب السياسات الطائفية والعنصرية، التي كان يعتمدها الحكم في ذلك الوقت، ولا سيما تجاه حرب الأكراد وقتلهم، ومحاصرة الأكراد من أبناء الشعب العراقي من أتباع أهل البيت عليهم السلام.

وكذلك موقفه من حكومة البعث، زمن أحمد حسن البكر ورفضه

(١) كان الحزب الشيوعي في ذلك يحاول أن يحقق مكاسب سياسية خطيرة، منها المشاركة في الحكم على الأقل، وكان يعقد اجتماعات واسعة جماهيرية شعارها (عاش زعيمنا عبدالكريم حزب الشيوعي بالحكم مطلب عظيمي)، على شكل لجان الدفاع عن الجمهورية، التي انتشرت في جميع الدوائر الحكومية، فضلاً عن الأوساط الشعبية.

لسياسات الحكم العنصرية والطائفية والقمعية، وموقفه التضحيوي الفريد، الذي قام به في وقت تخاذلت فيه جميع القوى السياسية^(١) في العراق، خوفاً من ارهاب حزب البعث العفلقى، أو سقوطاً في مستنقع المصالح الضيقة، واغراءات الجاه والمقام.

مواقف جهادية أخرى

لقد كان للإمام الحكيم رحمته الله مضافاً إلى ذلك بعض المواقف الجهادية الشجاعة الأخرى في حقل العمل الاجتماعي، أو السياسي، أو الديني، كموقفه من قضية محاولة حذف الشهادة الثالثة في الأذان وفرض صلاة الجمعة على الناس بالقوة، ومنهج التكفير، ومنهج الإرهاب في فرض الآراء الدينية، حيث تصدى الإمام الحكيم للوقوف أمام هذا المنهج، لمواجهة التيار الشيوعي في ذلك الوقت، وموقفه من قضية تبديل ضريح العباس رحمته الله، بصورة مهينة وذليلة، وبهدف اضعاف دور المرجعية في العتبات المقدسة، أو موقفه الايجابي من قضية العلاقات الايجابية مع علماء السنة والتقريب بين المسلمين، وايجاد وحدة الموقف لهم أمام القوى السياسية المعادية للإسلام، حيث كان الوسط الديني المتحجر يقاوم مثل هذه العلاقات.

وكذلك موقفه من تطوير العلاقة مع الأقليات الدينية في العراق كالمسيحيين، التي كانت تعبر عن الرؤية الإسلامية تجاه الأقليات الدينية من

(١) القوى السياسية: القومية والوطنية والكردية، وحتى بعض القوى الإسلامية التي كانت في دور الضمف أو النشوء أو عدم التصدي السياسي.

ناحية، وتوحيد موقف الأديان تجاه حركة الالحاد المنتشرة في ذلك الوقت من ناحية أخرى، ولكن في الوقت نفسه كانت تعبر - أيضاً - عن استقلال المرجعية، وعدم انسياقها مع مشاريع الاستكبار، ومحاولاته من ناحية ثالثة. وكذلك موقفه من العمل الفدائي الفلسطيني، وقضية اعتراف إيران (الشاه) بإسرائيل، حيث كان الإمام الحكيم أول مرجع ديني عام يبادر لإسناد العمل الفدائي، بإصدار الفتوى بجوازه، ومن ثم وجوبه ومنح الإذن بصرف الزكاة في دعمه وتيسيره.

كما أنه المرجع الديني العام الوحيد الذي وقف بقوة، حينذاك أمام محاولة (الشاه) الاعتراف بإسرائيل.

وكذلك استنكاره لعدوان الشاه على الحوزات العلمية، وحركة العلماء في إيران، ضد الرضوخ والاستسلام والهيمنة الأجنبية، التي انتهت بانتصار الثورة الإسلامية.

واستنكاره لإعدام الإسلاميين وفي مقدمتهم السيد قطب في مصر. وموقفه من تشريع الأنظمة الكافرة كالاشتراكية في العراق ومصر. وغير ذلك من المواقف الكثيرة التي تعبر عن هذه الشجاعة في قول الحق ومواجهة الظلم والطغيان.

إن الشجاعة والتضحية في مواجهة الطغيان والاستبداد، وفي قول الحق والالتزام به، من أهم الصفات، التي لا بد أن يتصف بها عالم الدين، والمرجع للمسلمين، والقيادة الربانية، وهي صفة مكملة لصفات الوعي، والتقوى، والارادة القوية، والايان المطلق بالغيب، والتوكل على الله تعالى.

وهي في الوقت نفسه، تعبر عن مبدأ أخلاقي وشرط ضروري، لا بد أن يتصف به المرجع الديني الإسلامي، لأنّ من الشروط الأخلاقية والصفات الضرورية في المرجع الديني، أن يكون له موقف واضح في مقاومته الظلم، وإحقاق الحق، وإقامة العدل، والدفاع عن المظلومين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القضايا العامة، والحفاظ على الدين والشريعة من كيد الأعداء، وتحريف المحرفين^(١).

(١) الإمام الحكيم عليه السلام، السيد محمد باقر الحكيم ص ٦٥ - ٧٠.

- ٤ -

بيت المرجعية

المرجعية الدينية بمفهومها الواسع، قد تعني قيام المجتهد الجامع للشرائط مقام الإمام عليه السلام في مهماته الأساسية الثلاث، الولاية، والفتيا، والقضاء^(١).

وباعتبار أن المجتهدين كانوا يقومون بالمهمتين الأخيرتين، كما دلت على ذلك النصوص المتظافرة، لم يشك أحد من العلماء في أن المجتهد هو (المرجع) للأمة في هذه الأمورين، بل كان العلماء والمجتهدون يقومون بهذين العملين لدى المسلمين حتى في زمن الخلافة الإسلامية، ويرجع إليهم المسلمون في (الفتيا) و(القضاء).

وكان يتولى الخلفاء والسلاطين الولاية، وإدارة الحكم، بطريقة أو أخرى، وتحت مبررات مختلفة لا مجال للحديث عنها هنا.

ويأتي السؤال عن تصدي المجتهد لمقام ولاية أمور الأمة في زمن غيبة الإمام المهدي (عج).

ولا يكاد يوجد شك لدى الفقهاء الإماميين في أن المجتهد له هذا المقام، وإن كانوا يختلفون في سعة دائرة هذه الولاية ودليلها، وأنها على مستوى

(١) تناول الحديث بصورة مختصرة وعامة - عن هذا الموضوع - في كتاب (دور الأنعة في بناء الجماعة الصالحة) الجزء الأول، فصل النظام السياسي فليراجع. والمتحدث هنا في هذا القسم من البحث حول المرجعية هو السيد محمد باقر الحكيم عليه السلام.

(الحسبة) والضروريات الشرعية التي يقطع بأن الشارع لا يرضى باهمالها وتركها، أو أنها أوسع من ذلك؟ وماهي حدود هذه السعة؟ كما أنهم قد يختلفون في الدليل الشرعي الذي يدل على هذه الولاية للمجتهد، وأنه هل هو النصوص الشرعية الخاصة من الآيات أو الروايات مثل قوله ﷺ: «أما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها الى رواة حديثنا»، وغيرها؟ أو أن العلماء يمثلون القدر المتيقن للحاكم الشرعي للحكومة الإسلامية الذي دل الدليل على وجوب اقامتها؟ أو دليل الحسبة؟ مع فرض أن المجتهد هو القدر المتيقن له أو غير ذلك من أساليب الاستدلال، هذا على صعيد الخلفية النظرية والفقهية.

وأما على صعيد الواقع العملي للأمة، ولا سيما أتباع أهل البيت ﷺ، فقد كان المجتهدون يقومون بالفعل بهذه المهمات والمسؤوليات الشرعية الثلاث، وأن كان بشكل محدود وبمقدار بسط اليد بسبب الظروف السياسية والاجتماعية، شأنهم في ذلك شأن أئمة أهل البيت ﷺ في بعض الأدوار. وكان العلماء يتعرضون للأذى والمطاردة والتضييق بل الشهادة أحياناً بسبب هذا النوع من التصدي للمسؤوليات.

ولكن المرجعية ازدادت أهميتها ودورها في أوساط أتباع أهل البيت ﷺ، عندما أخذت البلاد الإسلامية تتعرض للنفوذ والغزو الأجنبي، وتعرض الكيان السياسي الإسلامي لخطر الانحراف، ثم تعرض بعد ذلك لخطر الانهيار والزوال ثم سقطت الدولة الإسلامية، الأمر الذي جعل المراجع والمجتهدين أمام مسؤولية جديدة، وهي الدفاع عن الوجود الإسلامي، ومن

ثم العمل من أجل العودة الى الإسلام بعد انحسار النظام الإسلامي والأحكام الشرعية عن المجتمع في مجال التطبيق الاجتماعي وحتى الفردي. ويبرز سؤال كبير آخر عن (الاطار السياسي) والمنهج الذي لابد للأمة أن تتحرك ضمنه في الدعوة للعودة الى الإسلام أو الدفاع عنه. فهل هو الأحزاب الإسلامية والتنظيمات السياسية السرية أو العلنية؟ أو هو مناهج التربية والتعليم وتأسيس الجمعيات والمدارس؟ أو أسلوب استخدام القوة والثورة الشعبية، وشن حروب التحرير والمقاومة المسلحة للغزو الأجنبي؟ أو الاكتفاء بالنداءات والنصائح والاستغاثات؟ هذا كله الى جانب وجود ظاهرة استفادة القوى السياسية المعادية للإسلام من كل هذه الأساليب، ولكن الاطار الأشمل الذي كانت تعتمد هذه القوى هو إطار الحزب السياسي.

وكان على المرجعية الدينية أن تختار طريقها ومنهجها الذي ينسجم مع خلفيتها الفكرية الحضارية والشرعية من ناحية، ومن أهدافها في تحسين الأمة وهدايتها في العودة الى الحياة الإسلامية من ناحية أخرى.

وقد عاش الإمام الحكيم - كما ذكرنا آنفاً - هذه الفترة الحساسة من الأوضاع السياسية والاجتماعية، وقد كان تكوين الرؤية النظرية لديه بعد الحرب العالمية بعجلة الاستعمار العسكري، أو السياسي، أو الثقافي، وكانت البدايات مرجعيته العامة بعد الحرب العالمية الثانية وانقسام العالم الى المعسكر الغربي والشرقي، وظهور الحرب الباردة واشتداد أوارها من الانقلابات العسكرية والاضطرابات العامة والتيارات الفكرية والثقافية

المتطرفة والهدامة، وظهور التيارات الماركسية والاشتراكية والقومية والوطنية... الخ.

وكان على الإمام الحكيم أن يختار طريقه ومنهجه وأسلوبه في خضم هذا التلاطم السياسي والثقافي والاجتماعي.

وقد اختار الإمام الحكيم أن يكون هذا الاطار للعمل، هو (المرجعية) الدينية الذي يجب أن يتحرك ضمنه في جميع المجالات، سواء على المستوى السياسي أو الثقافي والاجتماعي.

وقد كان هذا الخيار صعباً للغاية، لأنه جاء بعد سلسلة من الانتكاسات في العمل الإسلامي المرجعي في العراق وإيران، البلدين المهمين المركزيين لدى أوساط أتباع أهل البيت، سواء في حركة العلماء الدستورية المعروفة بحركة (المشروطة) في إيران سنة (١٣٢٤ هـ)، أم في حركة التحرر من الهيمنة الأجنبية البريطانية في العراق، الحركة المعروفة بـ (ثورة العشرين) سنة (١٩٢٠م - ١٣٣٨ هـ)، وذلك للخلاص من الحكم الأجنبي الانجليزي، وما تبع هاتين الحركتين من مجيء حكم عائلة البهلوي في إيران، ومجيء ما يسمى بالحكم الوطني في العراق، ثم ما نتج عن ذلك من قتل وتشريد ومطاردة للعلماء والمراجع، ومن هيمنة أجنبية بطريقة المعاهدات التي تفرض الوصاية، وكذلك عمليات قمع واسعة للناس والأمة.

وكذلك جاء هذا الخيار بعد تنفيذ المخطط الرهيب لعزل الإسلام وجميع مؤسساته، ومنها الحوزة العلمية والعلماء عن المجتمع والحياة، بحيث تحول الإسلام الى مجرد تراث في المجتمع يحضى بشيء من التقدير والتقدير والتكريم من خلال المراسيم والأعياد والشعائر العامة.

وتحولت المرجعية على أفضل صورها الى جزء من هذا التراث يكاد ينحصر في الرجوع إليها في العبادات وقضايا الأموات وبعض الأحوال الشخصية، بل كان بعض الأوساط العامة تنظر إليها على شيء متخلف من هذا التراث^(١).

رؤية الإمام الحكيم للمرجعية

بالرغم من أن المرجعية - كما أشرنا - تمثل في بعدها النظري امتداداً لحركة النبوة والإمامة. ولكن من الناحية الواقعية في الفترة الزمنية التي عاصرها الإمام الحكيم، كانت قد انطوت على نفسها للأسباب والعوامل والظروف السابقة - التي أشرنا إليها - وأصبحت تعيش عزلة عميقة في مجمل أوضاعها العامة، بحيث يجعل التحرك العام في إطارها أمراً بعيد المنال. وسوف أتناول هنا خيار الإمام الحكيم لإطار العمل العام ومنهجه فيه من خلال عرض رؤيته للمرجعية والحديث عن التطورات المهمة التي حققتها على مستوى العناصر الرئيسية في هذه الرؤية، واختار الساحة العراقية كنموذج لتطبيق هذه الرؤية، علماً بأن حركته كانت تشمل مساحات واسعة من العالم الإسلامي الذي يعيش فيه أتباع أهل البيت عليهم السلام، والذين ارتبطوا بمرجعية الإمام الحكيم، وحوزة النجف الأشرف، وقد تأثرت هذه المساحات

(١) لقد كان يصف الإمام الحكيم النتائج والآثار لهذا المخطط الرهيب حيث كان يقول: إن الأوضاع السياسية والاجتماعية أصبحت على هذه الصورة: (إن أحدهم إذا أراد أن يحصل على وظيفة في أجهزة الدولة أو يقترب إليها فعليه أن ينظم بيتين من الشعر يتناول فيها الدين أو المقدسات بالنقد أو الإنكار؛ ليكون ذلك له شافعاً في تحقيق هدفه). أو (أن الإنسان إذا أصبح موظفاً لدى الدولة فعني ذلك أنه قد انقطعت صلته مع الإسلام)، اجتماعياً، وحتى روحياً وسلوكياً.

بهذه الرؤية والتطورات كما سوف أُشير الى ذلك عرضاً. لقد كان الإمام الحكيم ينظر الى اطار المرجعية من خلال ايجاد التكامل بين مجموعة من العناصر، يمكن تلخيصها في الأمور الثلاثة التالية: (المرجع والحوزة والأمة) مع الفهم الإسلامي لكل واحد منها، وتصور صحيح لموقعها ودورها في التكامل، والعلاقة بينهما في الارتباط والأداء، وبذلك يمكن من خلالها تحقيق الأهداف المطلوبة.

أولاً: المرجع وجهازه

يمثل المرجع في نظر الإمام الحكيم أهم عنصر وموقع في إطار النظرية التي يؤمن بها في مجال العمل والتحرك، وهو الموقع القيادي وكان يتصور في شخصية المرجع بعدين مهمين وأساسيين:

أحدهما: الجانب الذاتي الحقيقي الذي تحدثنا عن نموذج له من خلال السيرة الذاتية للإمام الحكيم، والذي يمكن أن نلخصه في أبعاد: العلم، والعدالة العالية^(١)، والقدوة الصالحة في المواصفات الشخصية، والتصدي للعمل المرجعي من موقع الاحساس بالمسؤولية الشرعية^(٢) تجاه

(١) لم يكن الإمام الحكيم يكتفي في المرجع بالعدالة بمستوى العدالة في الشهود أو إمام الجماعة، بل لابد من مستوى عالٍ لذلك، تتناسب مع هذا الموقع ومسؤولياته، وأهم معالم هذه العدالة في هذا الموقع بعد التقوى العامة، الزهد بحب الرئاسة والشهرة، وحب الدنيا والحرص على المصالح العامة للأمة، وتقديمها على المصالح الخاصة، والتصدي للظلم والظلم، والإختيار للحاشية والمستشارين الصالحين، والعدالة في صرف الأموال وتوزيعها.

(٢) لقد كان الإمام الحكيم يشعر بهذا الهم في بداية تطوره العلمي والحوزوي، حيث اقترح عليه بعض وجهاء الحوزة، أن يتولى الوكالة لبعض العراجع في بعض بلدان العراق المهمة آنذاك (السنافية)، قبل أن

الموقع والأمة.

ثانيتها: الجانب الاجتماعي الحقوقي والذي يتمثل بالايان بأن المرجعية هي عبارة عن منصب ديني قيادي يتسم بالنقاء والطهارة والأصالة، ويقوم بواجبات ويتحمل مسؤوليات تجاه الأمة والإسلام، سواء في الاهتمام بقبضايها الكبرى أو الدفاع عن حقوقها أو توعيتها على واجباتها أو تربيتها أو تثقيفها وتعليمها أو تقديم الخدمات المختلفة لها.

وهكذا الأمر تجاه الإسلام والشريعة الإسلامية، حيث تتحمل المرجعية الدعوة الى الإسلام في السر والعلن والدفاع عنه، سواء في مجال العقيدة أو الشعائر أو الأحكام، والعمل على تطبيقه، وتحمل الآلام، والمعاناة، والجهد في سبيل الله من أجله.

ولا بد للمرجع من التصدي لهذه المسؤوليات، والعمل على توفير الشروط الموضوعية والتشكيلات والمؤسسات المناسبة في الأجهزة الخاصة بالمرجعية أو في الحوزة أو في أوساط الأمة، حتى يمكنه أن يؤدي دوره الكامل.

→ يذهب إليها آية الله الشيخ كاظم الغبان أحد فضلاء الحوزة، وقد كان والده الإمام الحكيم - كما عرفنا - قد ذهب في عمل مشابه الى لبنان، وذهب أخوه الأكبر آية الله السيد محمود الى عمل آخر في خاتمين، وغيرها من بلدان العراق، ولكنه كان يقول بأنني أسكت في البداية، في مقابل هذا الطلب، ورفضته بقوة بعد اللاحاح علي به، وقلت في تفسير ذلك بأن النجف لا يصح أن تبقى فارغة من أمثاله.

واذكر بالمناسبة أن سيدي الوالد^(عليه السلام)، أرسلني بصورة موقفة للقيام بمهمة التبليغ والوكالة في مدينة الكوت، وقد تحدث الشهيد الصدر لسماحة السيد الوالد بالواسطة في هذا الشأن، وطلب منه أن لا يكون هذا الإرسال دائماً، وكتب لي الشهيد الصدر رسالة بهذا الموضوع، لازلت احتفظ بها، ولا أقيس نفسي - طبعاً - بهؤلاء الأعلام، ولكن أريد أن أشير الى طبيعة تفكيرهم وإحساسهم بالمسؤولية، تجاه السرجية وأجهزتها ونشاطها.

وفي مراجعة عامة لمرجعية الإمام الحكيم، يمكن أن نشاهد هذه الرؤية في عموم مسار عمل ونشاطات مرجعيته في مختلف المجالات السياسية والثقافية والاجتماعية، وحتى في العلاقات الشخصية، فضلاً عن العلاقات العامة.

معالم في الموقع القيادي للمرجعية

وعلى مستوى موقع (المرجع)، يمكن أن نشير الى بعض المفردات ذات الأهمية والمعالم الخاصة، والتي توحى بهذا الفهم للمرجع. المفردة الأولى: اعتماد الإمام الحكيم على اعطاء دور مهم للدواوين النظيفه المصطلح عليها بـ (البراني) في عمل ونشاط المرجع، فبالرغم من وجود هذه الدواوين في المجتمع العراقي بشكل عام وفي الحوزة بصورة خاصة، ولكنها كانت مكاناً للتشريفات أو لاتلاف الوقت أو للترفيه أو على أفضل تقدير كانت مجرد نادي أدبي واجتماعي أو علمي، يقوم بمبادرات فردية في بعض الأحيان.

وأما من خلال التطور الذي أحدثه الإمام الحكيم من خلال رؤيته للمرجعية والمرجع، فقد أصبحت هذه الدواوين كديوان آل بحر العلوم، وآل الشيخ راضي وآل الحكيم^(١) وغيرها، تقوم بدور مهم في مختلف المجالات

(١) كان المسؤول عن الديوان الأزل هو العلامة السيد علي بحر العلوم، ومن بعده ولده السيد محمد بحر العلوم. وعن الثاني الشيخ محمد كاظم آل راضي، ومن بعده أخوه الشيخ محمد جواد آل راضي. وكان المسؤول عن الثالث السيد محمد سعيد الحكيم، ومن بعده ولده آية الله السيد محمد حسين الحكيم.

السياسية والاجتماعية والعلمية، وتحمل مسؤوليات وأدوار ضمن هذا الإطار العام.

والمفردة الثانية: جماعة العلماء والتي كانت تضم نخبة مهمة من الطبقة الثانية والثالثة من المجتهدين، حيث كان لها دور سياسي وفكري قيادي مهم، سواء من خلال تصديها وبياناتها واحتفالاتها أو من خلال مجلة الأضواء الإسلامية. وكانت تمثل نموذجاً وفتحاً مهماً في هذا المجال الإسلامي، واقتدت بها الأوساط الإسلامية في العراق وإيران^(١).

والمفردة الثالثة: الوكلاء والعلماء القياديون الذين كان الإمام الحكيم يطلب منهم التصدي بشكل خاص للعمل السياسي والاجتماعي والثقافي من هذا الموقع كممثلين للمرجعية في هذا المجال، وكان يعينهم ويدعمهم ويشجعهم ويحاسبهم على القيام بهذه المسؤوليات، حيث أوجد الإمام الحكيم تطوراً ملحوظاً في هذا المجال كان له تأثير كبير على مختلف المستويات.

والمفردة الرابعة: تأسيس وتبني المؤسسات في الأبعاد المختلفة، ولعل أبرز عمل في هذا المجال هو تأسيسه لشبكة واسعة من المكتبات العامة الإسلامية، وإسناده للعمل الإسلامي المنظم في إطار وتصور مميز.

وكذلك تبنيه لبعض المؤسسات الاجتماعية التي تحولت من خلال لهذا الإلتزام الى عمل ثقافي واجتماعي ضخم، مثل جمعية الصندوق الإسلامي

(١) لقد كان لجماعة العلماء المجاهدين (جامعتي روحانيت مبارز) في إيران دور عظيم في تنفيذ ظروف الثورة واستادها والدفاع عنها الى جانب مرجعية الإمام الخميني عليه السلام. حيث كان تأسيسها بعد تأسيس جماعة العلماء في النجف.

الخيرى، أو اسناده لجمعية (جامعة الكوفة).

ان هذه المفردات وغيرها كان يراها الإمام الحكيم مؤسسات وأجهزة تابعة لموقع المرجعية أو خدماتها، وتكتسب أهميتها وفعاليتها وقدرتها ضمن إطار عملها وادراكها لمسؤولياتها وإلتزامها بأهداف المرجعية العامة^(١).

والمفردة الخامسة: هي مفردة (الحاشية) أو المستشارين أو المساعدين، حيث اعطاها الإمام الحكيم روحاً جديدة ليس على مستوى (الأداء) والتوجه والوعي فحسب.

بل على مستوى (الالتزامات) ومواصفات التقوى والشعور بالمسؤولية والرقابة من ناحية أخرى.

وعلى مستوى (النوعية) في انتخاب الأفراد، الذين كان يهتم أن يكونوا من ذوي الفضل والاجتهاد، أو من الأسر العلمية العريقة في الشرف، والنبل، والابتعاد عن حالة الاحتراف الوظيفي من ناحية ثالثة^(٢).

(١) يمكن أن نفهم هذه النظرية بوضوح، إذا رجعنا الى تاريخ ومواقف الإمام الحكيم ﷺ تجاه بعض مصاديق هذه المفردات، حيث أن الإمام الحكيم كانت له مساهمة فعالة في تأسيس جمعية منتدى النشر، من هذا المنطلق؛ وعندما تحوّلت الى مجرد عمل ثقافي، لا يعيش هذا الفهم، تخلى الإمام الحكيم عن الأهتمام بها، مع أنني كنت قريب منه في موقعه الجغرافي والحوزوي، وهكذا الحال بالنسبة الى بعض الركلاء المهمين، الذين كانوا قريبين جداً من حوزته، أو بعض الدواوين الاجتماعية، مثل السيد سعيد الحكيم في البصرة، والشيخ محمد رضا فرج الله، ودويان آل مطر، وغيرها من الدواوين، الذي حول اهتمامه عنها، لتحولها عن الخط النظري الخاص.

(٢) كان فيهم من الإيرانيين آية الله السيد مرتضى الخليلي، وآية الله السيد محمد نجل آية الله العظمى السيد

فبالإضافة إلى أولاده الذين كانوا يقومون بدور في هذا المجال مع اهتمامهم بالدرس والتدريس، نجد أن الأثرية الساحقة لمساعدته، كانت لهم فعاليات ثقافية واجتماعية مباشرة، وشخصيات معروفة في الأوساط العلمية. وعلى مستوى (الانتماء الحوزوي والاقليمي)، حيث كان يولي أهمية لتعدد هذه الانتماءات، فقد كان فيهم مضافاً إلى العراقيين، اللبنانيين، والاييرانيين والأفغانيين والباكستانيين والهنود والخليجيين وغيرهم، من ناحية رابعة.

وقد أشرنا في السيرة الذاتية، ان الحاشية كان يعطيها الإمام الحكيم دور المستشارين من أصحاب الرأي، ودور الاداريين التنفيذيين، دون أن يفقد من خلال وجودهم استقلاله في القرار وتوجيه الأمور.

ان هنا رؤية أخرى مهمة للإمام الحكيم للحاشية، هو أنه كان يرى أن من الواجب فيها أن لا تتحول إلى دور وظيفي مهين، بل لا بد أن تبقى تعيش في صميم أوضاع الحوزة وعلاقاتها العلمية والاجتماعية لتحتفظ بحيويتها وتفاعلها الروحي والنفسي واندفاعها الذاتي. لذا نجد الأغلبية الساحقة لحاشيته تمارس الدرس والتدريس والعلاقات الاجتماعية العادية وحتى في وسط أولاده الصليبين.

١- جمال الدين الموسوي، وآية الله الشيخ محي الدين نجل آية الله الشيخ عبدالله المامقاني، والشيخ محمد نجل آية الله الشيخ عبدالحسن الرشتي، والسيد إبراهيم البيزدي نجل آية الله السيد علي البيزدي، ومن اللبنانيين آية الله الشيخ محمد تقي الفقيه، وآية الله السيد حسين مكّي، ومن العراقيين آية الله العظمى الشيخ حسين الحلّي، وآية الله الشيخ محمد جواد الشيخ راضي، وآية الله السيد موسى بحر العلوم، ومن الأفغانيين آية الله الشيخ سلطان علي، وآية الله السيد محمد سرور الواعظ، ومن الباكستانيين السيد صادق علي شاه، وغيرهم كثيرون.

ثانياً: الحوزة العلمية

تأتي الحوزة العلمية من حيث الأهمية العامة والثابتة في الدرجة الأولى، لأنها هي التي تنتج العلماء والمراجع والقادة، ولكنها من حيث موقع العمل والنشاط والاطار العام للحركة تأتي في الدرجة الثانية من الأهمية، لأنها تمثل المؤسسة التي هي حلقة الوصل بين القيادة (المرجع) والأمة من ناحية، كما تمثل الوسط القادر على التفكير والابداع والتخطيط و(الكادر) المتقدم في عموم التحرك الإسلامي، في نظرية المرجعية من ناحية أخرى.

والحوزة العلمية كمؤسسة لها وجود وامتداد عميق في التاريخ الإسلامي، سواء على المستوى العام حيث بدأت في الوجود والنشوء زمن النبي ﷺ عندما نزل القرآن بذلك في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْمُؤْمِنُونَ يُتَفَرِّقُونَ كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾^(١).

أو على المستوى الخاص لاتباع أهل البيت ﷺ، حيث أولوا هذا العمل اهتماماً بالغاً وعناية خاصة، بدأ مع الإمام علي عليه السلام، وتطور بشكل ملحوظ في زمن الإمامين الصادقين محمد بن علي الباقر، وجعفر بن محمد الصادق عليه السلام، وعلى آبائهما أفضل الصلاة والسلام.

وأصبحت هذه المؤسسة من مختصات ومميزات هذا المذهب الأصيل

(١) التوبة: ١٢٢.

في الإسلام وهذه المدرسة المشرفة المعطاء.

ولكن لهذه المؤسسة العظيمة المقدسة دور عظيم في مختلف مراحل التاريخ الإسلامي، ولكنها أصيبت ببعض الهزات والمشاكل التي أشرت إليها آنفاً بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية، حتى أصبحت في ظروف صعبة، وفي بعض الأحيان في عزلة عن المجتمع والأمة.

ولاشك أن أهم حوزة علمية لدى أتباع أهل البيت على الإطلاق زمن مرجعية الإمام الحكيم هي حوزة النجف الأشرف^(١)، والتي كانت تعاني من مشكلات حادة وصعبة في ذلك الوقت؛ ولا سيما بعد وفاة المرجع الأعلى آية الله السيد أبو الحسن الإصفهاني^(٢)؛ والذي زاد في حجم وعمق المشكلات والمصاعب والضغط الداخلية والخارجية، وكذلك الروحية والمادية؛ حتى كانت مرجعية الإمام الحكيم الذي أحدثت تطوراً ملموساً ومهماً في حوزة النجف الأشرف وفي مختلف المجالات والأبعاد؛ والتي سوف نشير إلى بعضها في إطار بيان الرؤية العامة النظرية والعملية لدى الإمام الحكيم للحوزة العلمية.

(١) بعد وفاة الإمام الحكيم تعرضت حوزة النجف إلى عسليات قمع ومطاردة واسعة في ظل نظام حكم حزب البعث المفلقي، الأمر الذي أدى إلى ضمور واضح فيها، وهجرة واسعة منها إلى حوزة قم، ولكنها بقيت والحمد لله ثابتة صامدة، قدمت الكثير من نخيرة رجالها شهداء في سبيل الله، وهذا الموقف الصامد، وقد تطورت حوزة قم بشكل واسع بعد ذلك ببركة قيام الدولة الإسلامية في إيران، وهجرة عدد من كبار العلماء والفضلاء من حوزة النجف إليها، حتى أصبحت الآن الحوزة الأولى على الإطلاق.

الرؤية العامة عند الإمام الحكيم للحوزة العلمية

١- الحوزة محور العمل الثقافي والسياسي

لقد كان الإمام الحكيم عليه السلام يرى أن الحوزة العلمية يجب أن تكون محور العمل السياسي الديني، كما هي محور العمل الثقافي والتربوي، وانها المؤسسة الإسلامية التي تمثل القاعدة القوية والصلبة والأصيلة في منهجها، وأسلوبها، وفكرها، وثقافتها، ونقائنها، ونزاهتها.

وكان الإمام الحكيم ينعى على بعض أفراد الحوزة العلمية عزلتهم عن التمتع وانزوائهم في مجالس البحث والدرس والعبادة، دون تطور في الأداء التبليغي أو المساهمة في ارشاد الأمة، ودون الاهتمام بمشاكل الناس والمجتمع العامة، والقضايا الفكرية والاجتماعية والسياسية التي تعيشها الأمة.

كما انه في نفس الوقت كان يرى من الضروري لأبناء الحوزة أن يكونوا على مستوى عالٍ من التقوى، والأخلاق، والاخلاص، والنزاهة والابتعاد عن الشهوات، أو الارتباطات المشبوهة، والاحتياط من الشبهات السلوكية الاجتماعية.

وقد أوجد الإمام الحكيم من خلال مرجعيته ونشاطه على مستوى الحوزة وعياً واسعاً في أوساطها لهذا التوجه والفهم للحوزة ودورها. وقد ترك هذا

الوعي آثاره في مختلف الأوساط الحوزوية المنتمية لمناطق متعددة من العالم الإسلامي الذي يعيش فيها أتباع أهل البيت عليهم السلام وحتى غيرهم من الأوساط.

حيث نلاحظ جذور الوعي الإسلامي لدور الحوزة والعلماء في العراق ولبنان، والباكستان، وأفغانستان، والهند، والخليج، وأفريقيا من خلال العلماء الذين كان لهم تأثير كبير في هذه الأوساط، والذين تربوا في أحضان الحوزة العلمية في النجف الأشرف، زمن مرجعية الإمام الحكيم عليه السلام، وتأثرها في هذا الوعي.

وبالرغم من أننا لا بد أن نؤكد أن تطوراً عظيماً ونقلة نوعية في وجود هذا الوعي كان بسبب الثورة الإسلامية في إيران، ولا سيما بعد قيام الدولة الإسلامية على يد العالم الرباني، والإمام المؤيد بنصر الله السيد الخميني عليه السلام. إلا أن هذا التأكيد للحقيقة والواقع، لا يعني التغاضي عن ذلك الدور العظيم الممهد والمؤسس لهذه النهضة لمرجعية الإمام الحكيم في هذه الأوساط^(١).

(١) يمكن أن نلاحظ ذلك بوضوح، إذا لاحظنا رواد العمل الإسلامي الواعي في مختلف مناطق العالم الإسلامي، التي يتواجد فيها أتباع أهل البيت، الذين تخرجوا من مدرسة النجف أو تفاعلوا مع مرجعية الإمام الحكيم على الأقل، مثل السيد موسى الصدر، والسيد محمد حسين فضل الله، والشيخ محمد مهدي شمس الدين، والشيخ راغب حرب، والسيد عباس الموسوي في لبنان، والسيد عارف الحسيني، والسيد ساجد علي، والسيد صفر حسين، والشيخ محسن النجفي في باكستان، والسيد محمد سرور الواعظ، وقبله الشيخ سلطان علي، والشيخ آصف محسني، والسيد الفاضل، والشيخ قربان علي في أفغانستان، والسيد علي السيد ناصر، والشيخ عبدالهادي الفضلي، والشيخ علي الكوراني، والشيخ محمد مهدي الآسفي، وكذلك السيد ذیشان حيدر، والسيد سعيد اختر الرشوي، والسيد محمد الموسوي في الهند، والسيد محمد مهدي الحكيم،

وحتى في الأوساط الإيرانية كان هناك دور واسع وعميق لمرجعية الإمام الحكيم إذا أخذنا بنظر الاعتبار انعكاس السياسة للإمام الحكيم على الأوساط الإسلامية وتقدمها على المرجعيات الأخرى المعاصرة لها في هذا المجال، وكذلك الدعم والاسناد الواسع الذي قامت به مرجعية الإمام الحكيم لهذا التوجه والوعي في إيران وحوزة قم، فضلاً عن تبنيتها للمطلبة الثوريين الإيرانيين في حوزة النجف الى جانب الطلبة الآخرين^(١).

٢- إسلامية الحوزة

والحوزة العلمية هذه المؤسسة الرائدة المتقدمة، لا بد أن تكون إسلامية ليس في محتواها وهمومها فحسب حيث أن هذا هو أمر طبيعي، بل لا بد أن تكون كذلك في علاقتها وشعورها بالمسؤولية تجاه مختلف العالم الإسلامي فالإيراني والعراقي واللبناني والباكستاني والخليجي وغيرهم لا بد أن يحمل كل واحد منهم هموم الآخرين، ويساهم بشكل مناسب في ميدان العلم الآخر إذا سمحت الفرصة أو كان هناك فراغات في العمل.

ومن هنا نجد الإمام الحكيم^{عليه السلام} بالرغم من الظروف السياسية الصعبة

١- والسيد محمد بحر العلوم، والشيخ محسن العراقي في لندن، وغيرهم... الخ.

وكذلك الخطباء المهمين، الذين تخرجوا من مدرسة النجف، وكان لهم دور كبير في التوعية العامة.

(١) هناك بعض الوثائق الإيرانية التي نشرت مؤخراً تؤكد هذه الحقيقة التي أدركها نظام الشاه في ملاحظته للتطور الكبير الذي حصل في حوزة قم، وإن كان النظام يحاول تفسيرها تفسيراً مادياً حسب طبيعته في فهم الأشياء. ويمكن أن نلاحظ وجود بعض الأعلام المهمين في الثورة من مدرسة النجف، أمثال الشهيد مدني، والشهيد الطباطبائي القاضي.

استفاد بشكل واسع من الطلبة والعلماء اللبنانيين والإيرانيين ومن غيرهم في الأعمال التبليغية وفي التوعية، في العراق وملاً بعض الفراغات والمناطق المهمة بشكل مؤقت أو دائم، وكذلك الحال في مناطق أخرى مثل لبنان والخليج وأفريقيا وتركيا وسوريا.

وفي بُعد آخر من هذا الموضوع اهتم الإمام الحكيم بإلغاء حالة الشعور بالامتياز أو التعصب للانتماءات القومية والاقليمية في أوساط الحوزة، والتي كانت تنشأ أحياناً بسبب قوة الأوضاع الاقتصادية أو النفوذ الإداري أو العلمي والشعور بالاستعلاء والامتياز بسبب ذلك، أو الاحساس بالمظلومية والحرمان والدونية بسبب الاستضعاف وقلة الموارد، وغير ذلك من الأسباب. وهذه المشاريع بالإضافة إلى آثارها السلبية في العلاقات بين أطراف الحوزة وتماسكها، كان لها آثاراً سلبية في نموها وتطورها العلمي والروحي.

وفي بعد ثالث من هذا الموضوع اهتم الإمام الحكيم بشكل خاص بأبناء الحوزة من البلدان المستضعفة، كما هو الحال في أفغانستان والباكستان والهند ولبنان والعراق، وغيرها على مستوى تنمية العدد، حتى أنه بلغ عدة أضعاف في بعض الجاليات، وعلى مستوى رعايتهم المعنوية والمادية، وبت روح الاعتماد على النفس والثقة بالمستقبل، وعلى مستوى التحصيل العلمي، لايجاد حالة نسبية من التوازن الواقعي بين الجاليات الإسلامية في الحوزة.

ان هذا الجانب من العمل كان يحتاج من الإمام الحكيم أن يبذل جهوداً استثنائية لتحطيم الحواجز النفسية والأطر الاجتماعية الحوزوية، وتجاوز

بعض التقاليد في التعامل مع الحوزة أو بين أبنائها، وقد قدمت توضيحات كبيرة في هذا المجال من أجل الوصول الى هذا الهدف. وكان هذا الاهتمام بالغاً الى درجة أن بعض الأوساط كانت تحاول التقليل من أهمية مرجعية الإمام الحكيم بالقول عنه أن جماعته هم التبتية، والنكرية، والبربرية والشروقية، والعوامل...^(١) وهكذا.

وفي بُعد رابع من هذا الموضوع، دافع الإمام الحكيم والى النفس الأخير عن بقاء حوزة النجف مفتوحة أمام جميع أقاليم العالم الإسلامي، للاستفادة من ينابيعها الثرية، ومدارسها العلمية الغنية، ومنهجها في التربية.. وكانت الأوضاع السياسية تضغط بقوة من أجل أقلمة النجف أو جعلها عربية على أفضل تقدير.

وقد تحمل الإمام الحكيم في سبيل هذا الفهم للحوزة بكل هذه الأبعاد آلاماً ومعاناة ومحن داخلية وخارجية انتهت به بعد ذلك الى موة تشبه موة الشهداء^(٢).

(١) التبت: منطقة فقيرة في الباكستان، وكذا (نكر)، ويراد من البربرية: الأفغانيين، ومن الشروقية: الطلبة الشرقيين العراقيين من مناطق العمارة، والناصرية والبصرة، ومن العوامل: أبناء جبل عامل في لبنان.
(٢) لقد كانت بداية (المحنة) مع حكومة المفاقة والمواجهة معهم في قضية تفسير الطلبة والعلماء الإيرانيين، ثم تطورت بعد ذلك الى محنة القمع والإستئصال للتيار الإسلامي الديني، حتى توفي الإمام الحكيم، بعد سنة من ذلك تقريباً.

٣- وضع أسس الاستقرار والثبات

من الواضح أن الحوزات العلمية الإمامية تعتاز عن غيرها من المؤسسات العلمية في العالم الإسلامي، بأنها مستقلة في إدارتها ومناهجها ومواردها وكانت تعتمد في ميزانيتها على الله تعالى، والدعم الشعبي للمؤمنين من خلال الحقوق الشرعية، وتدار أيضاً بطريقة ذاتية تطوعية، سواء على مستوى المراجع أو المدرسين أو الطلبة، أو اختيار المناهج عبر مجموعة من التقاليد والالتزامات الأخلاقية أو السلوكية العامة، أو الانتخاب الفردي الحر.

ولا تمنح شهادات أو وثائق لخريجها، ولا توجد جهة رسمية تعترف بها، أو تهيمن على شؤونها.

وهذه الخصائص في الوقت الذي كانت تمثل امتيازاً مهماً من الناحية الروحية والمعنوية وفي علاقاتها بالأمة، لكنها كانت في الوقت نفسه تشكل نقاط ضعف في بنية الحوزة تجعلها عرضة للهزات والانتكاسات، وتأثير الضغوط المختلفة النفسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية، والتي يعرفها أبناء الحوزة العلمية أكثر من غيرهم.

وقد حاول الإمام الحكيم عليه السلام إرساء بعض القواعد والأسس، وتحقيق بعض الانجازات والمكاسب، بهدف تحقيق المزيد من الاستقرار والثبات في الحوزة العلمية، نشير الى بعض معالم هذه الأسس والانجازات.

١- التعامل مع العلماء والطلبة على أساس العلاقات الحوزوية، العلم والفضل، التبليغ والتأليف، التقوى والالتزام، سواء في دفع الرواتب، أم الاهتمام المعنوي، ولعل الإمام الحكيم - فيما نعلم - كان أول مرجع في هذا العصر بدأ مرجعيته بدفع ما يصل إليه من حقوق شرعية الى الطلبة والفضلاء دون أن يأخذ بنظر الاعتبار انهم ممن يحضرون درسه، أو يتقربون منه في محل العمل، أو ينتمون إليه إقليمياً.

كما كان يصنع بعض الأعلام والمراجع في البداية مثل ذلك من التمييز، ولعله لمبررات شرعية أو عرفية عند عدم القدرة على استيعاب الجميع، والاقتصار على الأقربين.

٢- محاولة إيصال الطالب الى مرحلة الاستقلال المالي النسبي، من خلال الروايات التي يحصل عليها طلاب العلوم الدينية في التجف.

٣- تأسيس المدارس أو تجديد بنائها أو تأجير الأماكن من أجل تغطية النمو الكبير في عدد الطلبة المجردين واستيعابهم.

٤- ارسال الوكلاء الى المدن والبلاد المختلفة لتغطيتها على المستوى الثقافي والتبليغي، وتنشيط اهتمامهم بالحوزة والطلبة ودعمها.

٥- الاهتمام بتنظيم الدراسات الحوزوية وتأسيس المدارس من أجلها، مع ادخال واستيعاب بعض الدورات والأبحاث الجديدة، لتغطية حاجة الطلبة الجدد من المدرستين، والاعداد المضاعف منهم، وتنظيم أمورهم وإعدادهم للقيام بواجباتهم الإسلامية، وكانت (مدرسة العلوم الإسلامية) أول مدرسة

حوزوية في هذا المجال.

٦ - توعية الأوساط الدينية الشيعية على ضرورة الاهتمام بالحوزة ورعايتها وكفالتها، وكذلك كفالة الطلبة الذين ينتمون الى هذا البلد أو ذاك.

٧ - المطالبة بالاعتراف بالدراسات الحوزوية على مستوى الاعفاء من الخدمة العسكرية في الجيش، أو منح الإقامة أو منح جوازات السفر للمطاردين، أو غير ذلك من الشؤون ذات العلاقة باستقرار الطالب.

٨ - تشجيع حركة التأليف والنشر وتأسيس المراكز العلمية لخدمة هذه الأغراض الثقافية، بدرجة أن الخط البياني المتصاعد لهذه الحركة ضرب رقماً قياسياً.

وقد حقق الإمام الحكيم في مختلف هذه الأبعاد انجازات مهمة، وأرسى قواعد ورسم اتجاهات لازالت مؤثرة في عموم الأوضاع الحوزوية حتى الآن^(١).

ثالثاً: الأمة

تمثل الأمة في اطار حركة المرجعية ونظريتها عنصراً مهماً يعبر عن مجال عملها ونشاطها من ناحية، وعن الهدف الأساسي لها في التحرك من ناحية أخرى، حيث أن المرجعية ليست دولة أو حكومة، وانما هي نظام للعمل في الأمة في ظل حكومة قائمة، شرعية أم غير شرعية، ولكنها أيضاً

(١) وكل واحد من هذه المعالم والإنجازات، يحتاج الى حديث واسع لشرح تفاصيله، نجد بعضه في ما نشر عن الإمام الحكيم من كتب وأبحاث ومقالات.

تمارس بعض الأدوار والنشاطات التي تشبه دور النظام السياسي، وذلك لملأ الفراغ الديني والشرعي، في مساحة مهمة متروكة لهذه المؤسسة أو عندما تتخلى الدولة عن واجباتها أو تعجز عن القيام بها أو تنحرف وتتعدى حدودها المرسومة لها في نظر الشرع المبين.

فالأمة إذن هي ساحة وميدان عمل المرجعية.

كما أن الأمة في الوقت نفسه هي هدف المرجعية، لأنها تستهدف بالأصل هداية الناس الى الله تعالى وإيجاد الوعي في صفوفهم للحقائق الإلهية والحياتية ودعوتهم للالتزام بها وتربيتهم والدفاع عن حقوقهم وكراماتهم وحريرتهم.

ومن خلال هذين البعدين تنظر المرجعية الى الأمة وتتحرك باتجاهها. وكما رأينا فإن المرجعية تعتمد بالأصل في وجودها وقدرتها على الأمة بعد الله تعالى، وكلما كانت علاقة المرجعية بالأمة قوية وحميمة، كلما كانت المرجعية مقتدرة ومؤثرة والعكس صحيح أيضاً.

ومن هنا نجد الإمام الحكيم يهتم اهتماماً بالغاً بهذا الجانب والبعء في حركة المرجعية، وتحقيق انجازات كبيرة سواء على مستوى فهم دور الأمة ومسؤولية المرجعية تجاهها، أو على مستوى سعة النشاطات وشموليتها، أو على مستوى الأهداف المنشودة في أوساط الأمة.

ويمكن أن نلاحظ ذلك في النقاط التالية:

بناء العلاقات مع الأمة

الأولى: الاهتمام البالغ بأبناء الأمة من خلال بناء العلاقات ومدد الجسور المباشرة معهم، مضافاً:

١- على المستوى الشخصي، حيث كان يجلس لاستقبال الناس في اليوم ثلاث مرات، مضافاً إلى أيام الأعياد والمناسبات العامة، وبعد ازدياد حجم الأعمال والمسؤوليات أصبح الجلوس مرتين.

٢- كان يجيب على الرسائل وعلى بطاقات ورسائل التهاني والتعازي، ويؤم صلاة الجماعة التي يلتقي فيها بالناس عادة بعد انقضائها، ويحضر المجالس العامة، والزيارات المخصصة للإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، حيث يكون اللقاء شاملاً ويزدحم الناس لزيارته وعرض قضاياهم ومشاكلهم وحوادثهم... إلى غير ذلك من الأساليب.

٣- الزيارات التي كان يقوم بها إلى بعض البلاد المهمة كبغداد والكاظمية والحلة، أو زيارته إلى لبنان وغيرها مما كان يفسح المجال للقاءه من ناحية، والتعرف على أوضاع الناس من ناحية أخرى.

وبالرغم من أن هذه الزيارات كانت محدودة نسبياً، ولكن هذا الأسلوب على مستوى المرجعية العامة أول من مارسه هو الإمام الحكيم، لا سيما إذا أخذنا بنظر الاعتبار قلة الوسائل والامكانيات، وصعوبة الاتصالات، وعدم تعبيد الطرق أو وجود وسائل النقل المناسبة، حيث لم يكن يملك الإمام

الحكيم، وسيلة نقل خاصة إلا في أواخر أيامه.

٤ - عمل الإمام الحكيم على مد الجسور والاتصالات مع الأمة من خلال شبكة الوكلاء، والممثلين، والمبلغين، والمكاتب العامة، والفعاليات الجماهيرية الواسعة كالاحتفالات الضخمة السنوية والموسمية، أو الندوات الفكرية والثقافية، التي كانت تقيمها المؤسسات التابعة للمرجعية أو المرتبطة بها أو القيام بتقديم الخدمات الدينية في موسم الحج من خلال تأسيس بعثة دينية على شكل هيئة لأول مرة في تاريخ المرجعية، حتى أصبحت سنة متبعة بعد ذلك للمراجع الدينيين.

٥ - القيام بتقديم الخدمات العامة على مستوى ارسال الهيئات للإصلاح بين العشائر العراقية في النزاعات والخلافات التي كانت تحدث بينها، أو القيام بارسال وفود لافتتاح الحسينيات والمساجد والمؤسسات، أو ارسال المساعدات في الحوادث الطبيعية كالزلازل أو الفيضانات^(١) وغير ذلك من المساهمات التي كانت تشعر الأمة من خلالها بالاهتمام والارتباط والحضور للمرجعية كمؤسسة تهتم بشؤون الأمة وقضاياها.

٦ - اهتم في هذا المجال بتأكيد العلاقة بالأوساط المحرومة دينياً أو اجتماعياً، أو التي تعرضت الى العزلة والانقطاع عن المرجعية الدينية - لأسباب سياسية واجتماعية - مثل الموظفين وطلاب الجامعات والمهاجرين من الريف الى المدن وكذلك أوساط العشائر العراقية والأرياف.

(١) لكل واحد من هذه العناوين توجد شواهد وأمثلة تشكل مجموعها سبقاً للمرجعية الإمام الحكيم وقد أعرضنا عن ذكرها اختصاراً للوقت.

٧- قام الإمام الحكيم بانجاز عظيم في هذا المجال من خلال ايجاد العلاقات الدينية القوية مع أوساط كانت معزولة تماماً عن المرجعية، بحيث تعرضت لأخطار الانحراف أو الضياع مثل بعض مناطق الشمال الغربي في العراق، في كركوك والموصل، والعلويين في سوريا، والشيعية في تركيا وافريقيا... الخ.

لقد كانت هذه النقطة من المزايا الواضحة التي كانت تلفت النظر في مرجعية الإمام الحكيم ﷺ، وقد أدركتها الأمة بوجودها وعقلها، ولا زالت تشعر بآثارها النفسية والروحية.

إحياء الشعائر الإسلامية

الثانية: الاهتمام البالغ بالشعائر الإسلامية والعمل على تطويرها والاستفادة من الفرصة التي كانت تهيؤها لتحقيق أغراض المرجعية المقدسة في أوساط الأمة.
وهذه الشعائر:

١- صلاة الجماعة التي كان يمارسها شخصياً بشكل عام في اليوم مرتين أو ثلاث مرات، وحتى في الأسفار، والحث على اقامتها من قبل العلماء، والوكلاء والمبلغين.

٢- موسم شهر رمضان المبارك الذي كان يهتم به الإمام الحكيم بصورة خاصة للاستفادة منه في الوعظ والارشاد، وتعليم الأحكام الشرعية والأخلاق

الإسلامية، وتربية الناس على الصلاح والتقوى.

٣- المجالس الحسينية في شهري محرم وصفر، والمناسبات الأخرى للنبي ﷺ والأئمة الأطهار ﷺ من وفياتهم، ومواليدهم، أو الأعياد الإسلامية والمذهبية، واقامة الاحتفالات فيها وتطوير مضمونها، بالحرص على أن تكون هذه المجالس والاحتفالات ذات مضمون ثقافي، وفكري، وأخلاقي، وسياسي، يرتبط بشؤون الأمة، وقضاياها وحاجاتها.

٤- المواكب الحسينية، التي كانت تمثل عملاً جماهيرياً مهماً في الأمة، سواء المحلية منها، أم الموسمية العامة التي ترد لزيارة الأربعين، وعاشوراء في كربلاء، ووفاء النبي الأعظم ﷺ ووفاء أخيه ووصيه الإمام أمير المؤمنين ﷺ في النجف، حيث تحولت هذه المواكب الى عمل اجتماعي وسياسي ضخيم سواء من حيث الاخراج أم المضمون أم الانسجام أم الكشافة العددية والاهتمام. وأصبحت مدرسة جماهيرية واعية للأمة، ومؤسسة تعبوية روحية، وثقافية، وسياسية^(١).

٥- مواسم الحج والزيارات المخصصة للأئمة الأطهار ﷺ والتي كانت توفر فرصة لاجتماع الناس والحديث إليهم وتوجيههم حتى أنه استفاد من هذه المواسم لعقد لقاءات سياسية أو اجتماعية أو دينية، وكان أحد أهم

(١) لقد تعرضت هذه المواكب الى حملات قمعية شرسة من قبل نظام العقائفة في العراق، لدورها العظيم في التنبئة، ولا سيما بعد أن تطورت في وجودها الكمي والكيفي والمضمون، وأصبحت الحسينيات المرتبطة بها قواعد دينية، ولذا قام النظام بمد منمها، بهدم جميع الأبنية والحسينيات المرتبطة وتحويلها الى مجرد خرائب مهجورة.

اللقاءات التي أجراها، هو لقاء العلماء يوم الأربعاء في كربلاء سنة (١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م) لإدانة الحرب الظالمة التي شنها نظام عبد السلام عارف ضد أبناء الشعب في كردستان العراق أيام حكومته^(١).

وكذلك إعلانه لموقف الرفض للإجراءات التعسفية ضد الحوزات العلمية في النجف وكربلاء، التي أقدمت عليها حكومة أحمد حسن البكر، سنة (١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م).

وكذلك زيارته لحج بيت الله الحرام والتي شارك في توديعه واستقباله مئات الآلاف من أبناء الشعب العراقي، وكانت تعبيراً عن عظمة المرجعية وموقعها في الأمة.

إيجاد المؤسسات العامة

الثالثة: تشجيع إيجاد المؤسسات، وإقامة المشاريع الخيرية، والجمعيات الدينية والاجتماعية التي يقيمها الأفراد أو الجماعات. وتأسيس قنوات التخاطب مع الأمة كالمجلات الإسلامية، أو المنشورات، أو المراكز الشقافية كالمكتبات والمدارس، وتشجيع حركة التأليف والنشر، وغيرها.

وتوسعة دائرة بناء العتبات المقدسة للأئمة الأطهار عليهم السلام وأولادهم، أو

(١) لقد قام الإمام الحكيم بجمع العلماء في كربلاء لإعلان هذا الموقف، وفي وقت كان قد جمع فيه عبد السلام بعض العلماء في مؤتمر إسلامي، حضره مفتي بنّداد، وشيخ الأزهر، لإعلان أن الأكراد (بغاة) يجوز قتالهم، وكان لموقف الإمام الحكيم أثر كبير في إفشال هذا المؤتمر.

زعماء وعلماء أتباع أهل البيت عليهم السلام، وكذلك بناء المساجد والحسينيات والمسكن التي تؤمن للعالم الديني نوعاً من الاستقرار والثبات. وإذا أردنا أن نلقي نظرة عامة على فترة الخمسة عشر سنة التي أصبحت فيها مرجعية الإمام الحكيم عليه السلام مرجعية عامة من سنة (١٣٧٥ - ١٣٩٠ هـ) لوجدنا تطوراً نوعياً، وكمياً ملحوظاً وهاماً في جميع هذه الحالات المشار إليها، والذي يشكل ظاهرة وخطأً عملياً في الرؤية العملية لهذه المرجعية^(١).

الموارد المالية المنظمة

الرابعة: تنظيم العلاقات والموارد المالية التي تعتمد على الأمة بشكل رئيسي .

إذ من الواضح كما أشرنا سابقاً أن المرجعية تعتمد في نفقاتها على الحقوق الشرعية كالأخماس والزكوات، وغيرها، التي تشكل في واقعها مصدراً مالياً كبيراً ومهماً، ولا يمكن لأي عمل تغييري أو اصلاحي كبير أن يحقق أغراضه دون وجود القدرة المالية، ومن أجل ذلك شرع الإسلام الخمس والزكاة وغيرها من الموارد المالية؛ لتتمكن الدولة الإسلامية من القيام بواجباتها ووظائفها، وأعطي الحاكم الشرعي صلاحية استخدام القوة لجباية هذه الأموال، وحتى أصبح الممتنع عن إعطاء الزكاة تمرداً على الدولة؛ يجوز قتاله.

(١) هناك أرقام وأمثلة كثيرة تشهد بذلك، أعرضنا عن ذكرها خوفاً من الإطالة.

وقد أعار أهل البيت عليهم السلام هذا الموضوع، أهمية خاصة أيضاً بتأكيدهم على خمس فاضل المؤونة.

إلا أن المشكلة في هذا المصدر المالي هو أنه مصدر قد أوجب الشارع المقدس على الإنسان المسلم، ولكن في ظروف المرجعية لا يوجد عامل اجرائي، وقوة تنفيذية يلزم المكلف بالدفع، ومن هنا تحول الدفع الى حالة تطوعية ترتبط بمقدار تدين الإنسان والتزامه من ناحية، ووعيه للأمر والحاجات الإسلامية والدينية من ناحية أخرى. وأخذ هذا المصدر يتأثر الى حد كبير بقضية الوعي في حجمه وفاعليته.

وقد عمل الإمام الحكيم عليه السلام على تحقيق الأمور التالية في هذا المجال:

١- تعليم الناس وتوعيتهم على هذا الواجب الشرعي وتنبههم الى أهميته من خلال المبلغين أو غير ذلك من أساليب التوعية، التي كان يشارك فيها شخصياً في بعض الأحيان.

٢- العمل على تنظيم الدفع والالتزام به، حيث كان أغلب الأفراد في العراق، وبعض البلدان الأخرى المستضعفة دينياً، من دافعي الحقوق الشرعية - فضلاً عن غيرهم - يدفعونها بدون برنامج معين للدفع، بل عند المناسبات والحوادث كالذهاب لحج بيت الله الحرام، أو مناسبة تصفية تركة الميت، أو عند ورود عالم أو مبلغ الى البلد أو المنطقة، ليمدون له المساعدة بصورة مؤقتة، أو وجود مشروع خيري وديني واضح يتفاعلون معه، أو ضرورة من ضرورات المؤمنين.

ولكن الإمام الحكيم ﷺ اهتم في تنظيم هذه الحقوق، مستغلاً هذه المناسبات المذكورة، فعندما يأتيه شخص يريد أن يذهب للحج لا يكتفي منه بخمس نفقة الحج بل ينظم وضعه المالي من خلال حساب رأس السنة، وتعيين مقدار الخمس في جميع أمواله، ويترك له الفرصة في تقسيط الدفع، أو تأخيره من دون احراج ومضايقة ولو كانت بسيطة، لتشجيعه على ذلك مع توضيح الحكم الشرعي له.

كما كان يوصي وكلاءه ومبعوثيه، أن يهتموا بهذا الأمر اهتماماً بالغاً، ولا يقبضوا الأموال إلا بعد توضيح هذا الحكم الشرعي فيها وتعيين هذا المنهج، ليجتمع في ذلك بين فراغ ذمة المكلفين، وتنظيم الموارد المالية.

وكان يثقف أبناء الأمة على هذا الحكم الشرعي من خلال أسلوب الالتزام باستلام وصولات الدفع، حتى عندما يكون الدفع له مباشرة، ويبين لهم ان هذا الوصل له أثر معنوي لديهم ولدى ذويهم ومتعلقينهم، مضافاً الى أثره في تنظيم الدفع، وتمركز الأموال وعدم ضياعها.

٣- تشجيع المؤمنين من أصحاب الحقوق أن يقيموا مشاريع دينية في بلادهم، وأحياناً مساعدتهم مالياً من أجل تخليص ذمتهم من الحقوق الشرعية، والديون الإلهية من ناحية، وتشجيع الآخرين على هذه الأعمال وإثارة روح التنافس والتسابق للخيرات في نفوسهم.

كما كان يشجع أن تصرف الأموال على الوكلاء والمبلغين والأعمال الدينية في مناطق الدفع نفسها، ولا سيما الفقيرة منها، ليكون ذلك سبباً

لتشجيع الطلبة والعلماء للاهتمام بتلك البلدان والتردد عليها، أو الإقامة فيها بعد أن تحقق أسباب الاستقرار النفسي والمعيشي.

لقد كان لهذه السياسة أثر كبير في الأمة، ليس في الحصول على المزيد من الموارد المالية فحسب، بل في تحقيق الوعي والمشاركة الفعلية للأمة في الأعمال الدينية، والشعور بالمسؤولية تجاهها والالتزام بها والدفاع عنها.

ثقافة الجهاد في سبيل الله

الخامسة: تنمية الخط الجهادي والسياسي في الأمة، حيث كانت الأمة في العراق - كما أشرنا سابقاً - قد أصيبت بمرض الاستكانة والاستسلام للأوضاع القائمة ولا سيما أن الأكثرية الساحقة لأبناء الأمة كانت معزولة عن القرار السياسي، وهم الشيعة الذين يشكلون الأكثرية في العراق، وخصوصاً المنتمين الى الشعب العراقي، وكذلك الأكراد الذين يمثلون أكثرية أهل السنة في العراق، وفيهم عدد من الشيعة أيضاً، وكانت الأوضاع في العراق تدار من قبل طبقة من السياسيين النفعيين والموظفين والاداريين، الذين ورثوا السلطة من العهد العثماني حيث بادروا الى التعاون والانفاق مع الغزاة الانجليز، للقيام بدور النيابة عنهم في هذا المجال.

وقد حاولت الأمة في بعض الأدوار الانتفاضة على هذه الأوضاع، إلا أنها سرعان ما كانت تتعرض للقمع أو الخداع، الأمر الذي أدى الى أن تصاب بهذا المرض النفسي السياسي (الاستكانة والاستسلام والعزلة).

كما أن الأحزاب السياسية الدخيلة حاولت أن تعبأ الأمة في العراق على مفاهيمها ومبادئها المستوردة وأهدافها السياسية، ولكنها فشلت - أيضاً - في نهاية المطاف.

ولذا كان الدور الذي قام به الإمام الحكيم عليه السلام في تعبئة الأمة على الجهاد والتضحية، والمواجهة، وتوعيتها سياسياً على حقوقها المشروعة عملاً عظيماً في هذه الفترة الزمنية الحساسة.^(١)

وقد حقق الإمام الحكيم عليه السلام ذلك من خلال الخطوط السياسية والعملية التالية:

الأول: تربية الأمة على الشعور بالمسؤولية الاجتماعية، وتحسيسها بضرورة تحملها لهذه المسؤولية، والمساهمة في تكوين الأوضاع العامة، والمشاركة في القرار السياسي، والرقابة على نشاطات الحكم.

الثاني: اخراج الأمة عن عزلتها السياسية، من خلال الممارسة للنشاطات السياسية، وتعبئتها عملياً في هذا المجال، وتصدي المرجعية بنفسها للعمل السياسي، ومنحها الصفة الشرعية بعد محاولات الاستعمار لفصل الدين عن السياسة.

الثالث: اعطاء المرجعية دورها، وقيمتها الحقيقية، وموقعها الطبيعي القيادي من خلال التصدي لتحمل مسؤولية هموم الأمة وقضاياها المصيرية،

(١) الحديث عن موضوع الجهاد للإمام الحكيم، والأعمال التي قام بها في هذا المجال، وكذلك معالم جهوده وتضحياته، تحتاج إلى حديث مستقل واسع لم نتناوله في هذا الكتاب المحدود - كما ذكرنا سابقاً - ولذا اكتفينا بالإشارة إلى جانب منه يرتبط بالمرجعية ونظرتها إلى مفردة الأمة.

والعمل على تحقيق المصالح العامة الأساسية للناس، والمطالبة بحقوقهم، وتحمل الآلام، والمعاناة، والصبر من أجل التصدي لهذه النشاطات، والوقوف بوجه الظالمين والظغاة.

وعدم التخلي في الوقت نفسه عن ممارسة الأعمال الدينية كالفتوى، والقضاء، والولاية للأمر، أو ممارسة النشاطات الإسلامية كالتعليم، والتربية، والتبليغ للمفاهيم والأحكام والوعظ والارشاد والنصيحة.

الرابع: دعم النشاطات السياسية النزيهة، والحركات الإسلامية في الأوساط (الشيعة) و (السنية) معاً والعرب والأكراد والتركمان، وكذلك دعم أعمال التصدي للظالمين من قبل المظلومين، والدفاع عنهم وتبني قضاياهم. ومن هذا المنطلق كان الموقف التضحيي للإمام الحكيم عليه السلام، في دعم قضية الشعب الكردي، وكذلك في دعم الحركة الإسلامية، حتى في الأوساط السنية، والوقوف الى جانب العلماء والضباط العسكريين، الذين تعرضوا الى الاضطهاد أيام عبدالكريم قاسم.

الخامس: الانفتاح على الجماعات والأوساط المختلفة، سواء الأوساط الشعبية أو السياسية أو الدينية.

وبهذا الصدد نشير الى الانفتاح الذي حققه الإمام الحكيم عليه السلام على الجماعات الكردية، والعلماء من أهل السنة، وبعض أوساطهم الاجتماعية، بحيث شهد العراق لأول مرة احتفالات في الأوساط السنية والشيعة، يشارك فيها العلماء وسياسيون من جميع الفئات والأوساط، وكذلك لقاءات وزيارات

مشتركة في هذا المجال، بل قام الإمام الحكيم عليه السلام بالإنفتاح حتى على الطوائف الدينية الأخرى، مثل المسيحيين.

هذا الانفتاح الذي أكد الوحدة الإسلامية بين المسلمين، ووحدة أبناء الوطن الواحد، وضرورة أن يعيشوا فيما بينهم بطمأنينة واستقرار، ويعملوا على تحقيق العدل والرفاه وحكم الله في الأرض، ويتحملوا مسؤولية المصير الواحد المشترك^(١).

إنّ هذا النص يكشف عن أبعاد مرجعية الإمام الحكيم ومميزاتها كما يكشف عن العمق والمنهجية والاحاطة والموضوعية في فكر آية الله السيد محمد باقر الحكيم تجاه المرجعية التي تعبر عن أعلى موقع ديني في عصر غيبة الإمام المعصوم عليه السلام.

(١) الإمام الحكيم، السيد محمد باقر الحكيم؛ ص ٧٤ - ١٠٢.

- ٥ -

آل الشهادة في سبيل الله

الفقهاء حصون الإسلام

عاشت الحوزة العلمية في النجف الأشرف بعد وصول النظام البعثي الى الحكم في العراق ظروفاً عصيبة من جراء مضايقات النظام لها وشن حملات اعتقال متكررة في صفوفها وتسفير الكثير من اساتذتها وطلابها واعداد العديد من أبنائها البررة لما كان يشخصه النظام العقلي الطائفي في الحوزة من أنها القلب النابض للأمة وضميرها الحي الذي لا تسلم الأمة قيادها له مادام فيه عرق ينبض.

وكان مراجع الدين يعيشون تلك الآلام ويتجرعونها غصة بعد غصة من دون أن ينسحبوا من الميدان، فقد ألقى الإمام الحكيم ﷺ بكل ثقله في صراعه مع العقائقة الطائفيين من أجل الحيلولة دون تسفير العلماء وطلاب الحوزة العلمية من الإيرانيين وغيرهم.

وبعد ذلك كان موقف الإمام الخميني في رفض هذا الأسلوب الوحشي الهمجي، واشتهرت فتوى الإمام الخوئي ﷺ في تحريم الخروج من الحوزة إلا لمن كان يعيش خطراً شخصياً مباشراً وترددت دعوة الشهيد الصدر ﷺ لطلاب الجامعات العراقية من المؤمنين لسد الفراغ الذي خلفه تسفير الإيرانيين والأفغانيين واللبنانيين وغيرهم من أبناء الحوزة العلمية.

وفي ضمن هذه الحركة الشرسة شن النظام البعثي حربه العدوانية ضد

الجمهورية الإسلامية في إيران وتعرضت الحوزة العلمية للولايات تلو الولايات من بطش النظام وقسوته فكانت المثل الأعلى للشعب العراقي - الذي كانت تتعرض الكثير من قطاعاته الى أنماط مشابهة من البطش والعدوان - في الصلابة والصبر فقد كان من الطبيعي جداً في حلقات الدرس أن يفتقد الأستاذ أحد طلبته من مجلس الدرس ويسأل عنه ليفاجأ بأنه اعتقل بالأمس أو اليوم وهو في طريقه الى الدرس. أو أن يحضر الطلبة الى صالة الدرس وينتظروا استاذهم الذي لم يأتهم لأنه اعتقل واقتيد الى صالات التعذيب وقد يبادر البعض منهم الى بيت استاذهم يسأل عنه ليجد رجال الأمن باستقباله لأنهم اتخذوا البيت كميناً لهم ليعتقلوا كل من يطرق بابه.

وكان العلماء والفضلاء من أسرة الإمام الحكيم آنذاك جزءاً من هذه الحالة عاشوا معاناتها وتحملوا مسؤولية الصمود ليكونوا القدوة والأسوة لبقية الطلبة فيها وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر على ذلك وكان لهم أيضاً خصوصيتان اضافيتان:

احدهما: انهم بما يمتلكون من رصيد كبير في العلم والاستقامة والاخلاص وما عاشوه من العمل في اطار مرجعية الإمام الحكيم ؑ التي بقي لها في نفوس عامة العراقيين وغيرهم من أتباع أهل البيت ؑ منزلة خاصة بحيث كان الناس يرون في شخص كل منهم مشروعاً جديداً للإمام الحكيم ؑ فلا ينسى أحد ممن عاش تلك الفترة كيف أن قطاعات كبيرة من أبناء الشعب العراقي هتفت تطالب بالبيعة للولد الأكبر للإمام الحكيم وهو آية الله المقدس السيد يوسف الحكيم ؑ بالمرجعية الدينية، وعندما امتنع من طبع رسالته وقبول تقليد الناس له بقي الشعب العراقي يرى فيه مرجعية اجتماعية

ومرجعية سلوكية وأخلاقية ومرجعية في الالتزام بمنهج أهل البيت في الاستقامة والبراءة من الظالمين.

والأخرى: ان ثلاثة من أبناء الحكيم ﷺ كانوا خارج العراق^(١)، ويعلنون بكل وضوح معارضتهم للنظام وخصوصاً بعد تزعم المجاهد آية الله السيد محمد باقر الحكيم ﷺ للمقاومة الإسلامية العراقية وتعبئة الشعب العراقي ضد الظلم والطغيان بدعم من الإمام الخميني ﷺ مضافاً الى الضربات الموجعة التي كانت تكيلها حركة المجاهدين العراقيين التي كان أبرز قادتها المجاهد السيد عبدالعزيز الحكيم التي أرعبت النظام وكان أحد نتائجها السياسية عدم انعقاد مؤتمر قمة عدم الانحياز في بغداد حيث كان صدام يمضي نفسه أن يصبح رئيساً لحركة عدم الانحياز آنذاك فقد تعرضت وزارة التخطيط ووزارة الداخلية ومبنى الإذاعة والتلفزيون وغيرها الى عمليات استشهادية ضخمة في قلب العاصمة بغداد، وكان من الواضح جداً في سلوك النظام الذي تميز به عن عامة الأنظمة الإرهابية في العالم أنه من أجل الضغط على الناشطين من معارضيهم ممن لا تطالهم يده أن يقوم باعتقال أقاربهم وتعذيبهم بل واعدامهم في بعض الأحيان، إذا لم يتخذوا موقفاً لدعم النظام.

كان العلماء الأفاضل من الشهداء يعيشون تلك الأجواء الضاغطة والمندرة بالخطر القريب من دون أن يحاولوا التخلي عن واجبهم في حفظ

(١) وهم: حجة الإسلام والمسلمين العلامة الشهيد السيد مهدي الحكيم الذي كان من أبرز معارضي النظام في الخارج وآية الله السيد محمد باقر الحكيم رئيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق والقائد العام للقوات المسلحة الإسلامية العراقية وحجة الإسلام المجاهد السيد عبدالعزيز الحكيم عضو الشورى المركزية للمجلس الأعلى والمشرف العام للمركز الوثائقي لحقوق الإنسان في العراق.

الحوزة العلمية وادامتها والتعبير عن صمودها مهما كلف الثمن. ويقول أحدهم وهو الشهيد السيد علاء الدين الحكيم لبعض اصدقائه^(١) (انا مازلنا نحث الطلبة على البقاء في الحوزة، فإذا خرجنا نحن منها فمن يبقى إذن). ولقد كانت الفرصة مواتية لعدد منهم في الهجرة ولكنهم كانوا أمام مسؤولية الصمود فإن الشهيد حجة الإسلام السيد علاء الدين نفسه والشهيد آية الله السيد عبدالصاحب والشهيد حجة الإسلام السيد كمال الدين والشهيد حجة الإسلام السيد عبدالوهاب والشهيد حجة الإسلام السيد محمد حسن وغيرهم كانوا قد سافروا الى خارج العراق بعد انتصار الثورة الإسلامية وانتفاضة رجب وكان يمكنهم البقاء أنى شأؤوا إلا أنهم آثروا الرجوع الى العراق بل أن الشهيد السيد علاء الدين كان قد سافر قبل انتفاضة رجب بيومين وطلب من قبل رجال الأمن وهو في خارج العراق لأنه كان مؤشراً في ملفات الأمن بأنه من الناشطين جداً وكان يعتقل عادة في كل أزمة تمر على النجف الأشرف وتأخر رجوعه بسبب ذلك ولكن بعد ثلاثة أشهر عندما خف الطلب عليه عاد الى الحوزة مرة أخرى.

المؤتمر الشعبي الإسلامي

عندما اندحرت قوات النظام العقلي الطائفي واضطرت الى الخروج من أراضي الجمهورية الإسلامية وتنازل عن شعاراته ودوره في أن يكون شرطي المنطقة لحفظ المصالح الغربية وبدأ يعيش الاحساس بالخوف والرعب على

(١) وهو سماحة حجة الإسلام والسلمين الشيخ عبدالله التكراني عندما بحث له رسولاً يستحنه على الهجرة من العراق بعد تأزم الأوضاع فيه.

نظامه وبقائه في الحكم خصوصاً مع شدة شوكة المجاهدين ووصولهم الى قلب بغداد في عمليات جريئة لم يسبق لها مثيل وبدأت المقاومة الشعبية تأخذ طريقها الى الفعل والتأثير من خلال عمليات التسليم الواسعة التي حصلت للقوات المسلحة العراقية في جبهات القتال حيث كانت تؤشر على حدوث الانهيار في قواته انطلق ليحاول أن يصبغ حربه مع الجمهورية الإسلامية بصبغة شرعية.

وكان من أهم مخططات النظام في مواجهة ذلك اقامة مؤتمر شعبي علمائي اسلامي يجمع به عناصر من رجال الدين من عامة الأقطار الإسلامية وشرادم من العراق بالخصوص لمناقشة قضية الحرب وفق المنظور الصدامي وكان خطة المؤتمر ان يجتمع اعضاؤه الذين يعدون بالمثلث ثم يشكل المؤتمر لجنة يرسلها الى الجمهورية الإسلامية لمحاولة اصلاح ذات البين تطبيقاً للآية الشريفة: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتُلُوا فَأُضِلُّوا يَبْتَغِيهَا فَإِنْ بَقِيَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْآخَرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَقِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾^(١).

وعندما ترفض الجمهورية الإسلامية مساعي اللجنة يحكم المؤتمر عليها بأنها هي الفئة الباغية وكان النظام يحاول أن يعطي هذا المؤتمر بعداً شعبياً واسلامياً في داخل العراق للمحافظة على الأوضاع المعنوية لقواته. ولذا كانت الأسرة الكريمة لآل الإمام الحكيم هدفاً كبيراً في هذا المخطط الجهنمي، وكان النظام يخطط لأن يكون أحد العلماء البارزين من أولاد الحكيم ﷺ حاضراً في المؤتمر ويبدو أنه كان يريد أن يبعثه ضمن اللجنة التي

(١) الحجرات: ٩.

تفاوض الجمهورية الإسلامية على مطالب النظام فارسل أعضاء من جهاز الأمن العراقي للقيام بتوجيه الدعوة الى العلماء من الشهداء ومن آل الإمام الحكيم مثل مدير أمن النجف ومعاون مدير الأمن وغيرهم، مع أن المؤلف في مثل هذه الدعوات الدينية أن تتولى وزارة الأوقاف نفسها تسليم الدعوات وجاءت الدعوة مقرونة بالتهديد: (إذا لم يستجب على الأقل أحد أبناء سيد محسن لدعوتنا فإننا نعتبر الأسرة بأجمعها معادية للثورة) وكان يقال للرجل آنذاك يهودي أهون من أن يقال له (معادٍ للثورة).

وظفق الشهداء يخبرون أنفسهم بين الاستجابة للدعوة من أجل حقن دمائهم والمحافظة على أنفسهم الشريفة التي كانت تبشر بالكثير الكثير من العطاء والخدمة للإسلام وللعراق أو الرفض، لأن في الاستجابة لدعوة النظام في ذلك الظرف الذي كانت فيه كثير من الأوراق مختلطة على عامة الناس الذين يمرون بحملة تضليل واسعة تشترك فيها أغلب وسائل الاعلام العالمية التي تتناغم مع أبواق النظام الاعلامية بحيث كانت المشاركة في المؤتمر آنذاك تعني تبرير مشاركة أبناء الشعب في (قادية صدام المشؤومة).

وهنا كان موقف الصمود للعلماء الأعلام من آل الإمام الحكيم حيث كانوا بين أمرين أما أن يتحولوا الى مصدر اضلال للناس أو يرفضوا الدعوة الموجهة اليهم...

وكان الجواب على لسان الشهيد آية الله السيد عبدالصاحب الحكيم الذي عرفه من عرفه دائماً على طاعة الله تعالى شديد الاحتياط لدينه لا تأخذه في الله لومة لائم.

فقد قال: ﴿رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾.

وعقد المؤتمر وحضره عدد من علماء الدين بين مغفل ومكره ومتملق إلا أنه لم يحضر فيه أحد من أولاد الحكيم ﷺ وبعد ما يزيد على شهر تقريباً وبالتحديد في ليلة الثلاثاء (٢٦ / رجب / ١٤٠٣ هـ) انطلقت مفارز (قوات الاقتحام) لتعتقل أبناء الأسرة وعلمائها وشخصياتها وفيهم عدد من المجتهدين الكبار واساتذة الحوزة العلمية من بيوتهم في الساعة الثانية عشر ليلاً وفي وقت واحد وتسجل المهمة رقم واحد - كما سمعناهم يتكلمون في جهاز اللاسلكي - اعتقال آية الله العظمى المقدس السيد يوسف الحكيم رضوان الله عليه ولتمر على العلويات ليلة ليلاء خلت فيها الديار من الرجال إذ بلغ عدد المعتقلين ٧٢ شخصاً وكان لدى قوات الاقتحام أوامر برمي كل من يدافع عن نفسه أو يحاول الفرار، وقتل رجل من جيران الشهيد السيد كمال الدين الحكيم لأنه حسب أن القوم يطلبونه هو، ففر من على سطح داره وحسبوه أحد السادة فأردوه قتيلاً وسمع الناس صياحه حتى قضى نحبه ﷺ ونقل كل السادة في جوف الليل الى زنزانات الأمن العامة ليصلوا صلاة الفجر هناك.

وقد خضع الشهداء لأساليب من التعذيب الوحشي يشيب لها الولدان فقد عذَّب الأب أمام ولده وعذَّب الولد أمام أبيه في محاولة لانتزاع أي اعتراف ممكن عن التعاون مع آية الله السيد محمد باقر الحكيم ﷺ، إلا أن الشهداء انطلقوا في سمو وهم على الآلام التي تعرضت لها أجسادهم الشريفة حتى لا قواربهم...

ينقل العلم الطاهر آية الله السيد محمد حسين الحكيم ﷺ الذي أُجبر على رؤية مشهد الاعدام (بأنه أُقتيد الى غرفة وقف فيها الجلادون ثم جاءوا

بالشهيد آية الله السيد عبدالصاحب الحكيم نجل الإمام الحكيم وما أن وصل الى وسط الغرفة حتى انهال عليه الرصاص من كل جانب وسقط جسده الطاهر على الأرض ودماؤه تسيل بغزارة على الأرض. ثم جاءوا بالشهيد حجة الإسلام السيد علاء الدين الحكيم نجل الإمام الحكيم يتعثر في مشيته وهو محني الظهر لشدة ما لاقاه من التعذيب وما أن وصل الى قرب جسد أخيه حتى انهال عليه الرصاص ليخر جسده فوق جسد أخيه...).

ولهول المنظر أغمي على السيد محمد حسين ولم يتمكن من رؤية تنمة ذلك المشهد الدامي حيث قتل أيضاً حجة الإسلام السيد محمد حسين الحكيم نجل الإمام الحكيم وحجة الإسلام السيد كمال الدين الحكيم حفيد الإمام الحكيم وأخوه حجة الإسلام السيد عبدالوهاب الحكيم حفيد الإمام الحكيم، وابن عمه الأستاذ السيد أحمد الحكيم حفيد الإمام الحكيم.

هكذا يقدم العلماء دمائهم ليروون للشعب العراقي ولكل شيعة أهل البيت ولكل المسلمين كيف أن رجال العلم يستمرون في مواقعهم يبلغون رسالات ربهم ويروون أحاديث النبي والأئمة عليهم السلام للأجيال وإذا ما تبيست الضمائر وقست القلوب رروا لهم بدمائهم لا بأقلامهم، كما سالت دماء آل أبي طالب في يوم الطف لتقرر حقيقة أن (القتل لهم عادة وكرامتهم من الله الشهادة).

الشهداء في سطور

أ- حجة الاسلام والمسلمين الشهيد السيد محمد مهدي الحكيم

ولد السيد الشهيد السيد محمد مهدي الحكيم عام ١٣٣٥ هـ وهو الابن الثالث للامام الحكيم حضر بحث الخارج عند اساتذة كبار منهم آية الله الشيخ حسين الحلبي وآية السيد أبي القاسم الخوئي وآية السيد محمد باقر الصدر (رضوان الله عليهم).

اهتم مبكراً بالعمل الاسلامي، وفي اواخر الاربعينيات وفي فترة مرجعية والده نسق مع بعض العاملين واسس اجتماعاً جماهيرياً دورياً في الصحن الحيدري، فهو من اوائل العلماء العرب الذين تحدثوا للجماهير من على منبر الخطابة وكان هذا المسلك غير متعارف في اوساط الحوزة العلمية في النجف الاشرف ولذا واجه كثيراً من الضغوط، ورغم ذلك استمر في عمله.

كان السيد مهدي الحكيم احد الاوائل الذين اسسوا مع الشهيد الصدر حزب الدعوة الاسلامية، ومن ثم ترك العمل الحزبي لينطلق الى العمل الاسلامي الاوسط من خلال مرجعية والده ومن خلال نشاطات جماعة العلماء والمؤسسات العلمية والثقافية والاجتماعية الاخرى.

اتهمه حزب البعث الخائن في ٢٢ / ربيع الاول / ١٣٨٩ بالتجسس ظلماً وعدواناً، فهاجر الى الباكستان ثم الى دبي ثم وبامر من السيد محمد باقر الصدر وإبان مرجعيته هاجر الى لندن لادارة العمل السياسي

الاسلامي هناك.

اسس ﷺ حركة الافواج الاسلامية وهي حركة عسكريه ثم انشأ لجنة لرعاية المهجرين العراقيين.

كانت له مواقف مشهودة من دعم وتأيد للجمهورية الاسلامية في ايران.

وتبنى كل تحرك جاد معارض لنظام الحكم العفلقى العنصرى فى بغداد وبالأخص تحرك ونشاط المجلس الاعلى للثورة الاسلامية فى العراق وكانت نظرتة الاستراتيجية للوضع فى العراق ولحركة المعارضة قائم على ان المرحلة المتقدمة والأهم هي اسقاط النظام ثم تكون الساحة للأقوى أو للتألف.

وهكذا تبلور موقع شهيدنا الغالى على كل الاصعدة وفى كل المجالات، ومن هنا أقدم النظام العفلقى المستبد وبمساعدة المخابرات العالمية على اغتياله فى ٢٦ / جمادى الاولى / ١٤٠٨ هـ من خلال ازام السفارة العراقية فى السودان عن عمر ناهز الثالثة والخمسين. فختمت له مسيرة العذاب والهجرة والجهاد بقاء الله تبارك وتعالى والعاقة الحسنة.

ب- الشهداء الستة الذين استشهدوا فى ٧ شعبان (١٤٠٣ هـ - ٢٠/٥/١٩٨٣ م)

١- آية الله الشهيد السيد عبدالصاحب نجل الإمام الحكيم ﷺ.

كان من المبكرين فى الاجتهاد حيث شرع بالبحث الخارج وهو فى بدايات الثلاثين من عمره وعرف بالزهد والصلاح وشدة الاحتياط لدينه

والاهتمام بتربية الطلبة وكان يتوقع له أن يكون من مراجع الدين العظام، له عدة مؤلفات في الفقه والأصول طبع بعضها ومازال الأكثر مخطوطاً. استشهد وله من العمر ٤٠ عاماً.

٢- حجة الإسلام والمسلمين الشهيد السيد علاء الدين

نجل الإمام الحكيم من أساتذة السطوح في الحوزة العلمية عرف بالنشاط في القضايا العامة وتربية الطلبة والشعائر الحسينية وقضاء حوائج المؤمنين وكان له موقف مشهود في قضية تفسير العلماء والطلبة الإيرانيين وقد حوصر بيته لمدة شهرين منذ يوم وصول آية الله المجاهد السيد محمد باقر الحكيم إلى إيران وتصديه لقيادة المقاومة الإسلامية. اعتقل قبل الشهداء بأكثر من سنتين ثم استشهد معهم ولاقى صنوفاً متنوعة من التعذيب وكان له دور كبير في المحافظة على معنويات المؤمنين داخل معتقلات النظام. استشهد وله من العمر ٣٨ عاماً.

٣- حجة الإسلام والمسلمين المجاهد الشهيد السيد محمد حسين

نجل الإمام الحكيم من أساتذة السطوح في الحوزة العلمية من أهم نشاطاته أنه شكل مجموعة جهادية في النجف الأشرف بعد بداية الحرب وكان له دور في تربية الطلبة وقضاء حوائج المؤمنين ومنع من السفر على أثر مشادة بينه وبين معاون مدير الأمن العام مدير الشعبة الخامسة - المختصة بمكافحة المد الإسلامي - زهير التكريتي - استشهد وله من العمر ٣٦ عاماً.

٤- حجة الإسلام والمسلمين الشهيد السيد كمال الدين

نجل آية الله المقدس يوسف الحكيم من فضلاء الحوزة العلمية وامتازها كان أميناً لسراً أبيه وموضع اعتماده وله دور في خدمة الشعائر الحسينية وتعرض جسده الشريف للتمثيل وكان يطالب ضباط الأمن بالتخفيف من تعذيب الأسرة ومعاملتهم معاملة الأسرى على الأقل فأجابوه (انكم أشد من الإيرانيين لأنكم خنتم وطنكم) على حد زعمهم، ثم استشهد بعده ولداه السيد ضياء والسيد بهاء واستشهد وله من العمر ٤٠ عاماً.

٥- حجة الإسلام والمسلمين العلامة الشهيد السيد عبدالوهاب

نجل آية الله السيد يوسف الحكيم رحمته الله من أفاضل رجالات الحوزة وكان يتوقع له وضع علمي بارز وله دور كبير في تدريس الطلبة ويتمتع بثقافة عامة جيدة استشهد وله من العمر ٣٩ عاماً.

٦- الأستاذ الفاضل الشهيد السيد أحمد

نجل حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد رضا الحكيم. كان من المثقفين الناشطين المتحمسين لخدمة الإسلام وله دور في دعم عوائل الشهداء آنذاك وكان له وعي سياسي جيد تخرج من كلية الإدارة والاقتصاد في مصر، استشهد وله من العمر ٣٨ سنة.

ج - الشهداء العشرة الذين استشهدوا في رجب (١٤٠٥هـ)

١- آية الله الشهيد السيد مجيد الحكيم رحمته الله

أستاذ السطوح العالية في حوزة النجف الأشرف، استشهد في الخامسة والخمسين بعد اثنين وأربعين سنة أفناها في الدرس والتدريس في حاضرة النجف العلمية، عرف عن مجلس درسه الحضور الكثيف والكبير لفضلاء الحوزة العلمية، كما عرف عنه رحمته الله التقوى والورع الشديد والمواظبة على زيارة كربلاء في ليالي الجمع والمناسبات الأخرى لسنين طويلة.

٢- حجة الإسلام الدكتور الشهيد السيد عبدالهادي

نجل الإمام الحكيم رحمته الله جمع بين الدراسة الحوزوية والأكاديمية ونال شهادة الدكتوراه في الفقه الإسلامي من جامعة الأزهر وتفرغ للتأليف والتحقيق وله عدة آثار مطبوعة منها (كتاب العقد الفضولي) و(المعاطاة) وتحقيق كتاب (القواعد والفوائد) استشهد في يوم واحد مع ولديه السيدين (حسن وحسين) وله من العمر ٤٥ عاماً.

٣ - حجة الإسلام والمسلمين الشهيد السيد محمد رضا

نجل آية الله السيد محمد حسين الحكيم رضوان الله عليهما من أساتذة كلية الفقه، جمع بين الدراسة الحوزوية والأكاديمية وبين العلم والأدب والتقوى، وكان كثير التلاوة للقرآن حتى أنه كان يحفظ عامة آيات القرآن ويعرف موقعها ونبذة من تفسيرها ولم يعرف منه ذلك إلا بعد أن سجن مع بقية أقاربه فكان كل من يحتاج منهم الى معرفة آية من القرآن وموقعها

ومابعدھا يسأله فيجيب عن ظهر قلب. واستشهد وأخويه السيدين (محمد وعبدالصاحب) في يوم واحد.

٤- الأستاذ الفاضل الشهيد السيد محمد

نجل السيد محمد حسين الحكيم قدس سرهما كان غزير العلم جم الأدب واسع الصدر عمل مدرساً في مادتي الدين والعربية لمدة طويلة. وتأثرت به أجيال من طلابه في الاعدادية. استشهد وله من العمر ٤٣ عاماً.

٥- حجة الإسلام والمسلمين الشهيد السيد عبدالصاحب

نجل آية الله السيد محمد حسين الحكيم، من أساتذة الحوزة العلمية وعرف بالخلق الرفيع والتواضع لمن هو دونه واستشهد وله من العمر ٣٥ عاماً.

٦- حجة الإسلام الشهيد السيد حسن

نجل الشهيد السيد عبدالهادي الحكيم كان من أفضل الطلبة الشباب في أسرته وكان موضع أمل كبير في مستقبله العلمي لشده مثابرة وتوقد ذكائه حيث كان يُعفى من الامتحان عندما كان يدرس في مرحلة الثانوية لتفوقه في الدرجات واستشهد وله من العمر ٢٤ عاماً.

٧- الفاضل الشهيد السيد حسين

نجل الشهيد السيد عبدالهادي الحكيم اعتقل من الجامعة حيث كان يدرس في كلية العلوم. واستشهد وله من العمر ٢١ عاماً.

٨- الفاضل الشهيد السيد ضياء الدين

نجل الشهيد السيد كمال الدين الحكيم خريج الجامعة التكنولوجية
اعتقل مع أبيه وعاش حالة رفيعة من الاقبال على الله قبيل شهادته وكان له من
العمر ٢٤ عاماً.

٩- الفاضل الشهيد السيد بهاء الدين

نجل الشهيد السيد كمال الدين الحكيم اعتقل مع جده السيد يوسف
حيث كان في بيته وهو أصغر الشهداء سناً، فقد كان له من العمر ١٩ سنة.

١٠- الفاضل الشهيد السيد محمد علي

نجل المرحوم السيد جواد الحكيم استشهد في التاسعة والعشرون من
عمره، بعد تخرجه من جامعة بغداد، عرف عنه التزامه الديني والأخلاقي
ورفضه الدائم للانتماء الى صفوف حزب البعث رغم الضغوطات الكبيرة
التي تعرض لها من قبل البعثيين.

د - شهيدان يلتحقان بالركب

وبعد استشهاد الشهداء العشرة تعرض السجناء من أسرة الإمام الحكيم
للتضييق والتعسف الشديد فقد نقلوا من معتقل الأمن العامة الى الأقسام
المغلقة في سجن أبي غريب حيث كان مرض السل منتشرًا بين المؤمنين
هناك ومنع جميع السجناء من التحدث مع أي فرد من أفراد الأسرة وقطعوا
عن العالم حيث لا داخل عليهم ولا خارج منهم ومنعوا أبسط مظاهر العناية

الصحية حتى أُصيب أحدهم بالعمى ومرض حجة الإسلام السيد محمد حسن الحكيم ولم يعالج واشتد به المرض حتى تورم وجهه وازداد قطره حوالي ٢٥% وأصيب بالآلام حادة كان يصرخ منها لیسمعه عامة السجناء في بناية ق ٢ وأقاربه لا يملكون له شيئاً ولما راجعوا السلطة لعلاجه أخذوه وقتلوه هناك. وبعده بأشهر قليلة أُبتلي السيد غياث الحكيم وهو شاب في عمر الورد، بالتهاب اللوزتين ولم يعالج حتى أشد به المرض وتورم جسده وهو يصارع الموت الذي يتجرعه هو ومن معه من اخوانه وأقاربه غصة بعد غصة وحتى نقل في آخر أيامه الى مستشفى الرشيد ليعالج هناك إلا أنه - حسب رواية بعض السجناء - وهو محجوز في غرفة من غرف المستشفى تحت حراسة مشددة وقد ربط له الطبيب قنينة من الدم قام أحد جلاوزة الأمن وبأمر من أسياده بقطع الأنبوب المتصل بوريده وزجاجة الدم ليسيل دمه بغزارة حتى يفارق الدنيا ويدخل الطبيب عليه ليرى الشهيد وعلى أرض الغرفة بقعة كبيرة من دمه، وتسجل وفاته في سجلات مستشفى الرشيد العسكري بأنها وفاة طبيعية. فسلام عليه وعلى جميع الشهداء ورحمة الله وبركاته^(١).

(١) آل الحكيم: آل الفقهاء.. آل الشهادة: ص ٣ - ٢١.

الفصل الثالث

النشأة العلمية والأخلاقية

١- النشأة والتربية الأخلاقية

نشأ آية الله السيد محمد باقر الحكيم في أحضان والده العظيم الإمام الحكيم عليه السلام ، حيث التقى والورع والجهاد... فتشرب منذ طفولته بمعاني الصبر والصمود ، وعاش عيشة الفقراء ، فكم من ليلة ويوم يمر وطعامه مع بقية أفراد العائلة الخبز واللبن والتمر ، أو الشاي والسكر ، وغير ذلك من ألوان الطعام البسيط.

فقد كانت ولادته ومراحل طفولته الأولى متزامنة مع أحداث الحرب العالمية الثانية وما جرّته من ويلات ومعاناة ، في وقت كان فيه والده الإمام الحكيم عليه السلام من كبار المجتهدين في النجف الأشرف وممن يشار إليهم بالبنان ، وقد كان من سيرة الإمام الحكيم عليه السلام التعفف عما في أيدي الناس ، وكان يفضل أن يحيا في شظف العيش ليكون موسياً للفقراء والمستضعفين^(١).

(١) روى أحد العلماء أنّ أحد المتصدين في النجف لتوزيع عائدات وقف (أودة) في الهند ، طلب من المرحوم السيد يوسف الحكيم وهو في أوان الشباب ، أن يبلغ والده بوجود حصّة له في الوقف (مخصصات) فإذا كان يرغب بذلك فليأخذها ونقل المرحوم السيد يوسف لوالده ما أخبره به المتصدي ، فرفض الإمام الحكيم استلام الحصّة ، ولما التقيا بعد فترة سأل المتصدي السيد يوسف عن الجواب ، فقال

في مثل هذا الجو الإيماني والأخلاقي المفعم بسيرة الصالحين عبر تاريخنا الإسلامي نشأ سماحة سيدنا المجاهد ، فكان خير خلف لخير سلف. وإلى جانب ما كانت تطمح به النجف الأشرف في تلك الأيام من الصالحين والفيض الروحي الكبير الذي يضيفه الصالحون على أبناء الأسر العلمية بحكم تداولهم للحياة الروحية ، كانت مجالس العلم والأدب ودواوين المجالس الليلية التي يقضيها العلماء ، وهم يبحثون ويناقشون مسائل الفقه وأصوله وقضايا العقيدة والكلام كانت النجف الأشرف المرتع الخصب لنمو الذهنية العلمية والأدبية ، وفي مثل هذه الأجواء تربي شهيدنا السيد محمد باقر الحكيم^(١).

تربية الأولاد والأبناء

لقد أنعم الله تعالى على الإمام الحكيم، فرزقه عشرة أولاد ذكور، وأربع إناث من زوجته، حيث ولدت له زوجته الأولى التي كانت من أرحامه ولدين ذكرين، هما آية الله السيد يوسف الحكيم^{عليه السلام}، وحجة الإسلام السيد محمد رضا الحكيم، وثلاث إناث من العلويات الفاضلات: فاطمة، وزهراء، وبتول، وولدت له زوجته الثانية بنت التقي الزكي الحاج حسن بزري ثمانية أولاد ذكور، هم حجج الإسلام السيد محمد مهدي، والسيد محمد كاظم، والسيد محمد باقر، والسيد عبد الهادي، والسيد عبد الصاحب، والسيد علاء

١- إن السيد يرفض استلام الحصة فقال المتصدي (يبدو ان وضع الوالد جيد...) فقال كلا.. لقد كان عشاءنا ليلة البارحة خبزاً وماء ، ولكنه الإباء.

(١) اطلالة على السيرة الذاتية للسيد الشهيد محمد باقر الحكيم^{عليه السلام}، محمد هادي ص ١٦.

الدين، والسيد محمد حسين، والسيد عبدالعزيز، وبنت واحدة؛ هي العلوية شريفة.

وقد اعطى الإمام الحكيم الكثير من وقته واهتمامه لتربية ذريته وأهل بيته، في محاولة لتجسيد المسؤولية تجاه الأهل والأولاد في هذا العمل، بالرغم من أن ابتلاءه بتربية أكثر ذريته كان بعد أن أشرف ﷺ على سن الشيخوخة، وأصبح من مراجع الإسلام، الأمر الذي يجعله تحت ضغط الاهتمامات بالقضايا العامة.

وكان هذا الموضوع من القضايا ذات الأهمية الخاصة في السيرة الذاتية للإمام الحكيم من ناحية، وفي عمله المرجعي العام من ناحية أخرى. ولكن سوف نتناول هذا الموضوع هنا من البعد الأول حيث كان من الأبعاد الملفتة للنظر في الحوزة العلمية، ومما يغبط عليه الإمام الحكيم. وبطبيعة الحال لا نريد هنا الترجمة أو الحديث عن شخصية هذه الذرية، فإن الحديث عنها مستقل، خصوصاً بعد الأحداث التي اقترنت باستشهاد أكثرهم، والمقامات العالية الروحية والاجتماعية، التي وصل إليها جلهم، أو بعضهم على الأقل.

وإنما نحاول هنا، أن نتحدث عن القدر المرتبط بموضوع الاعتماد على النفس، وأثره في تربيته للذرية والأولاد، وفي نفس الوقت يمكن أن نفهم نظرية التربية بشكل عام، ومنهجها عند الإمام الحكيم ﷺ^(١).

(١) أنظر الإمام الحكيم، للسيد السيد محمد باقر الحكيم: ٢٨-٢٩.

معالم التربية عند الإمام الحكيم

لقد كان ﷺ في موضوع التربية يستهدف بشكل عام واجمالي بناء الشخصية الإسلامية بأبعادها المختلفة، بحيث يكون نتاج هذه التربية ومحصلها الإنسان الصالح، الذي يسير في طبق الكمالات الإلهية ذاتياً، ويتحمل مسؤولياته تجاه المجتمع الإنساني، ويكون قادراً على الانسجام، والحركة، والتأثير، ضمن هذه الجماعة، سواء في دائرة الأسرة، أو دائرة المجتمع الكبير.

ومع قطع النظر عن مدى استقبال موضوع التربية (الإنسان)، لهذه الأهداف فإن مسؤولية المربي أن يهتم بهذه الأبعاد في هذا الموضوع، وي بذل جهده من خلال المنهج الصحيح لتحقيقها.

وفي هذا المجال، نلاحظ الأبعاد التالية، التي كانت تمثل رؤية الإمام الحكيم ﷺ في تربية أولاده.

أولاً: الاهتمام بشكل خاص بتربية أولاده على روح التقوى الحقيقية، من خلال التأكيد على عناصر (الصدق) و (الأمانة) و (الورع) عن محارم الله، والالتزام بالوظيفة الشرعية والحكم الإلهي، و (تحمل المسؤولية) تجاه الأمة، وقضاياها المصيرية، وتجاه الحوزة العلمية والطلبة، وقضايا الناس وحاجاتهم الحياتية.

وكان الإمام الحكيم، يؤكد بشكل أساسي على ثلاث نقاط رئيسية في هذا المجال:

- ١- الاخلاص لله تعالى في العمل وتوخي رضاه.
 - ٢- المصلحة الإسلامية وما يهدي إليه العقل والحكمة، وكان يقول بهذا الصدد: إذا عرضت عليك قضية، ورأى عقلك فيها المصلحة والفائدة، فأعرضها على دينك فإذا رضي بها فافعلها، وإلا فاتركها. فهو يرى أن أساس حركة سلوك الإنسان هو العقل والمصلحة، ولكن في اطار الشرع والحدود الإلهية.
 - ٣- رضا الناس وموقفهم من العمل ومراعاة مشاعرهم وعواطفهم، فالمباح قد يتحول الى محظور ومحرم، عندما يكون في نظر الناس مرفوضاً أو منكراً.
- وقد كان لهذا الاهتمام الخاص بهذا البعد، أثره البالغ في الأوضاع الروحية، والاجتماعية، والممارسات العامة والخاصة لأولاده، حيث كان هذا البعد معروفاً بشكل عام في الأوساط الدينية العامة والخاصة التي كانت ترتبط بمرجعية الإمام الحكيم، وحركته السياسية والاجتماعية، وتشهد به عامة هذه الأوساط، ويذكر كأحد الامتيازات التي تفضل بها الله تعالى على هذا المرجع الكبير.
- كما أن أكثر أولاد الإمام الحكيم، كانوا يتولون مختلف المسؤوليات العلمية، والدينية، والاجتماعية في مرجعيته، ويتصدون لأعمالها، وتحملوا الكثير من الآلام والمحن من أجل ذلك، وكانوا جميعاً في معرض الأخطار والآلام، بل تعرض أكثرهم للسجن والاعتقال والتعذيب والشهادة في سبيل الله تعالى.

وفي مجال التقوى والورع، أُشير إلى بعض الأمثلة الجزئية في تربية الإمام الحكيم، ولكن لها دلالتها الكبيرة من خلال ملاحظتي الاجتماعية العامة.

١- كان ﷺ يحتفظ بالنقود، والأموال الجزئية، التي نحصل عليها في الأعياد والمناسبات، وهي وأن كانت جزئية ومحدودة جداً، ولكنه كان ملتزماً عندما تمضي عليها سنة، كان يخرج خمسها، وأحياناً يعوض هذا الخمس بعد اخراجه احتياطاً للأطفال، ولتربيتهم على هذا الواجب الإسلامي المهم، وهو الخمس، وزرع وازرع التقوى في هذا المجال في نفوسهم.

٢- عندما يبلغ أحدنا سن التكليف، كان يأمره بالتوبة واخراج رد المظالم عن الأموال التي كان قد اتلفها في صغره، أو تجاوز عليها.

٣- الأمر بالالتزام بالحجاب التام والدقيق في المنزل بين نساء الأسرة كزوجات الأخوة وبنات الأعمام والأخوال والأقارب الذين يسكنون في دار واحدة أو يترددون عليها بصورة كانت تتميز به هذه العائلة من بين العوائل المتدينة، فضلاً عن غيرها.

٤- كان يحتاط في مزاحمة الزوار في العتبات المقدسة أو كفهم عن طريقه، لأنه كان يتورع عن ايدائهم شرعاً، ومن ناحية معنوية.

٥- كان يحذر من إحداث أي ضوضاء أو صوت عند القيام لصلاة الليل، لأنه كان يتورع عن ايقاظ النائمين وهم أهله وأولاده.

ثانياً: التأكيد على طلب العلوم الدينية، والقيام بالوظائف الشرعية في مجال التدريس، والتعليم، والتبليغ الإسلامي، حيث نلاحظ ان جميع أولاده ﷺ

قد تفرغوا لطلب العلوم الدينية، ومارسوا التدريس والتبليغ، وبلغ بعضهم درجة الاجتهاد وأعلى مراتب التدريس في الحوزة العلمية.

كما ان هذا الاتجاه والاهتمام، بتحصيل العلوم الدينية، تحول الى طابع عام للأسرة كلها في زمن الإمام الحكيم، وبعده - بشهادة كل من عرف أبناءها - حتى أصبحت أسرة آل الحكيم من أكثر الأسر العلمية عدداً، وأبرزها علماء، وعليها كان يعتمد مدار التدريس الى حد كبير في الحوزة العلمية في النجف الأشرف، في وقت شهدت فيه البيوت والأسر العلمية المعروفة، ضموراً ملحوظاً في هذا المجال، كاد أن يهدد وجود بعضها بالانقراض.

بل أن هذا الاتجاه في هذه الأسر، كانت له انعكاسات إيجابية على الأسر العلمية الأخرى المعروفة، حيث نشط فيها هذا التوجه، وأخذت تنمو بهذا الاتجاه من خلال علاقتها وارتباطها بالإمام الحكيم ومرجعته الدينية، كما يلاحظ ذلك في الأسرتين العربيتين المباركتين آل بحر العلوم، وآل الجواهري.

ثالثاً: بناء المكونات الأساسية للشخصية التي كان يراها في حرية التفكير، والاستقلال في الإرادة، والتوكل على الله، والاعتماد على النفس، وحسن الخلق في المعاشرة، والأدب الرفيع في التعامل مع الآخرين، والتواضع في العلاقات، والنظرة الواقعية للأشياء، والاستعداد للتضحية والفداء في أداء الواجب، أو خدمة الناس والمسلمين.

ان هذه العناصر هي أمور وان كانت مشهورة الى حد كبير في أولاد وذرية الإمام الحكيم، ويمكن أن نراها بوضوح من خلال النقاط المشتركة

في هؤلاء الأبناء، والخيارات المتعددة للسلوك، أو الاهتمامات أو المسؤوليات، التي كان يتحملونها، أو العلاقات الاجتماعية أو الأسرية العائلية، التي كانوا يلتزمون بها، أو الآلام والعذاب والمصير الذي انتبهوا إليه، إلا أن المهم فيها هو اهتمامه ﷺ في إيجاد هذه العناصر والمكونات في الشخصية، ورؤيته لها الذي سوف نتعرف عليه من خلال المنهج الذي اتبعه لهذه النظرية.

ومن النماذج والأمثلة لهذه الرؤية في تربية أولاده، هو ايكال المسؤوليات لهم في سن متقدم، فقد تسلمت مسؤولية بعثة الحج الدينية - وهي من الأعمال التأسيسية - في سن الواحد والعشرين عاماً، وأرسل ولده حجة الإسلام السيد محمد مهدي للتبليغ في قلعة سكر، بصحبة آية الله الشيخ محمد تقي الفقيه، في سن أقل من ذلك، وهكذا ولده حجة الإسلام السيد محمد كاظم تولى الشؤون المالية في سن مبكر، فضلاً عن أولاده الكبار. كما أنه كان يحث على الاستقلال في السكن والبيت، عند توفر الظروف المالية ولو بالحد الأدنى كاستئجار البيوت الصغيرة، سعياً منه في التربية على تحمل المسؤولية والاستقلال، تجنباً للسلبات التي تنشأ في الأسرة، من خلال السكن الواحد.

وعندما يتزاحم الجد في طلب العلم، مع المسؤوليات الاجتماعية والدينية، كان يترك الخيار للشخص نفسه في اختيار التركيز على أحد المنهجين لأهميتها بنظره، فإن العلم بنظره كان للعمل وخدمة الإسلام والمسلمين.

كما أنه لم يكن يتدخل في الشؤون الداخلية لأولاده، وكان يفض الطرف عن بعضها، بحيث يتصور الإنسان عدم إطلاعه تجنباً للحرَج. كما كان يطلب من أولاده حسن المعاشرة مع الناس، وينصح بها دائماً ويؤكدُها في التعامل الشخصي أو العام، بالإضافة إلى حسن المعاشرة مع الأزواج، ويؤكد على مفهوم المعاشرة بالمعروف - حيث كان يطلب منا الذهاب إلى البيت عندما تتأخر أحياناً في خدمته - ويقول: (وعاشروهن بالمعروف)، في نفس الوقت الذي ينبه على عدم الانسياق مع الهوى ورغبات النساء.

كما كان يؤكد على تقديم المصالح العامة على الراحة الشخصية، أو المبالغة في الاهتمام الخاص بالبيت والأزواج والأولاد، حيث كان يبدي هذه الملاحظة، عندما كان يرى ترجيح بعض شباب الأسرة لهذه الأوضاع الخاصة، على الاهتمامات العامة، والاكتفاء في سلوكه الديني بالالتزامات العبادية أو الشخصية وطلب العلم، ويفسر ذلك بضعف الشخصية والطموح، أو عدم الفهم للإسلام ومتطلبات الشريعة.

منهج التربية

يمكن أن نشير باختصار إلى عدّة خطوط، تكوّن مجموعها منهج التربية لدى الإمام الحكيم.

١ - السلوك الشخصي للإمام الحكيم، ودوره في التربية، والذي يعتمد بالأساس على نظرية القدوة في التربية.

فقد لاحظ الإمام الحكيم عليه السلام، ظاهرة في بعض الأوساط الدينية، والحوزوية، وهي تنكر بعض الأبناء لمسلك ومنهج آبائهم، بل ارتداد بعض هؤلاء الأبناء على هذا المسلك، في بعض الأحيان مع بقاء حالة تبادل العلاقات والاحترام بين هؤلاء الأبناء والآباء.

وكان عليه السلام يوعز ذلك الى نقطة فيها شيء من الخفاء، وهي أن هؤلاء الأبناء كانوا يشاهدون في سلوك آباءهم بعض الظواهر التي لا تنسجم مع مجمل الادعاءات، والالتزامات التي يتبناها المنهج الحوزوي العام لهؤلاء الآباء، ويصبحون في نظر أبنائهم ممن يقولون ما لا يفعلون، أو يفعلون ما لا يقولون.

فعندما كان عليه السلام يريد أن يربي على الورع عن محارم الله، كان يضرب أروع الأمثلة في سلوكه لذلك، وعندما كان يريد أن يوجد عنصر الإخلاص وقصد القرية، كان يتوخى في جميع سلوكه توفير هذا الإخلاص، بحيث يبدو ذلك واضحاً لكل من يتصل به، ويتحدث عنه وعن دوره في تحقيق الأهداف، وتحصيل النتائج والآثار المطلوبة، وعندما كان يريد أن يعلم أولاده الأمانة والصدق، كان يتعامل مع الأموال بمنتهى الأمانة والدقة، فيضع المال القليل في ظرف خاص، يكتب عليه اسم صاحبه ووجه مصرفه، ثم يتعامل معه بدقة، ولا يتصرف فيه إلا بعد أن يعرف من صاحبه خصوصيات المال ووجهه، وعندما يدفع إليه أحدهم المال، كان يسأله عن وجهه، فإذا لم يعرف وجهه كان يعلمه أفضل الوجوه، وأنجحها في براءة ذمته، وتسهيل مهمته. ولعل من أروع أمثلة المحافظة على الأمانة هذه القصة، وهي أن الإمام

الحكيم عليه السلام كلف ولده الشهيد السيد محمد مهدي أن يكتب رسالة مهمة الى أحد الأشخاص، وكان ينتظر الإمام الحكيم الجواب عنها، وكان من عادة الإمام الحكيم السفر الى زيارة سيد الشهداء عليه السلام - في الزيارات المخصوصة المهمة - مثل زيارة النصف من شعبان، ويوم عرفة، وعندما يذهب الى كربلاء، كان يُرسل إليه البريد من النجف الى كربلاء كل يوم بيد المسافرين، وصادف أن جاء جواب الرسالة المذكورة مع البريد - في هذه الأيام - فأرسلت الى كربلاء، دون علم السيد محمد مهدي، وهو في النجف، وكان الإمام يفتح الرسائل بنفسه، ثم يحولها لمن يريد، وعندما وجد هذه الرسالة لم يوافق على فتحها، مع علمه وعلم أصحابه بشأنها ومصدرها، وطلب إذن السيد محمد مهدي بفتحها، ولم تكن الاتصالات في ذلك الزمان متيسرة هاتفياً إلا بشكل محدود، حيث لم يكن للإمام الحكيم هاتف في منزله في كربلاء، ولا في النجف، وتم الاتصال بالواسطة بعد فترة من الزمن بالسيد محمد مهدي لاستئذانه بفتح الرسالة، وكان أصحاب الإمام الحكيم يلحون عليه بفتحها وتحسين ذلك، خصوصاً بعد معرفتهم بغرضها الإجمالي، ولكن الإمام الحكيم رفض ذلك، حرصاً منه للمحافظة على الأمانة والحقوق.

ولذلك اهتم هو عليه السلام بالتربية من خلال السلوك وضرب الأمثال من خلال العمل والالتزام، فكنا نلاحظ التطابق التام بين ما يرشدنا إليه، وبين سلوكه في مختلف جوانبه.

لقد كان مجمل سلوكه عليه السلام من أروع أساليب التربية على هذا المضمون، حيث كنا نلمس الاخلاص، وروح التقوى، والطهارة، والنقاء في

هذا السلوك^(١).

٢- الاشراف المباشر على التربية، واستخدام مختلف وسائل التربية، والتأديب من النصيحة والإرشاد على التربية، واستخدام مختلف وسائل التربية، والتأديب من النصيحة والإرشاد، والمحاسبة، وإفادات النظر، والعتاب وحتى الشديد منه، والتهديد باتخاذ الاجراءات المناسبة، والضرب أحياناً وحتى الشديد منه.

وعندما يراجع الإنسان هذه المراتب من الممارسة، يرى أمامه منهج الإسلام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمهم هنا أنه ﷺ كان يباشر ذلك بنفسه، وباستمرار دون كلل أو ملل، بل من خلال الشعور بالمسؤولية وبطريقة توحى بالهدف لا مجرد التعبير عن الانفعال.

وفي هذا المجال، كنت ألمس بأن لهذا الدور، أثر مهم في ما أنعم الله تعالى به عليّ من هداية، كان واسطتها هو الإمام الحكيم ﷺ، حيث كنا نتعرض لمختلف المخاطر الأخلاقية والروحية والنفسية، خصوصاً بعد أن أصبحت أسرة الإمام الحكيم واسعة الأطراف والمتعلقين.

كان يتابع أدق الأمور في هذا المجال، تصرفات الأبناء، والبنات، والزوجات، وماذا يلبس الإنسان، وما هو هندامه، وطريقة تصرفه في بيته، وسلوكه مع زوجته، وأولاده وأرحامه، وكيف تتصرف النساء في المجالس العامة والخاصة، الى غير ذلك من التفاصيل الدقيقة، ويتدخل فيها بحكمة

(١) يقول أحد العلماء البارزين آية الله السيد عبدالكريم الأردبيلي: - ولم يكن من أصحاب الإمام الحكيم: إنني حضرت عند الإمام الحكيم درسه حوالي السنة بعد وفاة آية الله العظمى السيد الاصمغاني، وكنت ألاحظ في سلوكه في الدرس ما يوحى بالتربية على الأخلاق العالية بحيث كان ذلك درساً لكل من يشاهده.

ولطف، يحفظ فيه الاستقلال في الإرادة والاختيار، ويبعد فيه الأضرار والأخطار، ويقف بحزم أمام المحرمات أو المحظورات الشرعية أو العرفية. ويرى في كل ذلك للمرجعية مقاماً إلهياً، يفرض التزامات استثنائية على أصحابها، كما هو مدلول قوله تعالى: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنِ يَاْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۗ وَمَنْ يَقْتُلْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُورِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ۗ ۱﴾.

٣- التحصين واتخاذ الاجراءات المختلفة للصيانة والمحافظة والاحتياط من الوقوع في المحرمات أو الانحرافات، انطلاقاً من النظرية الإسلامية التي جاءت على لسان أهل البيت عليهم السلام «من حام حول الحمى كاد أن يقع فيه» أو «الحمية أفضل من الدواء»، «والمناعة خير من العلاج».

فقد كان الإمام الحكيم عليه السلام، مثلاً يهتم غاية الاهتمام باختيار الأصحاب والرفقاء، فيمنع من خلطاء السوء، أو اللعب في الأزقة، ومعاشرة السفهاء، أو السفلة أو ذوي السمعة السيئة. ويختار لأولاده، أو يظهر قوله ورضاه بالأصحاب من ذوي العقل، أو متقدمي السن، وأهل الفضل المعروفين بالأمانة والثقة. فالإخوان على قسمين، إخوان المعاشرة، وإخوان الثقة، فلا بد للإنسان من اختيار أخ الثقة.

وكذلك ان يهتم بالزواج المبكر، فإن أكثر أولاده، تزوجوا بين السادسة عشر، والعشرين، لأنه كان يرى أن ذلك، بالإضافة الى أنه مستحب شرعاً، فهو أفضل طريقة لتحصين الإنسان: «من تزوج حفظ نصف دينه، فليتق الله في النصف

(١) الأحزاب: ٣٠-٣١.

الآخر».

كما كان يحث على بعض الالتزامات الشرعية، منذ الصغر وقبل سن العاشرة، كصلاة الجماعة، وزيارة أئمة أهل البيت عليهم السلام، وكذلك حضور المجالس الحسينية والاجتماعات العامة النزيهة، حيث كان يرى ذلك مما يحقق مناعة ذاتية، وينمي روح التقوى والمعرفة.

وكذلك كان يحث في مجال المعرفة على قراءة القرآن، وحفظه، وقراءة بعض النصوص الدينية، وحفظها، وبصورة خاصة النصوص الأربعة التالية:
- دعاء كميل.

- وصية الإمام علي لولده الحسن عليه السلام.

- رسالة الإمام علي عليه السلام الى واليه على البصرة؛ عثمان بن حنيف.

- الخطبة الشقشقية.

٤ - التأكيد على الاعتبار بالأوضاع التي كان يعيشها المراجع الماضين، والمرجعيات السابقة، والآثار السلبية والايجابية، التي كانت تقترن بها، وما انتهت إليه أوضاع أبناء بعض الأسر العلمية من انحرافات، بسبب غفلة الآباء عن التربية، والانشغال بحب الدنيا، أو المظاهر الزائفة للزعامات، وسلوك بعض الحواشي والمستشارين، الذي كان له انعكاسات سلبية على أوضاع المراجع والمرجعيات نفسها.

وأهمية الانطلاق في العلاقات مع مقام المرجعية - سواء في حركة الإنسان الذاتية أم مع المجتمع - من الإحساس بالمسؤوليات تجاه هذا المقام الديني الإلهي، وتقديم الخدمة للإسلام والناس، لا من منطلق الاستفادة

الشخصية، أو الشعور بالفخر، والغرور، أو الامتياز.

وكان ينبه باستمرار في هذا المجال، إن هذه الامكانيات المعنوية والمادية المتوفرة، إنما هي ملك الإسلام والأمة، لا لشخص، وأنه عندما يمنع من الاستفادة منها، أو يحرص عليها، ليس بخلًا بالمال^(١) أو ظناً بالجاه، وإنما هو حرصاً على الدين والوظيفة الشرعية، وفي هذا المجال كان يؤكد على أهمية مواساة الناس الآخرين، بالقدر الممكن أو المتوسط، بحيث كان يراقب أن لا يكون مستوى معيشة أولاده أعلى من مستوى معيشة أمثالهم في الفضل أو الوضع الاجتماعي، من عموم أبناء الحوزة العلمية^(٢).

٢- النشأة العلمية

تلقى السيد المترجم علومه الأولية في كتاتيب النجف الأشرف، ثم دخل في مرحلة الدراسة الابتدائية في مدرسة منتدى النشر الابتدائية حيث أنهى فيها الصف الرابع فتركها بعد أن نشأت عنده الرغبة في الدخول في الدراسات الحوزوية بصورة مبكرة، حيث بدأ بالدراسة الحوزوية عندما كان في الثانية عشر من عمره وكان ذلك سنة (١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م).
درس في البداية قطر الندى، وألفية ابن مالك، وجزءاً من مغني اللبيب

(١) كان الإمام الحكيم يحتفظ بميزانيته والأموال في بيته، ولم يكن يتعامل مع البنوك، لأنها لم تكن موجودة، وكان لا يراها شرعية، بالإضافة إلى بعض المحاذير السلبية في ذلك، وكنا نرى هذه الأموال بين أيدينا، وقد يخطر في باله أنها تكون سبباً في إغرائنا، فكان يقول إني لا أمتنع هذا المال عنكم بخلًا به، وإنما المال عرض الدنيا، وهو زائل، ولا أريد لكم إلا عيش الكفاف، فهو أصلح لدينكم.

(٢) الإمام الحكيم، للشهيد السيد محمد باقر الحكيم رحمته الله: ص ٢٨ - ٣٩.

في النحو ، وحاشية الملا عبد الله وجزءاً من منطق المظفر في المنطق ، والمختصر وجزءاً من المطول في البيان ، ومنهاج الصالحين واللمعة الدمشقية في الفقه والمعالم في الأصول ، وقد درس كل ذلك عند المرجع المعاصر آية الله العظمى السيد محمد سعيد ابن السيد محمد علي الحكيم ، عدا اللمعة الدمشقية التي درسها عند آية الله السيد محمد حسين ابن السيد سعيد الحكيم رحمته وقد أنهى دراسة اللمعة الدمشقية سنة (١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م). كما حضر دروس (السطح العالي) سنة (١٣٧٥ هـ) فدرس الرسائل عند سماحة آية الله السيد محمد حسين الحكيم رحمته ، والجزء الأول من الكفاية عند أخيه الأكبر آية الله العظمى السيد يوسف الحكيم رحمته ، وواصل دراسة الجزء الثاني من الكفاية وكذلك جزء من المكاسب عند الشهيد الصدر أيضاً ، وكان زملاؤه في دراسة الكفاية عند الشهيد الصدر رحمته كلاً من حجة الإسلام السيد نور الدين الاشكوري ، والسيد فخر الدين الموسوي العاملي ، والسيد طالب الرفاعي ، وقد انقطع للدراسة عند السيد الشهيد الصدر رحمته منذ ذلك الحين ، أي سنة (١٣٧٦ هـ).

وبعد أن تجاوز هذه المرحلة من الدراسة حضر درس (خارج الفقه والأصول) لدى كبار المجتهدين أمثال آية الله العظمى السيد أبي القاسم الخوئي رحمته وآية الله العظمى الشهيد السيد محمد باقر الصدر رحمته حيث حضر عنده في بداية تدريسه لبحث الخارج ، واستمر بالحضور لدى هذين العلمين الكبيرين فترة طويلة. وكلاهما كان يوليه اهتماماً خاصاً وملحوظاً. وقد عرف رحمته منذ سن مبكرة بنبوغه العلمي وقدرته الذهنية والفكرية

العالية ، فحظي باحترام كبار العلماء والأوساط العلمية ، كما نال في أوائل شبابه من المرجع الكبير آية الله العظمى الشيخ مرتضى آل ياسين شهادة اجتهاد في علوم الفقه وأصوله وعلوم القرآن ، وذلك في عام (١٣٨٤هـ)^(١) .

كما ساهم بتأسيس الحركة الإسلامية في العراق ورعايتها ، كما سوف نشير الى ذلك في تحركه السياسي ، وعندما تأسست جماعة العلماء في النجف الأشرف في أواخر السبعينات الهجرية وأواخر الخمسينات الميلادية^(٢) ، أختير عضواً في اللجنة المشرفة على مجلة الأضواء الإسلامية ، وهي مجلة اسلامية ساهمت كثيراً في تشكيل الوعي الفكري والسياسي الإسلامي لدى جيل الخمسينيات الميلادية.

ولم يقتصر سماحته على تعلم الفقه والأصول ، وإنما أضاف الى ذلك ، العلوم الحديثة وكان يطلع - وهو في شبابه - على الأفكار الجديدة التي أخذت تدخل الى أوساط المجتمع العراقي عبر الكتب والمجلات والصحف ، فمنحه ذلك قدرة التواصل مع التطورات الحديثة على الأصعدة المختلفة كما كان قارئاً لا يمل القراءة في كتب التاريخ والتراث والسيرة ،

(١) جاء في نص الشهادة (بسم الله الرحمن الرحيم: ان قررة العين العلامة السيد باقر السيد محسن الحكيم قد حضر دروس المجتهدين الأعلام في النجف حضور تفهم وتدبر وتعمق حتى وصل الى درجة الاجتهاد في الفقه وأصوله وعلوم القرآن وياشر التدريس في بعض مدارس النجف الأشرف بجدارة وله بحوث تشهد بذلك ، وبناء عليه فقد أجزناه أن يدرّس علوم القرآن والفقه والأصول في المعاهد العالية. ١٤ / ٩ / ١٣٨٤هـ مرتضى آل ياسين. إطلالة على السيرة الذاتية، محمد هادي: ص ١٧-١٨.

(٢) لمعرفة تفاصيل التأسيس يراجع كتاب (مذكرات العلامة الشهيد السيد مهدي الحكيم حول التحرك الإسلامي في العراق).

وقد سألته مرة - وكنت معجباً بقدرته على التحليل التاريخي وفهمه لحركة التاريخ - عن خلفيات معرفته التاريخية ، فقال فيما قال عن ذلك ، أنه في أوان الشباب قرأ مجموعات تاريخية كاملة كتاريخ الطبري وغيره من الموسوعات التاريخية أو السيرة ، وانه لم يكن يكتفي بالقراءة بل كان يقرأ ويتأمل فيما كان يقرأه.

وإلى جانب ذلك تميز سماحته بفكر عميق وشامل ، فهو يطرح القضايا ويناقشها بدقة ويغوص في أعماق الدليل فيخرجه واضحاً.. مقنعاً.. ومنطقياً ، وقد عرف في الأوساط العلمية والسياسية بقوة الحجّة والدليل.. فشهد له بذلك كل من حاوره أو استمع اليه.

وكل ذلك ، كان قد أهله ، وهو بعد لما يتجاوز العشرين عاماً من عمره الشريف لكي يساهم في مراجعة كتاب فلسفتنا لعلاق الفكر الإسلامي المعاصر آية الله العظمى الشهيد السيد محمد باقر الصدر رحمته الله بعد أن حضر دروسه الفلسفية آنذاك ، وهو كتاب لا نظير له في مناقشة الفكر المادي ، وهي مراجعة لم تكن تقتصر على اختيار العناوين ، وانما امتدت لتشمل مناقشة الأفكار والآراء كذلك.

فقد كتب الشهيد الصدر رحمته الله كتاب فلسفتنا مرتين بمنهجين ، وكان لسماحة المترجم له دور في تشخيص التصميم العام للمنهج في الكتاب ، وكذلك قراءة الكتاب لمناقشة أفكاره ووضع العناوين وتقسيمها لفصول

وموضوعات ومن ثم الاشراف على تصحيحه وطبعه ، كما أهله لذلك ليكتب بعض الموضوعات للثقيف في صفوف حزب الدعوة الإسلامية وقد اطلعت مؤخراً على موضوع كتبه حول موقف الإسلام من القومية ، وهي كتابة دلت على عمق وفكر ثاقب، وكان الموضوع قد نشر في الدعوة الإسلامية عام (١٩٥٩م) وكان عمره حينذاك عشرون عاماً^(١).

(١) إطلالة على السيرة الذاتية، محمد هادي: ١٣ - ٢١ .



الفصل الرابع

النشاط العلمي والعطاء الفكري

١- التدريس الحوزوي

نال السيد محمدباقر الحكيم في حوزة النجف الأشرف مرتبة عالية في العلم بفروعه وفنونه المختلفة ومارس التدريس لطلاب السطوح العالية في الفقه والأصول والفلسفة ومنطق الاستقراء ، وكانت له حلقة للدرس في مسجد الهندي في النجف الأشرف ، وعرف بقوة الدليل ، وعمق الاستدلال ، ودقة البحث والنظر ، فتخرج على يديه علماء انتشروا في مختلف أنحاء العالم الإسلامي ، نذكر منهم شقيقه الشهيد آية الله السيد عبد الصاحب الحكيم رحمته الله الذي درس عنده الجزء الأول من الكفاية ، وحجة الإسلام والمسلمين السيد محمد باقر المهري ، الذي درس عنده الجزء الثاني من الكفاية ، والعلامة الشهيد السيد عباس الموسوي الأمين العام لحزب الله - في لبنان - ، والعلامة الشيخ أسد الله الحرشي ، والفاضل الشيخ عدنان زلفوط ، والسيد حسن النوري ، والعلامة السيد صدر الدين القبانجي ، والشيخ حسن شحادة ، والشيخ هاني الثامر ، وغير هؤلاء كثيرون.

٢- التدريس الجامعي

ومع ذبوع صيته العلمي ، ومن أجل تحقيق نقلة نوعية في العمل الاجتماعي والثقافي لعلماء الدين في انفتاح الحوزة العلمية على الجامعة من ناحية ، وتربية النخبة من المثقفين بالثقافة الدينية الأصيلة والحديثة ، فقد وافق سماحته على انتخابه عام (١٩٦٤م) ليكون أستاذاً في كلية أصول الدين في بغداد يدرس علوم القرآن ، والشريعة ، والفقه المقارن ، وقد استمر في ذلك النشاط حتى عام (١٩٧٥م - ١٣٩٥هـ) ، وتوقف عن التدريس في الكلية بعد مصادرتها من قبل حزب البعث العراقي في ذلك العام حيث كان عمره الشريف - حين شرع بالتدريس - خمسة وعشرين عاماً.

وكانت كلية أصول الدين تقع ضمن المشروع الثقافي والاجتماعي العام لمرجعية الإمام الحكيم عليه السلام ومؤسساتها ، وكان سيدنا المترجم يشترك في التخطيط والاسناد والمتابعة لهذه المشاريع ضمن تلك المرجعية الكبرى ، شكما كان يشترك في ذلك آية الله العظمى الشهيد السيد محمد باقر الصدر عليه السلام والعلامة السيد مرتضى العسكري - حفظه الله - والعلامة الشهيد السيد مهدي الحكيم وعلماء أفاضل آخرون ، ومن أجل دعم هذا المشروع وتقوية بنيته الثقافية والفكرية والتربوية تم التداول بين تلك المجموعة في أن يشارك سيدنا المترجم ^(١) في هذا المجال الحيوي الجديد انطلاقاً من فكرة قيمومة

(١) وكذلك آخرون أمثال العلامة السيد محمد بحر العلوم ، والعلامة الشيخ محمد جعفر شمس الدين ،

واشرف الحوزة العلمية ومشاركتها في النشاطات الجامعية ، وبعد أن تم تنضيج هذه الفكرة اقترح آية الله السيد الشهيد محمدباقر الصدر عليه السلام على إدارة الكلية أن يقوم سيدنا المترجم بالمشاركة في التدريس ، فقام سماحته بتدريس مادتي علوم القرآن والفقهاء المقارن ، مضافاً الى المشاركة في اجتماعات الهيئة التدريسية والاشراف على مجلة (رسالة الإسلام) وكان سماحته يسافر اسبوعياً الى بغداد مع صعوبة الظروف والتنقل في ذلك الوقت لأداء هذه المهمة ، وقد تعاضم دوره في هذه الكلية بعد غياب العلامة السيد مرتضى العسكري عن عمادة الكلية بسبب ظروف المطاردة التي حدثت بعد مجيء العفالققة الى العراق سنة (١٩٦٨ م)^(١).

وكان دخوله للتدريس في الجامعة - وهو العالم الحوزوي الى جانب العلماء الآخرين - يمثل نقلة نوعية في العمل الاجتماعي للحوزة ، حيث كان الدخول الى الوسط الجامعي يمثل حدثاً مهماً على صعيد العمل الاجتماعي من قبل المرجعية ، خصوصاً إذا كان الذي يقوم بذلك هو ابن المرجع نفسه. وعلى صعيد التدريس أيضاً ، فقد مارس سماحته تدريس البحث الخارج على مستوى الاجتهاد في إيران بشكل محدود بسبب انشغاله بقيادة الجهاد السياسي ، وكان تدريسه في كتاب القضاء والجهاد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والحكم الإسلامي.

١- والعلامة الشيخ محمد مهدي الآصفي وغيرهم. ولكن السيد المترجم كان متمحضاً في الخصوصية الحوزوية مضافاً الى أخيه السيد محمد مهدي الحكيم.
(١) غادر العلامة السيد مرتضى العسكري العراق عام (١٩٦٩ م) ، بعد المواجهة التي قادها الإمام الحكيم عليه السلام ضد نظام العفالققة في بغداد.

كما قام بتدريس التفسير لعدة سنوات ، من خلال منهج التفسير الموضوعي والتفسير التجزيئي الاجتماعي.

والى جانب نشاطه العلمي في الحوزة العلمية في النجف الأشرف ، والتدريس في كلية أصول الدين ببغداد ، فقد كان سماحته يشعر بالحاجة الى وجود المبلغين الاسلاميين وضرورة اطلاعهم على العلوم الحديثة ، فتحرك وبتأييد من الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر رحمته وتعاون مجموعة من العلماء الأفاضل نحو تأسيس (مدرسة العلوم الإسلامية) في النجف الأشرف سنة (١٣٨٤ هـ)، وقد أثمرت تلك المدرسة فعلاً في تخريج عدد من الدارسين حملوا فيما بعد راية نشر الوعي الإسلامي في العراق وفي مختلف بقاع العالم الإسلامي ، وكان تأسيس تلك المدرسة في إطار مرجعية والده الإمام الحكيم رحمته وفي عهده ، واستمرت في نشاطها حتى بعد وفاته ، بفضل اصرار سماحة السيد المترجم على الرغم من العراقيل والمصاعب التي واجهتها المدرسة من جهات متعددة.

كما قام شخصياً وبطلب من والده المرجع الأعلى بالتبليغ الإسلامي ، ووظيفة العالم الديني في مدينة الكوت لمدة شهرين تقريباً بعد عالمها حجة الإسلام والمسلمين الشيخ سليمان اليحفوفي.

ومع أنّ السيد الحكيم قد أعطى أكثر وقته في المهجر للنشاط الاجتماعي والسياسي ، إلا أنّ انتاجه الفكري استمر ثراءً معطاءً ، على الرغم من أن أكثر انتاجه الفكري لم يخرج الى النور لحد الآن ، إلا أنّ ما نشر منه يكشف عن قابلياته الفكرية العميقة والغنية.

فقد كان يشارك في المؤتمرات الفكرية المهمة مثل مؤتمر الفكر الإسلامي ، والوحدة الإسلامية ، والاقتصاد الإسلامي ، ومؤتمرات أهل البيت عليهم السلام ، ومؤتمرات الحج ، كما كان يلقي الدروس والمحاضرات في التفسير ، والفقه والتاريخ ، والسياسة والأخلاق وكذلك رئاسته للمجلس الأعلى للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ، وسكرتاريته لرئاسة الهيئة العامة لمجمع أهل البيت العالمي ، كما كان يكتب وتُجرى معه الحوارات ، وكان حصيلة ذلك مجموعة من الكتب والأبحاث والدراسات ، والمحاضرات الكثيرة الغنية بالمادة المعرفية في مختلف المجالات.

٣- التأليف والدراسات الثقافية

صدرت للشهيد السيد محمدباقر الحكيم لحد الآن الكتب والدراسات والأبحاث التالية:

الف - القرآن والتفسير

- ١ - علوم القرآن (مجموعة محاضراته التي ألقاها على تلامذته في كلية أصول الدين) وقد نقحه وأضاف عليه وأعيد طبعه في أواخر عام (١٤١٧ هـ) ، وهو كتاب دراسي كبير ومهم. وقد تمت ترجمته الى اللغة الفارسية.
- ٢ - القصص القرآني، وهو كتاب جيد وبديع وقد أصبح منهجاً يُدرس في الجامعة الدولية للعلوم الإسلامية في إيران .
- ٣ - الهدف من نزول القرآن وآثاره على منهجه في التغيير. وهو

بالأصل بحث كتبه لأحد مؤتمرات الفكر الإسلامي المنعقدة في إيران ، ثم قام بتوسيعه وتنقيحه فصدر في كتاب مستقل.

٤ - مقدمة التفسير وتفسير سورة الحمد .

٥ - المجتمع الإنساني في القرآن الكريم. وقد خرج من الطباعة على عالم النور بعد استشهاده. وكان قد نشر في مجلة رسالة التقريب على شكل حلقات ودروس.

٦ - منهج التزكية في القرآن.

٧ - تفسير سورة الصف (مخطوط).

٨ - تفسير سورة الجمعة (مخطوط).

٩ - تفسير سورة المنافقون (مخطوط).

١٠ - تفسير سورة الحشر (مخطوط).

١١ - تفسير سورة التغابن (مخطوط).

١٢ - المستشرقون وشبهاتهم حول القرآن - وهو كتاب ألفه في الستينات وطبع في العراق في أواسط السبعينات. وهو مقتطف من محاضراته في علوم القرآن التي ألقاها على طلبة كلية أصول الدين ببغداد.

١٣ - الظاهرة الطاغوتية في القرآن (مطبوع).

١٤ - محاضراته القيمة في تفسير سورة البقرة. وهي محفوظة عند بعض تلامذته وأخص منهم بالذكر الأستاذ محمد جواد الزبيدي الذي أنجز بهيمته كتاب تفسير سورة الحمد وكتاب المجتمع الإنساني في القرآن الكريم.

ب - أهل البيت عليهم السلام والسيرة

- ١- أهل البيت عليهم السلام ودورهم في الدفاع عن الإسلام (مطبوع).
- ٢- دور أهل البيت عليهم السلام في بناء الجماعة الصالحة - مجلدان من موسوعة كبيرة عن أهل البيت عليهم السلام (مطبوع) ، وهو كتاب مهم في بابهِ لدراسة حياة أئمة أهل البيت عليهم السلام .
- ٣- نظرية الإمامة. وقد طبع أكثره في مجلي رسالة الثقلين والفكر الإسلامي وخرج الى عالم النور بعد استشهاده عليه السلام .
- ٤- ثورة الإمام الحسين عليه السلام (مطبوع) ، وهو عبارة عن قسم من محاضراته التي ألقاها على أوقات مختلفة.
- ٥- الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم .
- ٦- محاضرات في سيرة أهل البيت عليهم السلام .

ج - ثقافة إسلامية عامة

- ١- الحكم الإسلامي بين النظرية والتطبيق (مطبوع).
- ٢- دور الفرد في النظرية الاقتصادية الإسلامية (مطبوع).
- ٣- حقوق الإنسان من وجهة نظر إسلامية (مطبوع).
- ٤- النظرية الإسلامية في العلاقات الاجتماعية.
- ٥- النظرية الإسلامية في التحرك الإسلامي (مطبوع).
- ٦- لمحة عن مرجعية الإمام الحكيم (مطبوع).

- ٧- دعبل بن علي الخزاعي «شاعر أهل البيت عليه السلام» (مطبوع).
- ٨- أفكار ونظرات جماعة العلماء (مطبوع).
- ٩- العلاقة بين القيادة الإسلامية والأمة (مطبوع).
- ١٠- الوحدة الإسلامية من منظور الثقليين (مطبوع) ، طبع عدة طبعات ، كان آخرها في مصر سنة (٢٠٠١ م).
- ١١- الاخوة الإيمانية (مطبوع).

د- في السياسة والحركة الإسلامية

- ١- الوجه الآخر للنظام العراقي (مطبوع).
 - ٢- النظرية السياسية للشهيد الصدر (مطبوع).
 - ٣- الكفاح المسلح في الإسلام (مطبوع).
 - ٤- الصراع الحضاري والقضية الفلسطينية (مطبوع).
 - ٥- العراق.. تصورات الحاضر والمستقبل (مطبوع).
 - ٦- القضية الكردية من وجهة نظر اسلامية.
- ولديه تقارير للدروس التي تلقاها على مستوى المقدمات والسطوح وبحث الخارج تركها في النجف بسبب الهجرة من العراق واستولى عليها الأوغاد والمجرمون من مرتزقة نظام صدام ضمن مصادرتهم لممتلكاته ومنها مكتبته وكتاباته.
- وقد طبعت بعض خطبه التي كان يلقيها في المناسبات الدينية والسياسية على شكل كراسات ومنها:

- ١ - مأساة الحسين عليه السلام وتصعيد روح المقاومة.
 - ٢ - المرجعية الدينية ودورها في الأمة.
 - ٣ - آثار مرجعية الإمام الحكيم عليه السلام.
 - ٤ - المرجعية ، الوحدة ، الجهاد.
 - ٥ - السيد التقوي ومدرسة أهل البيت عليهم السلام.
 - ٦ - الشهيد السيد محمد مهدي الحكيم وحركة حزب الله.
 - ٧ - السيد محمد مهدي الحكيم عليه السلام الجهاد ، الهجرة ، الشهادة.
 - ٨ - العمل الجهادي والفظاء السياسي.
 - ٩ - استراتيجيتنا المستقبلية.
 - ١٠ - المشروع السياسي العسكري.
 - ١١ - انتفاضة الشعب العراقي (١٥ شعبان) تجسيد الولاء للإسلام.
 - ١٢ - حوارات ، وهو كتاب ضم مجموعة من الحوارات السياسية والثقافية التي أجريت مع سماحته على فترات مختلفة (جزءان).
 - ١٣ - المنهاج الثقافي السياسي.. وهو مجموعة محاضرات تخصصية قيعة ألقاها سماحته على مجموعة من العلماء والمبلغين والمثقفين وقد طبعت بشكل محدود.
- وله غير ذلك مما لم ينشر الكثير من الدراسات القيمة في شتى أنواع المعرفة الإنسانية والعلوم الإسلامية.

هـ: الفقه الإسلامي

صدرت له دراسة فقهية في الأمن الاجتماعي في الإسلام طبع قسم منها في مجلة الفكر الإسلامي كما دون القسم الآخر منها ولم ينشر، ونجد معالم رؤيته الفقهية التنظيرية التي سبقه إليها أستاذه الفذ الشهيد الصدر في كتبه: الحكم الإسلامي بين النظرية والتطبيق، والوحدة الإسلامية من منظور الثقلين، والنظرية السياسية للشهيد الصدر، والكفاح المسلح في الإسلام، والنظرية الإسلامية في العلاقات الاجتماعية، والعلاقة بين القيادة الإسلامية والأمة وغيرها.

ونظراً لإغفال هذا الجانب المهم من شخصية الشهيد العلمية من قبل كثير من العلماء والفضلاء يجدر بنا أن نشير إلى ضرورة الوقوف على مستوى فقاوته واجتهاده الذي غاب في زحمة الصراع السياسي والثقافي. ومن هنا يلزم نشره والتأكيد عليه. وقد اخترنا نموذجاً مما نشر في مجلة الفكر الإسلامي وألحقناه بهذا الفصل من الكتاب بشكل خاص.

الأمن الاجتماعي في الإسلام جرائم أمن الجماعة

تمهيد:

لقد تناول النظام الإسلامي الكامل جميع شؤون الحياة الإنسانية وهذا الأمر يمكن أن نعرفه بشكل واضح من خلال مراجعة عامة للشريعة الإسلامية السمحاء وملاحظة شموليتها واستيعابها لتفاصيل لم تعرفها الشرائع السماوية والأرضية الأخرى. وكان هذا مما أكد عليه القرآن الكريم في بعض آياته الشريفة مثل قوله تعالى: ﴿... وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَتَعَلَّمُوا عِنْدَ النَّبِيِّ وَالْحِسَابِ وَكُلَّ شَيْءٍ فَضَّلْنَا نَفْصِيلاً﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿... وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً ...﴾^(٣).

كما ورد التأكيد على هذا المعنى في الحديث الشريف المروي عن النبي ﷺ وبالخصوص مما ورد عن أهل البيت عليه السلام مثل الحديث المعتبر الذي رواه الكليني عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال:

«إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْزَلَ فِي الْقُرْآنِ تَبْيَانَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى وَاللَّهِ مَا تَرَكَ

(١) النحل: ٨٩.

(٢) الإسراء: ١٢.

(٣) الأنعام: ١١٤.

شيئاً يحتاج إليه العباد، حتى لا يستطيع عبداً أن يقول: لو كان هذا أنزل في القرآن؟ إلا وقد أنزله الله فيه»^(١).

وفي حديث آخر معتبر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام :

«ما من شيء إلا وفيه كتاب وستة»^(٢).

وقول الصادق عليه السلام في حديث آخر :

«ما من أمرٍ يختلف فيه اثنان إلا وله أصلٌ في كتاب الله ولكن لا تبلغه عقول الرجال»^(٣).

وكان من جملة الجوانب المهمة في النظام الإسلامي هو نظام العقوبات والتشريع الجنائي، حيث استوعب النظام الإسلامي في تشريعه الجرائم المختلفة ووضع لها حدوداً وعقوبات مختلفة على مستويات متعددة فقد ورد في التأكيد على الشمولية في هذا المجال الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله حيث روي عنه أنه قال :

«أن الله قد جعل لكل شيء حدّاً وجعل لمن تعدى ذلك الحدّ حدّاً»^(٤).

وفي رواية أخرى عن علي بن الحسين بن علي بن رباط عن أبي عبد الله عليه السلام قال :

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن الله عزّ وجلّ جعل لكل شيء حدّاً وجعل على

(١) الكافي ١: ٩٥، الحديث ١.

(٢) الكافي ١: ٩٥، الحديث ٤.

(٣) وسائل الشيعة ١٧: ٥٨١، الحديث ٣.

(٤) صحيحة داود بن فرقد التي رواها الكافي في الفروع والشيخ في التهذيب والصدوق في الفقيه والبرقي في المحاسن بطريقتي آخر. راجع الوسائل ١٨: ٣٠٩، الباب ٢ من أبواب مقدمات الحدود، الحديث ١.

مَنْ تَعَدَّى حَدًّا مِنْ حُدُودِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَدًّا»^(١) ٢.
وعلى هذا الأساس يصبح من الممكن أن نستخلص من مجموع التشريعات التي وردت في هذا الجانب نظرية متكاملة عن الجرائم والجنایات وعقوباتها وحدودها ومرتباتها.

موضوع البحث:

وفي البداية يحسن بنا أن نشير إلى أن الجرائم في النظام الإسلامي يمكن أن نقسمها بحسب طبيعتها وأهدافها وآثارها المترتبة عليها وعقوباتها إلى خمسة أقسام:

الأول - جرائم الفتنة: وهي تلك الجرائم التي تستهدف قاعدة النظام الإسلامي العقائدية أو السياسية.

الثاني - جرائم الأمن العام: وهي جرائم المحاربة والإفساد في الأرض والتي تستهدف الإخلال بالنظام الاجتماعي وعلاقاته الاجتماعية العامة سواء كانت العلاقات أمنية أو اقتصادية أو أخلاقية.

الثالث - الجرائم السياسية: وهي الجرائم التي تستهدف طائفة خاصة من المسلمين أو وجود الحاكم الإسلامي وتغييره أو تغيير سلوكه والتزاماته وقراراته وهي جرائم البغي.

الرابع - الجرائم الاجتماعية الفردية: وهي التي تستهدف القاعدة الأخلاقية

(١) وسائل الشريعة، ١٨، الباب ٢ من أبواب مقدمات الحدود، الحديث ٢.

والأسس الإجتماعية للجماعة ولكن بشكل محدود أو فردي مثل: الزنى والسرقه والقذف وشرب الخمر.

لخامس - الجرائم العادية أو الشخصية : وهي التي تستهدف الأشخاص وحقوقهم مثل : جرائم القصاص (القتل أو نقص الأطراف ...) أو جرائم الضمان مثل : الغصب وإتلاف الأموال.

وفي هذا البحث نحاول أن ندرس القسم الثاني الذي نسميه بجرائم أمن الجماعة والنظام مثل جريمة المحاربة التي تعبر عن جريمة ضد أمن الجماعة العام وندرسها من خلال الخطوط الآتية :

الأول : تشخيص موضوع الحكم في جريمة (المحاربة) في ضوء آية المحاربة والقرآن الكريم بشكل عام وكذلك في ضوء الروايات الفقهية.
الثاني : إمكان البحث في توسعة دائرة الموضوع وتكوين نظرية شاملة للمحاربة تتناول جرائم أمن الجماعة العام مثل جرائم الإختطاف أو الإتجار بالمخدرات أو الإتجار بالرقيق الأبيض (جرائم الفحشاء أو تجارة البغاء) وما أشبه ذلك من الجرائم وبالتالي محاولة تشخيص مصاديق هذه الجريمة بما ينطبق مع الظروف السياسية والاجتماعية والأخلاقية والإقتصادية المعاصرة.

الثالث : في تشخيص الحكم في جريمة المحاربة وكذلك الحكم ونوع العقوبات المترتبة على جرائم أمن الجماعة وكيفية إجرائها.

الخط الأول:

تشخيص موضوع المحاربة.

والبحث فيه يقع في جهات:

الجهة الأولى:

في مدلول الآية الكريمة، وهي قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا فِي الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾^(١).
ويبدو من خلال الآية الكريمة أن العناصر التي أخذت في موضوع حكم هذه الجريمة تتمثل بالأميرين الآتين:

الأول - المحاربة: وهو الذي يستفاد من قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ... ﴾.

وبصدد تحديد مفهوم المحاربة يمكن الرجوع إلى اللغة والقرآن الكريم لمعرفة المراد منها.

المحاربة في اللغة: فـ «المحارب» مأخوذة من مادة (حزب) وهي تعني لغة: نقيض السلم^(٢) فهي مأخوذة من المقاتلة التي تستخدم فيها القوة وبهذا يمكن أن نفرّق بينها وبين المنازعة أو مجرد الخصومة والعداوة.
قال الزبيدي في تاج العروس شرح جواهر القاموس: الحرب نقيض

(١) المائدة: ٣٣.

(٢) لسان العرب ١: ٣٠٢، مادة (حزب).

السلم (م) لشهرته يعنون به القتال والذي حَقَّقه السهيلي أَنَّ الحرب هو الترامي بالسهم ثم المطاعنة بالرمح ثم المجالدة بالسيوف ثم المعانقة والمصارعة إذا تزاحموا...^(١).

حيث يلاحظ في هذه العناوين أَنَّ الخصوصية المشتركة بينها هو استخدام القوة في الخصومة حتَّى لو لم يكن هناك سلاح في المعانقة والمصارعة.

وعندما تستخدم في بعض الموارد بدون وجود القتال الحقيقي واستعمال القوة يكون الإِستخدام على نحو «المجاز» و «الكناية» كما في مثل : «أنا حربٌ لمن حارِبني، أي : عدوّ. وفلان حرب فلان، أي : محاربه، وفلان حربٌ لي، أي عدوّ ومحارب، وإن لم يكن محارباً... وقوم حرب كذلك»^(٢). فإنَّ هذه الموارد من الإِستعمال وإن لم يؤخذ فيها القتال الفعلي بالسلاح أو غيره من وسائل القهر والقوة ولكن نُزِلت العداوة فيها منزلة القتال كما هو واضح من خلال ما أشار إليه ابن منظور في قوله :

«وفلان حرب لي، أي : عدوّ محارب وإن لم يكن محارباً».

ولذلك فسر «حرب» في قوله تعالى : ﴿ فَأَذَّنَا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ ب (قتل).

نعم، فسر قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ يعني المعصية أي يعصونه.

(١) تاج العروس ٢٠٤:١.

(٢) المصدر السابق: ٣٠٣.

وكأنه لم يتعمّل وقوع القتال مع الله ورسوله على الحقيقة ففسره بالمعصية.

ولكن عندما نسب القول إلى العلماء والمفسرين رجع مرة أخرى إلى تفسير مصداق الحرب بالقتال والتعبير عن العداوة والعصيان باستخدام السلاح والقوة.

ويمكن أن نجد هذا المعنى سارياً في بعض الهيئات الأخرى لهذه المادة مثل (حزبة) وهي الآلة دون الرمح، و(حزب) أن يسلب الرجال ماله و(حارب) المسلح^(١).

المحاربة في القرآن الكريم: وأما «المحاربة» في القرآن الكريم فيلاحظ أن مادة المحاربة (حرب) قد استخدمت في القرآن الكريم في مواضع ستة، هي:

أ - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾^(٢).

ب - آية المحاربة التي نحن بصدد بحثها.

ج - ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَبِيلَاتُ بَيْنَهُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَسَعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا

(١) المصدر السابق.

(٢) البقرة: ٢٧٨ و ٢٧٩.

وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿١﴾.

د - ﴿ فَإِنَّمَا تَتَفَقَّهُتَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ مَن حَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدَّكُرُونَ * وَإِنَّمَا تَخَافَنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ فَابْتَذِلْهُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ لَكَ آيَاتٌ ﴾ (٢).

هـ - ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِزْوَاجًا لِشَرٍّ حَارَبَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِلُنَّ إِنَّ آرْذُنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (٣).

و - ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَنتَحِثْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِنَّمَا مَتًّا بَعْدُ وَإِنَّمَا فِدَاءٌ حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرْنَا مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ (٤).

ومن خلال مراجعة عامة إلى تفسير هذه الآيات الكريمة (٥) نجد أن القدر المتيقن من المصداق الذي استخدمت فيه هذه المادة هو المواجهة والمقاومة لله ورسوله الذي يستخدم فيها عنصر السلاح والقوة.

أما في الآية ٦٤ من سورة المائدة والآية ٥٧ من سورة الأنفال والآية الرابعة من سورة محمد ﷺ فهذا المعنى واضح من خلالها ففي آية ٥٧ من سورة الأنفال نلاحظ قرينة التشريد بالحرب لمن خلف هؤلاء المحاربين. وكذلك الألف واللام في كلمة الحرب سواء حملناها على (العهد) أو

(١) المائدة: ٦٤.

(٢) الأنفال: ٥٧ و ٥٨.

(٣) التوبة: ١٠٧.

(٤) سورة محمد: ٤.

(٥) راجع فيما ذكرناه تفسير مجمع البيان للطبرسي، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، والدر المنثور للسيوطي، ونور الثقلين للحويزي وتفسير الطبري، والتفسير الكبير للرازي وذلك في موارد الآيات المذكورة.

(الجنس) لظهورها في القتال.

وسياق الآية قبلها يتحدث عن نقض العهد وبأمر بإعداد القوة وتهيئة السلاح بعدها ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْعَجَلِ يُزْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾^(١). وكذلك قرينة ضرب الرقاب والإيخان في القتل وذكر الأسر وغيرها مما ورد في الآية ٤ من سورة محمّد ﷺ وكذلك التعبير بإيقاد النار في الحرب الظاهر في الحرب القتالية في آية المائدة.

فضلاً عما ذكره المفسرون من أنها تعني الإشارة إلى الحروب التي وقعت بين النبي ﷺ واليهود من أهل الكتاب في المدينة مثل الحرب مع بني النضير وبني قينقاع وبني قريضة وغيرها.

وأما آية الربا من سورة البقرة فقد ذكر المفسرون أنها كانت تهديداً بالقتال واستخدام القوة لأولئك الذين كانوا يطالبون بما تبقى لهم من الربا في عهد الجاهلية بعد فتح الطائف. فقد روى مقاتل أنها نزلت في أربعة أخوة من ثقيف (مسعود وعبد يا ليل وحبيب وربيعه وهم بنو عمرو ابن عمير بن عوف الثقفي) وكانوا يدينون بني المغيرة وكانوا يربون فلما ظهر النبي ﷺ بالطائف وصالح ثقيفاً أسلم هؤلاء الأخوة الأربعة فطلبوا رباهم من بني المغيرة واختصموا إلى عتاب بن أسيد عامل رسول الله عليّ مكة فكتب عتاب إلى النبي ﷺ بالقصة فأنزل الله هذه الآية.

وقيل نزلت في بقتية من الربا كانت للعبّاس وخالد بن الوليد وكانا

(١) الأنفال: ٦٠.

شريكين في الجاهلية يسلفان بالربا إلى بني عمرو بن عمير ناس من ثقيف^(١).

وأما آية مسجد ضرار من سورة التوبة فقد أجمع المفسرون أن المقصود من اسم الموصول في قوله تعالى: ﴿... وَإِزْصَاداً لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ ...﴾ هو أبو عامر الراهب الذي كان قد حارب وقاتل الرسول من قبل حيث كان له دور كبير في إثارة الأحزاب ضد رسول الله ثم هرب بعد فتح مكة إلى الطائف وبعد فتح الطائف وإسلام أهلها هرب إلى الروم وتنصر.

حيث كان قد أرسل أبو عامر إلى المنافقين يطلب منهم التهيئة والإستعداد وبناء المسجد وأنه ذاهب إلى قيصر ملك الروم ليحرّضه على غزو المدينة وإخراج النبي ﷺ منها^(٢).

وأما الآية التي نحن بصدد الحديث عنها فإن المفسرين قد اختلفوا في تشخيص الحادثة التي نزلت بسببها حيث ذكروا احتمالات ثلاثة رئيسة:

الأول: أنها نزلت في أهل الكتاب الذين نقضوا العهد والميثاق وأفسدوا في الأرض حيث أخرج ابن جرير والطبري في (الكبير) عن ابن عباس

(١) مجمع البيان ١: ٣٩٢، ويبدو أن الروایتين تتحدّثان عن قضية واحدة ولكنهما مختلفتان في تسمية طرفي الربا، ولعل الأيدي السياسية هي التي وضعت الصيغة الأولى للرواية فإن مقتضى الحال أن تكون الصيغة الثانية هي الصحيحة لأن أهل مكة كانوا تجاراً أصحاب أموال و(العباس) و(الوليد) و(خالد) كانوا معروفين بالربا ويؤيده أن هذا هو المروي عن أهل البيت ﷺ كما ذكر في المجمع. وتكون الآية عندئذٍ بصددها بيان استخدام القوة ضدّهم من قبل الرسول إن لم يرضخوا ويسلموا للحكم الشرعي.

(٢) مجمع البيان ٣: ٧٣، والذم المنثور ٣: ٢٧٦، والطبري ١١: ١٩.

ذلك^(١) وإن كان الطبري روى عن الضحّاك في بعض النصوص أنّهم قطعوا السبيل أيضاً.

الثاني: أنّها نزلت في مطلق المشركين ولا تشمل المسلمين حيث أخرج ذلك أبو داود والنسائي عن ابن عباس والطبري عن الحسن البصري وعكرمة^(٢).

الثالث: أنّها نزلت في قومٍ حديثي عهدٍ بالإسلام اعتدوا على إبل الصدقة وقتلوا رعاتها ونهبوها^(٣). وعلى هذا الرأي أكثر المفسرين وبه أخذ الفقهاء. وعلى جميع هذه الاحتمالات يبدو أنّه قد أخذ في المحاربة المخالفة والعصيان مع استخدام القوة باستثناء الرواية التي رواها الطبري عن ابن عباس حيث أنّ فيها إطلاقاً وشمولاً لغير القتال لأنّ نقض العهد والإفساد في الأرض لا يلزم القتال واستخدام السلاح والقوة بل يعني مجرّد العصيان والمحاربة المعنوية كما سوف نوضح ذلك في الركن الثاني من أركان هذه الجريمة وإن كان من المحتمل أن يريد بها الإشارة إلى ما صدر من اليهود في محاربتهم للنبي ﷺ ولكن لا يمكن الإعتماد على هذه الرواية وحدها في مقابل كلّ هذه النصوص والفتاوى التي تؤكّد عنصر استخدام القوة المادّية في المحاربة بالإضافة إلى المدلول اللغوي للمادّة الذي ذكرناه. وخلاصة ما يمكن أن تستند إليه دعوى إطلاق الآية بحيث تشمل مطلق

(١) الدر المنثور ١: ٢٧٧. والطبري ٦: ١٣٣.

(٢) المصدران السابقان.

(٣) راجع المصدرين السابقين وكتب التفسير الأخرى في مورد هذه الآية الكريمة.

الخصومة والمنازعة المعنوية مع الله تعالى ورسوله هو النقاط التالية :

أ - أن مفهوم المحاربة لغة قد يستعمل في مجرد (الخصومة) كما ذكرنا عن لسان العرب في تفسير قوله : (فلان محارب لي أي : عدو محارب وإن لم تكن محاربة) فهو وإن كان إطلاقاً مجازياً ولكن مستعمل في لغة العرب وقد استعمل القرآن الكريم المجاز بشكلٍ واسعٍ فيحتمل أن يكون المراد منها هذا المعنى ولعله هو الأنسب كما ذهب بعضهم في نسبتها إلى الله تعالى.

ب - تفسير بعضهم المحاربة في هذه الآية مجرد المعصية كما سبق ذلك عن ابن منظور وكما احتمله الفاضل الجواد حيث قال : ويحتمل أن يكون المراد محاربتهما أنفسهما، باعتبار عدم سماع النهي عن المحاربة وكأنتهم حاربوا الناهي عن ذلك. ولما كانت مجرد المعصية لا ينطبق عليها عنوان المحاربة عرفاً لأنها قد تصدر (بجهالة) أو عن ضعف لا بقصد التمرد أو الخصومة مع الله تعالى. فلا بد من أن يكون المراد منها (الخصومة) مع الله تعالى بحيث يكون فيها ما يدل على الإصرار أو التمرد والإستمرار كما إذا تكررت أو اقترنت بعدم القبول بالحكم الشرعي أو عدم القبول بالقرار الصادر عن النبي أو الإمام.

ج - الرواية السابقة عن ابن عباس والتي فسرها المحاربة مصداقاً بنقض العهد ومع قطع النظر عن صحة سند هذه الرواية إلا أنه يمكن أن يستفاد منها إمكانية تطبيق عنوان المحاربة على مثل هذا المصداق وشمول مفهومها له. ولكن هذه النقاط وحدها لا تكفي لصرف مفهوم المحاربة عن معناه

اللغوي الحقيقي خصوصاً مع ما ذكر في تفسير الآيات التي استخدمت هذه المادة في موارد العصيان المقترن باستخدام القوة.

الثاني - الإفساد في الأرض : العنصر الثاني في موضوع حكم هذه الجريمة هو (الإفساد) في الأرض المستفاد من قوله : ﴿ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً ﴾ .
وهنا لا بد لنا في البداية من تبين معنى الإفساد في الأرض ثم البحث عن علاقة هذا العنصر بموضوع الجريمة المذكورة. فهنا بحثان :

الأول - تحديد (مفهوم الإفساد في الأرض) :

أما الإفساد في الأرض لغةً : قال في القاموس : فسد ضدّ صلح والفساد أخذ المال ظلماً والجذب وتفاسدوا قطعوا الأرحام^(١).

وقال ابن منظور في لسان العرب : الفساد نقيض (الصلاح) وتفاسد القوم تدابروا وقطعوا الأرحام، وقوله عز وجل ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ الفساد هنا الجذب في البرّ والقحط في البحر أي المدن التي على الأنهار هذا قول الزجاج^(٢).

وقال الراغب في مفرداته : «الفساد خروج الشيء عن الاعتدال قليلاً كان الخروج عنه أو كثيراً ويضاده الصلاح ويستعمل ذلك في النفس والبدن والأشياء الخارجة عن الاستقامة، قال تعالى : ﴿ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ و ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ و ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾^(٣).

(١) تاج العروس ٢: ١٥٣.

(٢) لسان العرب ٣: ٣٣٥.

(٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن، للراغب، مادة: فسد، بتلخيص.

وقال في تاج العروس : قال شيخنا : وقد اختلفت عباراتهم في معناه فقيل : فسد الشيء بطل واضمحَل ويكون بمعنى تغيّر ومن الأوّل عند الأكثر ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ الآية، وقوله عزّ وجلّ ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ الفساد هنا الجذب في البرّ والقحط في البحر أي في المدن التي على الأنهار، هذا قول الزجاج^(١).

وفي معجم ألفاظ القرآن الكريم بعد ذكر مادة الفساد ومشتقاتها في القرآن الكريم «من المادّي الفساد : الجذب في البرّ والقحط في البحر وفي المعنوي تقيض الصلاح»^(٢).

الفساد في الأرض في القرآن الكريم

وأما في القرآن الكريم فقد استخدمت هذه الصيغة (الفساد في الأرض) في مواضع عديدة من القرآن الكريم، والظاهر في أكثر هذه المواضع هو الفساد في النظام الاجتماعي والعمل على إبطال مفعوله أو تغييره وتخريبه وفي بعض الموارد هو الفساد في النظام الكوني مثل قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ... ﴾^(٣).

بل يمكن أن يكون المراد من الفساد في الأرض في كثير من الآيات القرآنية هو إفساد النظام الاجتماعي الذي يؤدي إلى فساد في النظام الكوني

(١) تاج العروس ٢: ٤٥٣.

(٢) المعجم ٢: ٣٠٨.

(٣) المؤمنون: ٧١.

المادّي ومن مصاديقه القرآنية: الأعمال المضادة التي يقوم بها أعداء النظام الداخليون مثل أعمال المنافقين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ (١).

أو المترفين كما في قصة (قارون): ﴿... وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ...﴾ (٢). وكذلك الأعمال التي يقوم بها الطغاة الظالمون: ﴿... إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا...﴾ (٣).

﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ...﴾ (٤). أو الآثار المترتبة على عدم الإلتزام بالنظام والحكم الشرعي: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٥).

أو الإستسلام للطغاة وعدم مقاومتهم كما في قوله تعالى: ﴿... وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ...﴾ (٦). وقوله تعالى:

﴿... إِلَّا تَقْلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ (٧). وقوله تعالى:

(١) البقرة: ١١.

(٢) القصص: ٧٧.

(٣) النمل: ٣٤.

(٤) البقرة: ٢٠٥.

(٥) الروم: ٤١.

(٦) البقرة: ٢٥١.

(٧) الأنفال: ٧٣.

﴿... لَتُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ...﴾ (١).

إلى غير ذلك من الآيات.

فإن هذه الآيات وأمثالها يفهم منها أن الفساد في الأرض ليس هو مجرد وقوع الفساد في الأرض وإنما هو الأعمال المضادة للنظام العام السياسي أو الاجتماعي أو المخالفة للعدل والحق والتي تأخذ حجماً كمياً أو كيفياً يشكل تهديداً للنظام أو ضرراً مادياً عاماً في المجتمع حيث يمكن فهم عنصر العموم من كلمة (في الأرض) التي لا يراد منها مجرد بيان الظرفية وإنما يراد منها بيان السعة والشمول بحيث ينسب إلى كل الأرض.

ويمكن فهم ذلك بوضوح من خلال مراجعة كلمات المفسرين في موارد الآيات ذات العلاقة بالرغم من أنها تأتي - أحياناً - ضيقة ومختصة بمصداق معين نزلت الآية في مورده.

علاقة الإفساد في الأرض بجريمة المحاربة:

البحث الثاني: في علاقة الإفساد في الأرض بموضوع الجريمة.
وفي البداية لا بد من طرح هذا السؤال وهو أن قوله تعالى: ﴿... وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً...﴾ (٢) هل يمثل عنصراً آخر في موضوع حكم الجريمة؟ أو أنه بيان لمضمون وطبيعة هذه المحاربة لله تعالى ورسوله؟ حيث إن المحاربة قد تكون محاربة لله تعالى ورسوله بشكل (مباشر) كما في محاربة الكفار والمشركين للإسلام والدين والنبى سواء كانت مادية أو معنوية وقد

(١) الإسراء: ٤.

(٢) المائدة: ٦٤.

تكون المحاربة لله تعالى بشكلٍ (غير مباشر) عرفاً وذلك من خلال الإخلال بـ (العدل) و (الصلاح) و (المصالح) الإجتماعية للناس والتي تنتهي إلى أضرار معنوية أو مادية وهذا النوع من المحاربة هي التي يعبر عنها القرآن الكريم بـ (الإفساد في الأرض) فهي بحسب النظر العرفي وإن لم تكن محاربة لله وإنما هي للنظام الاجتماعي ولكن اعتبرها القرآن الكريم محاربة لله ولرسوله.

صحيح أن المحاربة من النوع الأول تؤدي في نهاية الأمر أيضاً إلى الإفساد ويترتب عليها إبطال النظام وتخريب الأوضاع الإجتماعية ولكنها ليست إفساداً في الأرض بشكلٍ مباشر بل أن الفساد في الأرض من لوازمها وما يترتب عليها وإن كان الكفر والشرك وإنكار الوحي والنبوة في نفسه فساداً كبيراً ولكنه ليس فساداً في الأرض. ولعل لهذا الفرق في المعنى أشير في قوله تعالى في مقام تبرير النهي عن ولاء الكفار:

﴿... إِنْ تَقَلُّوهُ تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾^(١).

حيث تفترض هذه الآية الكريمة أنه إذا لم يتم الإلتزام بقيام العلاقة الإجتماعية والنظام الاجتماعي على أساس الولاء لله تعالى والإيمان به كما يستفاد ذلك من قوله تعالى في نفس الآية قبل ذلك:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ...﴾.

لترتب على ذلك ضرران مهمان أحدهما الفتنة في الأرض وفساد عقيدة الناس بشكلٍ عام وهو محاربة الله تعالى بشكلٍ مباشر والآخر هو الفساد الكبير في الأرض والإضرار بمصالح الناس. وهذا معناه أن الفتنة غير الفساد

(١) الأنفال: ٧٣.

في الأرض مفهوماً ومضموناً وإن كان بينهما تلازم في التأثير.
وقد ذكر القرآن الكريم كلاً من هذين الضررين المترتبين على ترك
القتال والحرب في آيتين مستقلتين إحداهما الآية السابقة من سورة البقرة:
﴿ ... وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ... ﴾ (١).
والآية الثانية:

﴿ ... وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَادَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ
يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ﴾ (٢).
حيث تذكر الآية الأولى ضرر فساد الأرض والثانية ضرر الفتنة وتغيير
الدين. كما أشير إلى هذا التعدد بشكلٍ واضح في قوله تعالى على لسان
فرعون في مقام اتهام موسى عليه السلام:

﴿ ... إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ (٣).
حيث تم استخدام حرف العطف (أو) وهي أظهر في التعدد.
وبناءً على هذا الاحتمال الذي تؤيده بعض القرائن السالفة، يكون محور
الموضوع في هذه الآية الكريمة هو (الإفساد في الأرض) ويكون ذكر
(المحاربة) لله والرسول كتمهيد لبيان عظم خطر (الفساد في الأرض) أو
ليبيان خصوصية زائدة وهي أن يكون هذا الفساد مقروناً باستخدام القوة كما
قد يفهم ذلك من مفهوم المحاربة لغةً وقرآناً كما ذكرنا آنفاً.
ولا بد أن نشير إلى أن الإفساد هنا لا يراد منه الإفساد الفعلي وإنما يراد
منه السعي للإفساد حتى لو لم يكن فعلياً كما يفهم ذلك من قوله:

(١) البقرة: ٢٥١.

(٢) الحج: ٤٠.

(٣) غافر: ٢٦.

﴿ ... وَتَسْفُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً ... ﴾ .

كما سوف يتضح ذلك في بيان أحكام هذا الموضوع.
وسوف يأتي في الفصل الآتي مزيد من التطوير والتوضيح لهذه الفكرة اعتماداً على بعض القرائن من الآيات القرآنية الكريمة والروايات الشريفة. وبذلك يمكن أن نستخلص من البحث في الآية الشريفة أنها بصدد بيان حكم (السعي للإفساد في الأرض) الذي يتخذ صفة وعنوان المحاربة لله ورسوله وهو: إما أن يكون (السعي للإفساد العام) المقرون باستخدام القوة، أو السعي للإفساد العام الذي يكون من السعة والشمول بحيث ينتزع منه عنوان المحاربة لله ورسوله.

المحاربة في السنة الشريفة

المحاربة جريمة ضد أمن الجماعة العام ، والبحث عنها يقع ضمن خطوط . أولها : تشخيص موضوع الحكم في جريمة «المحاربة» في القرآن الكريم والسنة الشريفة .

وانتهى البحث في الحلقة الأولى باستخلاص أن آية المحاربة بصدد بيان حكم « السعي للإفساد في الأرض » الذي يتخذ صفة وعنوان المحاربة لله ورسوله .

وهو إما أن يكون السعي للإفساد العام المقرون باستخدام القوة أو السعي للإفساد العام الذي يكون من السعة والشمول بحيث ينتزع منه عنوان المحاربة لله ورسوله .

الجهة الثانية: في تحديد موضوع حد المحاربة في ضوء مدلول الروايات الشريفة التي وردت عن النبي ٩ واهل البيت عليهم السلام او ما يكون له

علاقة بتشخيص هذا الموضوع .

وقد وردت في هذا المجال روايات عديدة ذكر منها الحر العاملي في كتابه «تفصيل وسائل الشيعة» حوالي ثلاثين رواية^(١) .
نكتفي هنا بالإشارة إلى بعض الروايات ذات العلاقة في تكوين التصور العام حول تشخيص موضوع الحكم في هذه الجريمة أو في الاستدلال عليه .

نصوص المحاربة

- ١ - عن ضريس، عن أبي جعفر عليه السلام قال : من حمل السلاح بالليل فهو محارب إلا أن يكون رجلاً ليس من أهل الريبة^(٢) .
- ٢ - عن سورة بن كليب قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : رجل يخرج من منزله يريد المسجد أو يريد الحاجة فيلقاه رجل ويستعقبه فيضربه ويأخذ ثوبه، قال : أي شيء يقول فيه من قبلكم ؟ قلت : يقولون : هذه دعارة معلنة وإنما المحارب في قرى مشركة، فقال : أيهما اعظم حرمة ؟ دار الاسلام أو دار الشرك ؟ قال : فقلت : دار الاسلام، فقال : هؤلاء من أهل هذه الآية «إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله عليه السلام إلى آخر الآية»^(٣) .
- ٣ - عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : من أشار بحديدة في مصر قطعت يده، ومن ضرب بها قتل^(٤) .
- ٤ - عن علي بن جعفر، عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام قال : سألته عن رجل

(١) الجزء الثامن عشر ص ٥٣٢ - ٥٤٣ أبواب حد المحارب.

(٢) وسائل الشيعة ١٨ : ٥٣٧ ، الباب ٢ من أبواب حد المحارب ، الحديث ١ .

(٣) المصدر ، الحديث ٢ .

(٤) المصدر ، الحديث ٣ .

شهر إلى صاحبه بالرمح والسكين، فقال: إن كان يلعب فلا بأس^(١).

٥ - عن أبي جعفر عن علي عليه السلام: في رجل أقبل بنار فأشعلها في دار قوم فاحترقت واحترق متاعهم، أنه يغرّم قيمة الدار وما فيها، ثم يقتل^(٢).

٦ - عن منصور، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: اللصُّ محارب لله ولرسوله فاقتلوه، فما دخل عليك فعلي^(٣).

٧ - عن أبي جعفر عليه السلام قال: إذا دخل عليك اللصُّ يريد أهلك ومالك فإن استطعت أن تبدره وتضربه فابدره واضرب، وقال: اللصُّ محارب لله ولرسوله فاقتله، فما منك منه فهو علي^(٤).

٨ - عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: من شهر السلاح في مصر من الامصار فمقر أقتص منه ونفي من تلك البلد، ومن شهر السلاح في مصر من الامصار وضرب وعقر وأخذ المال ولم يقتل فهو محارب، فجزاؤه جزاء المحارب وأمره إلى الإمام إن شاء قتله وصلبه، وإن شاء قطع يده ورجله، قال: وإن ضرب وقتل وأخذ المال فعلى الإمام أن يقطع يده اليمنى بالسرقه ثم يدفعه إلى اولياء المقتول فيتبعونه بالمال ثم يقتلونه^(٥).

٩ - عن عبيد الله المدائني، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سئل عن قول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ الآية، فما الذي إذا فعله استوجب واحدة من هذه الأربع؟ إذا حارب الله ورسوله وسعى في

(١) المصدر، الحديث ٤.

(٢) المصدر: ٥٣٨، الباب ٣، الحديث ١.

(٣) المصدر: ٥٤٣، الباب ٧، الحديث ١.

(٤) المصدر، الحديث ٢.

(٥) المصدر: ٥٣٢، الباب ١، الحديث ١.

الارض فساداً فقتل قُتل به، وإن قتل واخذ المال قُتل وصلب، وإن أخذ المال ولم يقتل قطعت يده ورجله من خلاف، وإن شهر السيف وحارب الله ورسوله وسعى في الارض فساداً ولم يقتل ولم يأخذ المال نُفي من الارض، الحديث^(١).

١٠ - عن عبيد بن بشر الخثعمي قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قاطع الطريق وقلت : الناس يقولون إن الامام فيه مختير أي شيء شاء صنع . قال : ليس أي شيء شاء صنع ولكنه يصنع بهم على قدر جنايتهم، من قطع الطريق فقتل وأخذ المال قطعت يده ورجله وصلب، ومن قطع الطريق فقتل ولم يأخذ المال قتل، ومن قطع الطريق فأخذ المال ولم يقتل قطعت يده ورجله، ومن قطع الطريق فلم يأخذ مالاً ولم يقتل نفي من الأرض^(٢).

١١ - محمد بن المسعود العياشي في تفسيره، عن أحمد بن الفضل الخاقاني من آل رزين قال : قطع الطريق بحلولاً على السابلة من الحجاج وغيرهم وأفلت القطاع إلى أن قال : وطلبهم العامل حتى ظفر بهم ثم كتب بذلك إلى المعتصم فجمع الفقهاء وابن أبي داود ثم سأل الآخرين عن الحكم فيهم وأبو جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام حاضر، فقالوا : قد سبق حكم الله فيهم في قوله : ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض﴾ ولأمير المؤمنين أن يحكم بأي ذلك شاء منهم، قال : فالتفت إلى أبي جعفر عليه السلام وقال : أخبرني بما عندك، قال : إنهم قد أضلوا فيما أفتوا به، والذي يجب في ذلك ان ينظر أمير المؤمنين في هؤلاء الذين قطعوا الطريق فان كانوا أخافوا السبيل فقط ولم يقتلوا أحداً ولم يأخذوا مالاً، أمر بايداعهم الحبس فان ذلك معنى نفيهم من الارض بإخافتهم السبيل، وإن كانوا أخافوا السبيل وقتلوا النفس أمر بقتلهم، وإن كانوا أخافوا

(١) المصدر : ٥٣٤، الباب ١، الحديث ٤.

(٢) المصدر، الحديث ٥.

السبيل وقتلوا النفس وأخذوا المال أمر بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبهم بعد ذلك، فكتب إلى العامل بأن يمثل ذلك فيهم^(١).

١٢ - علي بن ابراهيم في تفسيره عن ابيه، عن علي بن حسان، عن أبي جعفر عليه السلام قال : من حارب [الله] وأخذ المال وقتل كان عليه ان يقتل أو يصلب، ومن حارب فقتل ولم يأخذ المال كان عليه ان يقتل ولا يصلب، ومن حارب وأخذ المال ولم يقتل كان عليه أن يقطع يده ورجله من خلاف، ومن حارب ولم يأخذ المال ولم يقتل كان عليه ان ينفي، ثم استثنى عز وجل ﴿أَلَا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْرَأُوا عَلَيْهِمْ﴾ يعني يتوبوا قبل أن يأخذهم الامام^(٢).

١٣ - عن أبي صالح، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم من بني ضبة مرضى فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أقيموا عندي فاذا برئتم بعثتكم في سرية، فقالوا : اخرجنا من المدينة، فبعث بهم إلى إبل الصدقة يشربون من أبوالها ويأكلون من ألبانها، فلما برأوا واشتدوا قتلوا ثلاثة ممن كان في الإبل، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر، فبعث اليهم علياً عليه السلام وهم في واد قد تحيروا ليس يقدر أن يخرجوا قريباً من ارض اليمن^(٣).

مصطلح (المحارب) في النصوص

ومن خلال هذا الاستعراض نلاحظ في البداية انه ورد في هذه الروايات عنوان (المحارب) بصيغة اسم الفاعل إلى جانب التعبير عن الجريمة بالفعل مثل (حارب) او (يحاربون). وهذا العنوان بهذه الصيغة لم يرد في القرآن

(١) المصدر : ٥٣٥، الحديث ٨.

(٢) المصدر : ٥٣٦، الحديث ١١.

(٣) المصدر : ٥٣٥، الحديث ٧.

الكريم في هذه الجريمة وان كان ورد بهذه الصيغة في جرائم اخرى مثل (السرقه) : ﴿ السارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم ﴾^(١) ومثل (الزنا) : ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ... ﴾^(٢) وجاء التعبير في القرآن الكريم عن هذه الجريمة بصيغة الفعل فقط ﴿ انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ... ﴾^(٣)

ويبدو - على الظاهر - ان هذا العنوان (المحارب) لم يكن معروفاً في الاوساط العرفية والاجتماعية للناس في عصر نزول القرآن الكريم وعصر التشريع ليتمكن تحديد مفهومه من خلال الفهم العرفي الاجتماعي له المتبادر منه في اذهان أهل اللغة والمخاطبات العرفية. بل هو عنوان شرعي منتزع من الآية الكريمة في عصر متأخر عن نزول القرآن فهو اصطلاح فقهي شرعي استخدم في النصوص والروايات للتعبير عن موضوع الحكم في هذه في الشريعة .

كما اننا نلاحظ ايضاً في جميع هذه الروايات والنصوص انها لم تتناول تحديد وتعريف هذا المصطلح (الشرعي المحارب) بحيث يمكن الاستناد الى هذا التحديد والتعريف لتفسير الموضوع في الآية الكريمة. وانما تناولت الروايات - بعد مراجعتها - بعدين قد ينفعان في تشخيص الموضوع. الأول: تطبيقات لعنوان المحارب على بعض الموارد والمصاديق من قبيل ما ورد في بعض هذه الروايات من التعبير عن اللص بانه (محارب لله

(١) المائدة: ٣٨.

(٢) النور: ٢.

(٣) المائدة: ٣٣.

ورسوله) كما في (النص) رقم (٦) و(٧). او من قبيل (من حمل السلاح بالليل فهو محارب الا ان يكون رجلاً من اهل الريبة) كما في النص رقم (١). ولعل من مصاديق هذا البعد ايضاً ما ورد في النص (٢) حيث طبق موضوع الحكم في الآية الكريمة الذي هو منشأ انتزاع عنوان المحارب على فاعل (السلب) في داخل المدينة بعنوان (أهل هذه الآية).

الثاني: تطبيق وتعميم حكم الآية الكريمة - كلاً أو بعض اطراف التخيير فيه - لبعض الموارد والمصاديق:

مثل: «ان شهر السيف وحارب الله ورسوله وسعى في الارض فساداً ولم يقتل ولم يأخذ المال نفي من الارض» النص (٩).

أو مثل: «فان كانوا اخافوا السبيل فقط ولم يقتلوا احداً ولم يأخذوا مالاً امر بايداعهم الحبس فان ذلك معنى نفيهم من الارض باخافتهم السبيل» النص (١١).

أو مثل: «من اشار بحديدة في مصر قطعت يده ومن ضرب بها قتل» النص (٣).

أو مثل: «ما ورد عن علي عليه السلام في رجل اقبل بنار فاشعلها في دار قوم فاحترقت واحترق متاعهم: انه يغرّم قيمة الدار وما فيها ثم يقتل» النص (٥).

تشخيص موضوع الحكم في السنة

وعلى أساس هاتين الملاحظتين نحتاج لتحديد وتشخيص موضوع الحكم في ضوء الروايات من دراستها بشكلٍ شاملٍ وعلميٍ لاستخلاص الجامع والخصوصية المشتركة بين هذه الموارد والمصاديق ليكون هو

الموضوع للحكم. وبعد ذلك لا بد لنا - ايضاً - من المقارنة بين هذه النتيجة والمدلول الذي استنتجناه من الآية الكريمة لثرى مدى تطابقها معه او النسبة بينهما وكيفية التوفيق والجمع العرفي بين مدلوليهما. فهنا ثلاث خطوات للبحث.

الخطوة الاولى: في بيان الموارد والمصاديق التي طبق عليها عنوان المحارب او حكمه في الروايات.

الخطوة الثانية: في دراسة دلالة هذه الروايات التي وردت في هذا الباب بهدف استخلاص الجامع المشترك.

الخطوة الثالثة: المقارنة بين الخصوصية المستنبطة من الروايات والخصوصية المستنبطة من الآية الكريمة.

مصاديق المحارب في السنة

اما الخطوة الاولى: فان مجمل العناوين التي طبق عليها عنوان المحارب أو حكمه العام أو احد اطراف التخيير دون ذكر عنوان المحارب هي العناوين التالية والتي عرفنا بعضها آنفاً:

- اللص محارب لله ورسوله.
- من حمل السلاح بالليل فهو محارب.
- ومن شهر السيف او (السلاح) فهو محارب.
- ومن قطع الطريق.
- ومن اخاف السبيل.
- ومن ضرب رجلاً واخذ ثوبه (السلب).
- ومن اشار بحديدة.

- ومن احرق داراً بالنار.

وهذه العناوين التي جاءت - بعضها بشكل منتزع - في روايات عديدة تمثل مجمل العناوين والموضوعات التي ذكر فيها عنوان المحارب أو حكمه، وهي وإن كانت متفاوتة من حيث السند وضعفه الا اننا سوف نتبين بان الخصوصية المشتركة يمكن اثباتها من خلال بعض الروايات الصحيحة وتكون بقية الروايات مؤيدة لها.

تقسيم النصوص الى طوائف

واما الخطوة الثانية: فان هذه الروايات يمكن أن نقسمها الى عدة طوائف.

الطائفة الاولى: الروايات التي تتضمن تطبيق عنوان المحارب او حكمه على استخدام السلاح لارتكاب جريمة اخرى مثل القتل او السرقة مثل صحيحة محمد بن مسلم النص رقم (٨) حيث تقول: «من شهر السلاح في مصر من الامصار فعقر اقتص منه ونفي من تلك البلد ومن شهر السلاح في مصر من الامصار وضرب وعقر واخذ المال ولم يقتل فهو محارب ...».

الطائفة الثانية: الروايات التي تطبق عنوان المحارب او حكمه مجرد استخدام السلاح حتى لو لم يرتكب اي جريمة اخرى وذلك مثل معتبرة ضريس: «من حمل السلاح بالليل فهو محارب الا ان يكون رجلاً ليس من اهل الريه» النص رقم (١) ورواية عبيد الله بن المدايني عن الامام الرضا عليه السلام التي رواها في الكافي والشيخ في التهذيب عنه كما رواها الشيخ ايضاً بطريق آخر عن الامام الصادق كما رواها الكليني بطريق آخر عن الامام الرضا عليه السلام ايضاً. النص (٩). حيث نلاحظ في هذه الرواية هذا النص: «وان شهر

السيف وحارب الله ورسوله وسعى في الارض فساداً ولم يقتل ولم يأخذ المال نفي من الارض»، حيث يفهم منها ان مجرد التمرد واشهار السيف لارتكاب الفساد هو موضوع الحكم للنفي الذي هو احد اطراف التخيير في الآية الكريمة.

وكذلك رواية عبيدالله بن بشر الخثعمي النص رقم (١٠) : «قال سألت ابا عبدالله عليه السلام عن قاطع الطريق ؟ قال : ... ومن قطع الطريق فلم يأخذ مالاً ولم يقتل نفي من الارض». وكذلك النص رقم (٣).

الطائفة الثالثة : الروايات التي تطبق عنوان المحارب او حكمه على مجرد ارتكاب عمل يكون مخالفاً بالأمن ويسبب الخوف وذلك مثل رواية العياشي النص رقم (١١) : «فان كانوا اخافوا السبيل فقط ولم يقتلوا احداً ولم يأخذوا مالاً امر بايداعهم الحبس فان ذلك معنى نفيهم من الارض باخافتهم السبيل»، وكذلك رواية السكوني النص (٥) في حكم احراق الدار. او معتبرة منصور عن ابي عبد الله : «اللعن محارب لله ولرسوله فاقتلوه»، النص رقم (٦) ، فإنه لم يقتل بحمل السلاح أو استخدامه كما هو واضح . وكذلك رواية السلب ، النص رقم (٢) . فإن هذه الروايات يظهر منها أن مجرد الإخلال بالأمن العام يكفي لترتيب حكم المحارب .

تشخيص الموضوع في ضوء الروايات

ومن الواضح أن الخصوصية المشتركة بين هذه الروايات هي الإخلال بالأمن وإيجاد الخلاف الذي يمثل مصداقاً من مصاديق الفساد في الأرض .

وبالتالي يحقق ذلك عنوان المحارب .

وإضافة خصوصية استخدام السلاح لفعل جنائي كما في الطائفة الأولى واستخدام السلاح للإخافة كما في الطائفة الثانية لا يعني أنّ موضوع الحكم الذي هو المحارب لا بدّ أن يكون مقيداً بذلك . لأنّ هذه الخصوصيات إنّما وردت في سياق وبصدد تعيين فرد الحكم الخاص من أفراد التخبير ، وليست بصدد تحديد وتشخيص الموضوع العام الكلّي للحكم وهو المحارب .

فمثلاً لسان وسياق صحيحة محمد بن مسلم - النصّ رقم (٨) - هو نفس سياق رواية عبيد الله المدائني - النصّ رقم (٩) - غاية الأمر أنّها لم تتعرض لفرضية إشهار السلاح بدون العدوان على النفس والمال بخلاف رواية المدائني .

وكذلك الحال بالنسبة إلى رواية العياشي - النصّ رقم (١١) - سياقها يشبه سياق رواية المدائني أيضاً ولكنّها لم تستخدم خصوصية إشهار السلاح بل اكتفت بمجرد الإشارة إلى الإخافة الأمر الذي يفسّر ذكر إشهار السلاح عرفاً بأنّه مصداق من مصاديق الإضافة .

ويؤكد ذلك معتبرة ضريس - النصّ رقم (١) - فإنّها وإن ذكرت السلاح بالإسم ولكنّ تقييد حمله بالليل ظاهر في أنّ الخصوصية الموجبة لترتيب الحكم هي خصوصية الإضافة إذ لا يفهم العرف تفسيراً لهذا القيد الزماني إلا باعتبار أنّ الحمل في الليل يبعث على الخوف خصوصاً إذا لاحظنا الإستثناء أيضاً وهو قوله : «إلا أن يكون رجلاً ليس من أهل الريبة» حيث يتضح أنّ تمام الملاك هو الخوف والريبة فإذا لم يكن الرجل منهم فلا خوف وإذا لم يكن خوف فلا حكم وإن كان السلاح موجوداً وفي الليل أيضاً .

وهذا الاستنتاج يبدو واضحاً إذا لاحظنا معتبرتي منصور وغيث بن إبراهيم في اللص - النص رقم (٦) والنص (٧) - وإن طبق عليه عنوان المحارب مع أنه لم يقيد هذا الحكم والتطبيق بأي شيء في رواية منصور ، وقيدته في رواية غياث بإرادة الأهل والمال وهذا ليس إلا مجرد السعي للفساد وإرادة الجريمة لا ارتكابها بالفعل .

ومن الواضح أن اللص عرفاً ولغة لا يعني أكثر من السارق الذي يداهم البيت من أجل العدوان على المال أو الأهل .

ويتم هذا الاستدلال إذا عرفنا أن جميع هذه الطوائف الثلاث من الروايات يوجد فيها رواية معتبرة على الأقل يمكن الاستناد إليها وتكون الروايات الأخرى مؤيدة وموضحة لها .

وقد يُقال بأن روايتي اللص - اللتين هما الدليل الأهم المعتبر في إلغاء خصوصية استخدام السلاح - لا يمكن العمل بهما وترتيب الأثر عليهما لأنهما يتضمنان حكماً لا يلتزم به الفقهاء وهو قتل اللص مع أن حد اللص ياجماع الفقهاء ليس هو القتل .

ولكن هذه المناقشة غير صحيحة :

أولاً : لأن حكم القتل في الروايتين لم يكن بياناً للحد وإنما هو حكم شرعي للإنسان في مقام الإذن له بالدفاع عن ماله وأهله فهو حق من الحقوق الخاصة ولذا ورد في بعض الروايات بيان أن للإنسان الذي يداهم اللص أن يتنازل عن حقه هذا . ففي صحيحة الحسين بن أبي العلاء قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الرجل يقاتل دون ماله فقال : قال رسول الله ﷺ : « من قتل دون ماله فهو بمنزلة الشهيد . فقلت : أيقاتل أفضل أو لا يقاتل ؟ فقال : إن لم يقاتل فلا بأس أما أنا فلو

كنت لم أقاتل وتركته»^(١) .

وثانياً : إن موضع الاستدلال من هاتين الروایتين وغيرهما مما كان في مضمونهما إنما هو تطبيق عنوان المحارب على اللص بشكل مطلق . وهذا لا علاقة له بالحكم المذكور فإن بحث حكم المحارب له مجال آخر سوف نتناوله بالبحث إن شاء الله .

وبذلك يمكن أن نعرف تمام الملاك في انطباق عنوان المحارب إنما هو : الإخلال بالأمن العام والإخافة الذي هو مصداق من مصاديق الفساد في الأرض .

والإخافة بطبيعة الحال إنما تتحقق إذا كان يقصد القيام بجريمة معينة ليتحقق بذلك الخوف . ويكون ذكر العناوين المشار إليها في الخطوة الأولى من الحديث إنما هي عناوين معرفة لهذا (الإخلال) وبيان لمصداق له . ويؤكد هذا الاستنتاج ما أشرنا إليه من أن هذه الروايات بأجمعها لم تكن بصدد تعريف المحارب وبيان مفهومه وإنما هي بصدد بيان حكمه أحياناً أو موارد انطباق عنوانه أحياناً أخرى .

أضف إلى ذلك أن الإتجاه العام في هذه الروايات هو توسعة مساحة ودائرة انطباق عنوان المحارب الأمر الذي يؤكد أيضاً أن الخصوصية هي خصوصية شاملة وسارية في جميع هذه العناوين وليست محصورة في واحد من هذه العناوين أو أحدها .

وقد يقال : بأن خصوصية (الإخلال بالأمن) و (الإخافة) إذا كانت هي موضوع الحكم فلماذا لم تؤخذ في الروايات موضوعاً للحكم أو على الأقل

(١) وسائل الشريعة ١١ : ٩٣ ، الحديث ١٠ .

يكون الإفساد في الأرض موضوعاً ؟ مع أننا لا نرى أثراً للتعبير بالإفساد في الأرض عن موضوع الحكم في هذه الروايات ، بل جاء التعبير فيها بالمحارب كثيراً فلا بد أن يؤخذ المفهوم العرفي للمحارب هو الموضوع للحكم ونكون نحن ومدلوله اللغوي والعرفي . وهو قد يعني شيئاً آخر مثل استخدام السلاح لارتكاب الجرائم .

ولكن هذا الإشكال أو الملاحظة لا تصح إذا أخذنا بنظر الاعتبار ما أشرنا إليه آنفاً : أن عنوان (المحارب) مصطلح فقهي انتزع من الآية الكريمة في عصر متأخر ولذلك لا نلاحظ لهذا العنوان أثراً في النصوص الماثورة التي وردت في كتب الجمهور^(١) وإنما ورد على مستوى النصوص الفقهيّة ، وفي حديث الفقهاء . نعم ورد هذا العنوان في النصوص الماثورة عن أهل البيت عليهم السلام حيث يمثل ذلك امتيازاً لفقهاء أهل البيت وعلمهم الماثور عن جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله وكان هذا التعبير انسجاماً مع المصطلح الفقهي العام الذي أصبح متداولاً بين الناس .

تشخيص الموضوع في ضوء المقارنة بين القرآن والسنة

وأما الخطوة الثالثة : فقد عرفنا في البحث القرآني السابق - حول مدلول الآية في تشخيص موضوع الحكم - : إن موضوع الحكم في الآية هو السعي في الأرض فساداً ولكن بإضافة خصوصيّة يمكن استفادتها من فعل (يحاربون) وهي إما خصوصيّة ماديّة كاستخدام السلاح في (السعي في

(١) من الغريب الملفت للنظر هو أنه لم ترد في كتب الجمهور رواية في هذا الموضوع عدا ما جاء في تفسير الآية الكريمة الأمر الذي يظهر الفارق الكبير بين مستوى الحديث عند أهل البيت عليهم السلام ومستوى الحديث في كتب الجمهور .

الأرض فساداً) أو خصوصية معنوية وذلك بأن يكون الفساد المستهدف بالسعي من الأهمية أو السعة والشمول بحيث يصح انتزاع عنوان محاربة الله ورسوله منه .

وهذا المضمون القرآني عندما نقارنه مع ما توصلنا إليه من مضمون مشترك للروايات نراه منسجماً بخصوصيته المعنوية وهي (السعي في الأرض فساداً بما يهدد الأمن أو يحقق الخوف) مع جميع نصوص الروايات بحيث يؤثر عليه بعضها ولا يتنافى مع بعضها الآخر .

وبذلك يصبح مضمون الروايات بياناً للمصاديق البارزة والواضحة لمضمون الآية الكريمة التي كان يعيشها عصر صدور الروايات .

خصوصاً إذا أخذنا بنظر الاعتبار ما أشرنا إليه من أن الروايات قد أضافت مصاديق ومفردات للمصداق الذي ذكره المفسرون سبباً لنزول الآية الكريمة وجاء أيضاً في حديث أهل البيت عليهم السلام وهو العدوان على الأموال العامة كإبل الصدقة - النص رقم (١٣) - أو قطع الطريق ، حيث أضافت مصاديق أخرى مثل (السلب في المدن) أو (إخافة الناس في الليل) أو (اللص) ... وكل هذه المصاديق تشترك في خصوصية تهديد الأمن .

وبذلك تصبح هذه الروايات قرينة على إرادة الخصوصية المعنوية في فعل (يحاربون) وهي السعي في الأرض فساداً بنحو يصدق عليه المحاربة لله ورسوله لا المادية وهي خصوص استخدام السلاح .

هذا إذا لم نقل بأن الآية ظاهرة بنفسها في الخصوصية المعنوية والتي تشمل الخصوصية المادية فإنه من الممكن أن يكون صدق عنوان محاربة الله ورسوله على الجريمة والسعي في الأرض فساداً لأهمية الجريمة في مضمونها أو شكلها أو حجمها ويكون استخدام السلاح باعتباره شكلاً مثيراً

وخطيراً سبباً في صدق هذا العنوان مهما كان استخدامه محدوداً وبسيطاً .
 ومع غض النظر عن هذا الاحتمال أو الاستظهار تصبح الروايات قرينة
 على تعيين الاحتمال الثاني في الآية - إذا كانت مرددة بين احتمالين - وهو
 احتمال الخصوصية المعنوية وهي أن يكون بدرجة مهمة أو من السعة
 بحيث يصدق عليه أنه محاربة لله ورسوله ، ويكون استخدام السلاح
 - عندئذ - في موارد السعي في الأرض فساداً سبباً لاتصاف الجريمة بهذه
 الأهمية فيكون مصداقاً للمحارب أيضاً . فتكون الروايات حينئذٍ شرحاً
 وبياناً وتفسيراً للآية الكريمة .

خلاصة المطاف

يمكن أن نقول بأن المستفاد من الجمع بين الآية الكريمة والرواية هو
 أن موضوع الحكم (المحارب) : هو الساعي في الأرض فساداً مع اقتران ذلك
 بخصوصية تصحح انتزاع عنوان محاربة الله ورسوله من هذا السعي وذلك مثل استخدام
 السلاح بقصد الإفساد أو إخافة الناس ليلاً كحمل السلاح ليلاً أو تهديد الأمن
 كاللصوصية أو السلب أو إخافة السبيل أو غير ذلك مما ورد في الروايات أو
 ما ينطبق عليه هذا العنوان .

الفصل الخامس

ملاح من شخصيته وسيرته

١- منهجه العام

كان للنشأة الأولى للسيد المترجم في أجواء أسرته العلمية والمرجعية وما تفرضه هذه الأجواء من التزامات أخلاقية واجتماعية دور كبير في صياغة معالم شخصيته ، بالإضافة الى المواصفات الذاتية التي انعكست على سيرته الذاتية.

فهو على الرغم من كونه ابناً للمرجع الأعلى ، كان يمكن أن يحصل على امتيازات واسعة للعيش بطريقة خاصة ، كما كان يحصل ذلك بالنسبة الى أقرانه وأمثاله ، إلا انه كان يختار المعيشة البسيطة التي لا يختلف فيها عن بقية طلاب العلوم الدينية ، ولا شك ان لوالده وتربيته له الأثر الكبير في هذا السلوك ، ولكن لا يمكن أن نغفل طبيعة مواصفاته الذاتية الخاصة في هذا المجال.

ويصح أن نقول انه في عهد والده الإمام الحكيم عليه السلام كان يضع قضايا العمل الإسلامي والتحرك الواعي والتبليغ والنشاط السياسي العام ورعاية شؤون الطلبة غير العراقيين في الحوزة العلمية وتطوير الدراسات الحوزوية في أولويات اهتماماته التي كانت تتم غالباً على حساب شؤونه الذاتية

الخاصة.

ولذلك يمكن القول ان المسؤوليات التي يتحملها في مرجعية والده كانت أكبر بكثير من الامتيازات الخاصة التي كان يحصل عليها. كما ان انتسابه للمرجع الأعلى الإمام الحكيم عليه السلام وحركته النشطة في مرجعية والده كانت تضعه بصورة عملية وطبيعية تحت الأضواء ، لكنه كان يبتعد بطبعه وبتأثيرات التربية الأخلاقية التي تلقاها من والده عن تلك الأضواء خصوصاً اذا كان لها طابعاً شخصياً ، وكنموذج على ذلك ، فقد أمر المطبعة التي كان يطبع عندها كتاب فلسفتنا للسيد الشهيد الصدر عليه السلام أن تحذف ما كتبه السيد الشهيد عليه السلام في مقدمة الكتاب من ثناء واطراء واشادة بحقه ، وهذا الأمر دفع الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر عليه السلام الى الاشراف بنفسه على طبع مقدمة كتاب اقتصادنا ، حيث أمر المطبعة بعدم ارسال المقدمة الى السيد المترجم ، وهي التي جاء فيها وصف السيد الشهيد لسيدنا المترجم (بالعضد المفدى).

ومن أجل التسجيل التاريخي فإنه ساهم وهو ما زال في عمر الشباب ببعض الأعمال الفكرية والثقافية التي كانت تعرف باسم السيد الشهيد الصدر عليه السلام ومثال ذلك بعض الدروس في علوم القرآن الكريم التي كتبها بصورة مستقلة وكان الشائع في كلية أصول الدين أنها من أفكار السيد الشهيد الصدر عليه السلام وقد أشار هو الى المحاضرات التي كتبها بنفسه في الطبعة الجديدة لكتابه (علوم القرآن) ، وبعض الكتابات التي كانت تنشر في النشرات السرية لحزب الدعوة الإسلامية ، ولم يكن يفعل ذلك بسبب مقتضيات

الصداقة والمحبة التي تربطه بالسيد الشهيد الصدر عليه السلام ، وانما كان يفعله انطلاقاً من تقديره للمصلحة الإسلامية بضرورة بروز مرجعية ثقافية اسلامية تنطلق من الحوزة العلمية تعرض الفكر الإسلامي الأصيل ، ولم يكن مهماً عنده أن يحدد موقعه العلني في تلك المرجعية مع أنّ انتماءه لمرجعية والده كانت توفر له بصورة طبيعية موقعية اجتماعية وحوزوية متقدمة ، لكنه كان ذاتياً في حركة السيد الشهيد الصدر عليه السلام ، مثلما ذاب الإمام الشهيد في مرجعية الإمام الخميني عليه السلام بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران فهما مدرسة واحدة في الذوبان في مصالح الإسلام العليا.

٢- منهجه اليومي

تميّز سماحة الشهيد السيد محمد باقر الحكيم عليه السلام بأنه وضع لنفسه منهجاً صارماً في التعامل مع الوقت ، فاليوم عند سماحته مقسم بطريقة دقيقة ووفق برنامج محكم كما أنه قد أعد مقداراً كبيراً من الأعمال الاحتياطية ، يستغل الفرص في اليوم من أجل الانشغال بها سيما وهو يشعر أن في ذلك خدمة للإسلام ولقضية شعبه.

والمعروف أنّ اهتمامات سماحته ومسؤولياته الكبيرة والمتعددة سواء على صعيد الشأن العراقي الخاص أو على صعيد الشؤون الإسلامية العامة أو النشاطات الثقافية والاجتماعية والتربوية والادارية تتطلب بذل جهود استثنائية من أجل إيفاء كل تلك الاهتمامات والمسؤوليات حقها. وانطلاقاً من ذلك ، فإن سماحته يجد في (أوقات الفراغ) فرصة للقيام

بعمل ما يتناسب مع طبيعة ذلك الفراغ ، فالتنقل في السيارة مثلاً من مكان الى آخر يجد فيه سماحته فرصة لمراجعة كتاب أو دراسة أو بحث ، وإذا لم يكن هناك شيء من هذه الأمور فإنه ينشغل بقراءة القرآن الكريم أو قراءة الأدعية والأوراد المستحبة الذي وضعها ضمن برنامجها الخاص^(١).

إن عمل سماحته اليومي مقسم بين عدة مهام ونشاطات ، فهو في الوقت الذي يوفي الجانب العبادي الشخصي حقه ، فإنه يلتزم بحضور الاجتماعات والجلسات في مواعيدها المقررة ، فيقدم بذلك نموذجاً ودرساً لمن حوله بضرورة الالتزام بالمواعيد.

كما أنه يلتزم يومياً بمراجعة المئات من الأوراق في البريد اليومي الذي يقدم لسماحته حول مختلف القضايا والشؤون العامة والخاصة ، ويعطي التوجيه المطلوب فيها.

كما يلتزم باعطاء الرأي في كل الاستشارات والأسئلة ، والمقترحات ، والدراسات والأبحاث التي تقدم لسماحته ، وطالما تملكنا العجب ، ونحن نرى إلتزامه بالتعليق على مقترحات بسيطة ، فيدفعنا ذلك الى تعلم درس مهم وهو الاحساس العالي بالمسؤولية الشرعية تجاه كل الأحداث والقضايا التي تمر علينا.

إن بإمكان سماحته وهو في مثل هذا الوضع والانشغال تحويل الكثير من المسائل على المرتبطين به أو العاملين معه ، لكننا لمستنا فيه الإلتزام

(١) ذكر أحد مراقبيه من حرسه الخاص انه لا يجد فرصة للحديث مع سماحته أثناء السفر بالسيارة لأنه دائماً مشغول اما بقراءة الدعاء أو القرآن أو التسيب أو الكتابة.

بأولوية إعطاء الرأي من قبله ما وسعته الفرصة ، وهو لا يحول القضايا الى غيره إلا في الحالات النادرة جداً أو ضمن المسؤوليات الملقاة على عاتق الآخرين ، وحتى في مثل هذه الحالات فإنه يعطي رأيه النهائي في تلك الحالات عندما يطلب منه.

وإلى جانب إهتمامه بحضور الجلسات والاجتماعات مع الأفراد المتخصصين في مفاصل العمل للاستماع الى آرائهم وإعطاء الرأي والتوجيه مسدداً للعمل والعاملين بما يملك من خبرات عملية متعددة كبيرة ، فإنه لا يمر اسبوع تقريباً دون أن يستقبل سماحته وفداً سياسياً من المعارضة العراقية ، أو سفيراً في دولة ، أو اعلامياً جاء يحاور سماحته حول قضايا العراق ومستقبله ، أو مثقفاً أو عالماً جاء يتحدث معه حول هموم الإسلام والمسلمين في مختلف أنحاء العالم.

وانني أقولها شهادة للتاريخ ، انني طيلة السنوات الثمانية عشرة الماضية التي قضيتها بخدمته ، قريباً منه في مواقع العمل لم أعرف نظيراً له في طاقة الاستيعاب والتحمل ، وفي الحضور الذهني ، فطالما عايشته عن قرب ينتهي من اجتماع يناقش فيه قضايا الفكر والمجتمع والعقيدة والتاريخ ، ليدخل بعده مباشرة في اجتماع مع سفير أو وزير أو إعلامي ليتحدث في السياسة بذهن وقاد منفتح وعميق.

وإني لم أحضر بخدمته في اجتماع أو جلسة إلا وجدته يحول ذلك الاجتماع الى فرصة لخدمة الدين ومذهب أهل البيت عليهم السلام ، سواء كان ذلك في اجتماعاته الفكرية أو الاجتماعية أو السياسية ، وسواء كان المجتمعون

مسلمون أو مسيحيون ، مفكرون أو سياسيون ، أشخاصاً كانوا أو تجمعات حزبية ، ولولا الحرج في ذكر الأسماء لذكرت مصاديق كثيرة لهذه النماذج. هذا في مركز العمل ، أما في بيته ومنزله ، فإنه يواصل في الليل ما ابتدأه في النهار من عمل ، فبيته يتحول الى مقر عمل في الكثير من الأحيان ، حيث يقضي الوقت كله موزعاً بين العبادة ومراجعة الملفات أو كتابة الرسائل التي تفيض بالتوجيه والإحساس بالمسؤولية ، أو التأليف أو كتابة الأبحاث والدراسات.

إن كل هذا العمل الواسع يحتاج الى وضع برنامج دقيق يحسب الدقائق والساعات حساباً صارماً ، وهذا هو الذي يفعله سماحته ، وهذه البرمجة والتخطيط هي التي تفسر لنا سعة نشاطه السياسي من جهة ، وكثرة كتاباته ومؤلفاته من جهة ثانية.

حيث انه لم يسمح لهذا النشاط السياسي أن يصادر نشاطه الفكري والعلمي ، ولا سمح للنشاط العلمي أن يتغلب على نشاطه ومسؤولياته السياسية ، فقد نجح في ايجاد موازنة دقيقة بين جميع أنشطته ، ولذلك نراه دائماً حاضراً في النشاط السياسي ، والثقافي الفكري والعلمي ، والنشاط الاجتماعي العام.

٣- منهجه في العمل

هناك عدة ملامح ومميزات في منهج عمل السيد المترجم عايشناها عن قرب خلال السنوات الثمانية عشر الماضية ، ومنها هذه الملامح والمميزات.

أ - المشورة

تشكل المشورة في عمله أحد الأركان الأساسية التي يعتبرها سماحته جزءاً لا ينفك عن العمل ، فهو على الرغم من تجربته الغنية في الحياة والعمل السياسي والاجتماعي ، وهي تجربة تمنحه القدرة على اتخاذ القرار الصائب والسريع ، ولكنه مع كل ذلك ، لم يتخل يوماً ما عن منهج الاستشارة في مختلف الشؤون التي تتعلق بحركته ونشاطه.

وطريقته في الاستشارة هي تأسيس المجالس الاستشارية في مختلف مجالات العمل وهو يستمع الى آراء المشيرين بعناية وانتباه عميق ويستخلص الرأي العام الذي تكاد أن تتفق عليه الآراء أو تقترب منه ، ثم يناقش ويبيّن نقاط القوّة والضعف ويقول في نهاية المطاف رأيه ولا يحمله على الآخرين ، وإنما يترك لهم الخيار في الأخذ به أو عدم الأخذ به ، ولكنه يحاول أن يعمل برأي مستشاريه عندما تتفق كلمتهم عليه حتى لو خالف رأيه في القضايا الاستراتيجية الهامة مادام قد وصل الى القناعة به لأسباب موضوعية ومرجحات شرعية ، وقد أعطته تجربة ملازمة لمرجعية والده الإمام الحكيم عليه السلام ، ومرجعية الشهيد الصدر عليه السلام ، ومرجعية الإمام الخميني عليه السلام ، وتجربته الغنية الاجتماعية والسياسية قدرة فائقة على تمحيص الأفكار والآراء.

كما انه لا يدخل مجتمعاً أو مسجداً أو مخيماً إلا ويستشير المسؤولين عنه دينياً أو إدارياً في القضايا التي يحسن تناولها للتعرف على أوضاع الأخوة ثم يختار ما يراه مناسباً.

وقد أرسى بذلك منهجاً تربوياً رائداً تعلمه منه تلامذته القرييين منه فأصبح هذا المنهج ، هو المنهج السائد في أغلب مواقع العمل الثابتة لسماحته ، حيث يؤكد على القرييين منه دائماً على ضرورة الاستماع الى آراء العاملين معهم عبر تخصيص آلية معينة لذلك وهي الاجتماعات الدورية ، وربما لا يحتاج هو شخصياً تلك الآراء ، لكنه يريد أن يتعلم العاملون معه هذا المنهج وهو احترام الرأي الآخر والاستماع إليه ثم مناقشته مناقشة موضوعية للخروج بنتائج تخدم العمل والتحرك.

وهو يحاول من خلال هذه الاستشارة أن يربي الدائرة المحيطة به فكراً وسياسياً كما يستفيد في الوقت نفسه من مشورتهم والتعرف على الواقع الموضوعي للناس.

وانطلاقاً من هذا المنهج فإنه يكن احتراماً خاصاً للتخصص ، وكثيراً ما كان يؤجل النقاشات في بعض الموضوعات بسبب عدم حضور المختص في ذلك الموضوع في الاجتماع والمناقشة.

ويصدق هذا الأمر ، وهذا المنهج عنده حتى على بعض الأمور التي ترتبط بحركة سماحته الخاصة حيث أنه يعتبر نفسه ملكاً للأمة والإسلام ، وأنه في موقعه لا يمثل شخصه فقط ، وإنما يشعر بمسؤوليته ، انه يمثل شعباً بكامله وأمة متحركة ، وحركته نمت وكبرت بتضحيات الشهداء ودمائهم الطاهرة ولذلك فهو في استشارته لا يحصر نفسه ضمن إطار ضيق من المستشارين ، بل يتعدى ذلك الى كل من يعتقد بصدقته وإخلاصه في خدمة الأهداف الإسلامية المقدسة سواء كان محسوباً من دائرته الخاصة أو الدائرة

الأبعد ، وهذا المنهج في الانفتاح وقبول الرأي الآخر قلما نجد له مثيلاً في عالم السياسة اليوم.

ب - التخطيط والبرمجة

يشكل التخطيط والتنظيم للأعمال والتحرك ركيزة أخرى مهمة من ركائز هذا المنهج ، فسماعته لا يؤمن بطريقة العمل المرتجل أو الإرتجالي ، حيث أنه يضع عدة اعتبارات لكل خطوة أو عمل يريد القيام به ، ولعل في مقدمة تلك الاعتبارات هو مناسبة هذا العمل أو التحرك لخدمة الأهداف المقدسة التي نذر نفسه من أجلها وهي أهداف تحكيم الإسلام في حياة الأمة الإسلامية عموماً وحياة العراقيين خصوصاً. إن حركة سماعته ونشاطاته كثيرة وواسعة بالاضافة الى تنوع طبيعتها ، فمن أجواء العمل السياسي والجهادي الى أجواء العمل الثقافي الفكري العام ، الى أجواء العمل الحوزوي ، الى أجواء العمل الاجتماعي ورعايته الشعائر الإسلامية والحسينية ، الى أجواء العمل الجماهيري ورعاية المستضعفين ، الى أجواء العمل الجهادي داخل العراق ورعاية المقاومة والشهداء ، الى أجواء العمل السياسي على الصعيد الدولي والإقليمي ، وهي أجواء خاض سماعته غمارها ، فكان فيها موقفاً وموقفاً متقدماً أيضاً.

ومثل هذه الأجواء تحتاج بدون شك الى قدرة كبيرة في التنسيق بين فعاليتها بحيث تترتب الأولويات فيها حسب أهميتها وضرورتها العامة أو المقطعية الآتية.

وقد وجدنا سماحته يخطط ويبرمج أنشطته في هذا المجال منذ البداية فمثلاً عند خروجه من العراق مهاجراً في سبيل الله وضع خطة العمل ومنهجه قبل أن يقوم بالتحرك وخصص شهرين من الزمن للمشورة والتخطيط. وهكذا الأمر عندما جاء إلى إيران ، فقد وضع منهاج العمل وتأسيس المؤسسات ، فعلى الرغم من حضوره السياسي الدائم والمتقدم في الحركة السياسية ، فإننا نجده متقدماً في القدرة على الانتاج الفكري من خلال كتبه التي أخرجها إلى النور في زحمة الانشغالات بالعمل السياسي ، وقد تحوّلت بعض كتبه إلى منهج دراسي في الحوزة العلمية بقم المقدسة^(١) ، كما تجده أيضاً يخصص وقتاً لإلقاء البحث الخارج في الفقه ، أو نجده مفسراً للقرآن الكريم من خلال محاضرات التفسير الكثيرة التي أعطاها في هذا المجال ، أو تجده مشرفاً علمياً على بعض رسائل الدكتوراه في الجامعات الإيرانية أو الكتب العلمية المهمة أو المجالات الثقافية ، كما أنه يخضع وقته الخاص إلى برنامج وتخطيط محكم وواسع من أجل استيعاب الوقت في العمل من ناحية ، واستيعاب تنوع العمل من ناحية أخرى ، أو مدرساً لمرحلة الماجستير ، أو مؤلفاً في علوم القرآن ، وباحثاً في القصص القرآني ، أو محققاً في قضايا العقيدة الإسلامية ، هذا إلى جانب اهتمامه الكبير بالإجابة على الرسائل التي ترده بالآلاف من مختلف أنحاء العالم.

وإلى جانب كل ذلك نراه حاضراً وسط الجماهير في احتفالاتها العامة

(١) مثل كتاب القصص القرآني الذي أصبح منهجاً للتدريس في الجامعة الدولية للعلوم الإسلامية.

الدينية ، أو حاضراً معزياً هذا بمصيبته ، أو مهنتاً ذاك بفرحته ، ولا يفوته أن يحضر في أكثر الحسينيات والهيئات الحسينية التي تقيم العزاء لسيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام في موسم محرم الحرام ، أو في شهر رمضان المبارك ، أو القيام بزيارة وتفقد العراقيين في مدنهم بحيث لم يترك مخيماً أو معسكراً أو مدينة يتواجد فيها العراقيون إلا وزارها ، كما انه في الوقت نفسه كان له حضور في الجبهات والمنتديات السياسية والفكرية في الساحة العراقية والایرانية.

إنّ هذا الجهد الواسع والحضور المستمر في كل الميادين التي فيها خدمة للاسلام والمسلمين يحتاج بدون شك الى تخطيط وبرمجة ، وهذا هو ما يفعله سماحته وهو يتابع بصورة مستمرة ودقيقة أعمال المؤسسات المرتبطة بمكتبه ، ويحث هذه المؤسسات على التخطيط لعملها ويلتزم سماحته بالاطلاع على خططها وبرامجها موجهاً ومرشداً الى الطريق الصحيح في العمل.

٤- العمل المؤسساتي

حرص سماحته منذ بداية تصديه للعمل في خارج العراق ضد نظام الطاغية صدام على بناء مفاصل العمل على أساس مؤسساتي ، وهذا هو ما يفسر لنا وجود العدد الكبير من المؤسسات التي أسسها أو شارك في تأسيسها ، كما يفسر أيضاً وجود العديد من المؤسسات التي يشرف عليها سماحته بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، وهي مؤسسات تعد في وظائفها

وخدماتها مؤسسات نوعية في المعارضة العراقية في إيران وغيرها. هناك اليوم العديد من المؤسسات الانسانية والثقافية ، والحوزوية ، والاعلامية في إيران وخارجها تمارس عملها لخدمة قضايا الأمة والإسلام في العراق ، تأسست بفضل ارشادات ودعم سماحته بصورة مباشرة ومنها مؤسسة الشهيد الصدر عليه السلام ، ولجنة الإغاثة الإنسانية التابعة لها ، والمركز الوثائقي لحقوق الانسان في العراق ، ومؤسسة دار الحكمة للعلوم الإسلامية ، ومركز دراسات تاريخ العراق الحديث.

إن سماحته لا ينظر الى المؤسسة من خلال كونها عنواناً أو واجهة ، بل ينظر اليها على أنها تمثل مفصلاً من مفاصل العمل يجب أن يكون نشاطها يمثل جهداً خيراً يوصل العمل والأطروحة الى مرحلة التكامل. هذا هو ما نقصده بالعمل المؤسساتي ، فحتى داخل المؤسسة الواحدة يحرص سماحته على وجود الضوابط والقوانين والآليات المناسبة التي تجعل العمل سائراً وفق معايير صحيحة .

٥- سيرته في التحرك الاجتماعي

قليل هم أولئك الذين يستطيعون خلق موازنة دقيقة بين جميع متطلبات العمل السياسي والفكري والجهادي والعمل الاجتماعي العام ، والسيد المترجم هو من أولئك القلائل الذين استطاعوا تحقيق هذه الموازنة. فسماعته الى جانب أنشطته العديدة المارة الذكر في المجال السياسي ، والمجال العلمي والفكري نراه يقوم بحضور مجالس المؤمنين في أحزانهم

مواسياً لهم في بيوتهم أو في الحسينيات والمساجد ، أو يقوم بعقد وحضور مراسم الزواج الشعبية ، أو اجابة الدعوات الخاصة ، كما أنه يهتم وبصرامة بالحضور في مجالس المؤمنين في مراسم محرم وصفر وفي شهر رمضان ، كما انه ملتزم بتفقد المؤمنين بمقدار ما يسمح له وقته وضمن الأولويات الجهادية والسياسية من أبناء الشعب ، يزورهم في أماكن تواجدهم ولا سيما العامة منها بحيث لا تكاد منطقة أو حسينية أو مخيم أو تجمع للعراقيين إلا وقد زاره أكثر من مرة وفي بلاد متعددة شاسعة في إيران وفي بعض البلدان التي يتيسر له زيارتها مثل سوريا ، والسعودية ، والكويت ، وبريطانيا ، وسويسرا ، كل ذلك وفق برنامج محدد مستفيداً من الفرص السانحة.

كما أن سماحته رتب لتواجده في مدينة قم المقدسة نهاية كل اسبوع برنامجاً كان من أهم أهدافه فتح الفرصة أمام أكبر عدد من الجمهور للالتقاء به لقاءً عاماً بعيداً عن التشريفات والحالة الرسمية ، حيث يكتض مجلسه الاسبوعي في مدينة قم المقدسة بأبناء العراق من مختلف الطبقات والشرائح الاجتماعية مقدماً بذلك نموذج الانفتاح على الحالة الجماهيرية وهو نموذج قلماً نجد له نظيراً في الزعامات السياسية الدينية ، رغم كل الأخطار التي تتهدد حياته الشريفة في مثل هذه اللقاءات العامة.

وإلى جانب هذا البرنامج الواسع من التحرك الخاص والعام فإن سماحته تميز في حركته الاجتماعية العامة والخاصة والسياسية أيضاً بأنه متابع للأمور من طراز خاص ، فعنايته الخاصة بالتخطيط وتحديد المنهج في العمل اليومي فرضت أن يكون سماحته حاضر الذهن دائماً يتابع الأمور والمسائل العامة

والخاصة ويتخذ أزاءها الموقف المناسب.

وقد جرب العاملون بخدمته نماذج كثيرة من هذا اللون من المتابعة المستمرة ، فقد تمر أحياناً فترة طويلة نسبياً على قرار ما أو اتفاقية معينة دون تنفيذ من قبل أحد العاملين معه ، لكنه يفاجأ بأن سماحته يسأله عن الموضوع بعد مضي كل تلك الفترة ويحثه على التنفيذ فكأن سكوته عن الموضوع كل تلك الفترة ليس نسياناً وإنما هو نوع من منح الفرصة للطرف الثاني.

والى جانب عدم غفلته أو نسيانه للأمور التي يتم الاتفاق عليها ، فإنه عند التنفيذ يتابع بدقة مراحل التنفيذ موجهاً ومشجعاً ومسدداً لخطوات العمل. إن تعدد أنشطة سماحته الكمي والكيفي قد تفرض على أي شخص لوناً من التشويش والخلط بين الأمور والقضايا ، وهذا ما نلاحظه عند الكثيرين ، لكن ما لاحظناه عن قرب عند سماحته هو الدقة في المتابعة ، فللمسألة الثقافية متابعتها الخاصة وتفصيلها الخاصة في ذهن سماحته ، وللقضية السياسية أيضاً ، وللقضية الاجتماعية متابعتها الخاصة كذلك.

وكثيراً ما لاحظنا سماحته وهو في أقصى حالات الارهاق والتعب يتابع مواعيد الذهاب الى مجالس اللغاتحة على روح أحد المؤمنين ، أو مجلساً حسينياً مقاماً في حسينية أو مسجد أو بيت أحد المؤمنين.

إن هذه المتابعة المستمرة والدقيقة هي التي تجعل جهازه الخاص يتحرك بصورة متواصلة تنسجم مع حركة سماحته الواسعة المستمرة.

مصلحة الإسلام أولاً

في كل مقطع ومشروع تحرك فيه سماحة السيد المترجم ، كانت مصلحة الإسلام هي العنوان الرئيسي والأول الذي يتحرك من أجله. وقد يؤدي به ذلك ليس فقط الى التخلي عن مصلحته الشخصية ، بل ولو أدى ذلك الى الحاق الضرر به أيضاً مهما كان نوع الضرر مادياً أو معنوياً.

فإن حرصه على مصلحة الإسلام وادراكه لضرورة صب الجهود كلها من أجل تحكيمه في الحياة الاجتماعية للأمة هو الذي دفعه ليكون من المؤسسين للحركة الإسلامية ففي العراق في أواخر الخمسينات ثم خروجه من التنظيم الإسلامي مع كل ما كلفه هذا الدخول والخروج من تضحيات.

ويوم اشتدت الأزمة بين الإمام الحكيم عليه السلام ونظام البعث في العراق في أواخر الستينات حيث لم يبق مع الإمام الحكيم أحد من كوادر الحركة الإسلامية وقيادتها ، وقف الى جانب والده بالرغم من كل ما كان يشهده من أخطار وبكل ما تفرضه أجواء خلو الساحة من فرسانها من رهبة وخوف.

وهذا هو حاله يوم وقف الى جانب الإمام الشهيد الصدر عليه السلام في محنته وفي اعتقالاته المتكررة ، ولكنه كان في كل ذلك مثال المجاهد الصامد الذي تهون عنده الأخطار في سبيل العقيدة والمبدأ.

لقد كان يتحرك حيثما تحركت المصلحة الإسلامية فيكون دائماً في الموقع الذي تتطلبه تلك المصلحة ، وهكذا كان في موضوع هجرته الى خارج العراق وقيادته للعمل المعارض ضد النظام العقلي الحاكم في بغداد.

وقد واجه في المهجر الكثير من ضروب الاعتداء المعنوي والمحاربة والتشويش والتشويه ، وخلقته حوله أجواء وظروف صعبة للغاية تعطي لمثله المبرر الكافي للانصراف عن التصدي وتحمل مسؤولية العمل والمواجهة ضد نظام صدام ، لكنه رغم كل ذلك كان يكرر دائماً أن عدونا الأول هو صدام ولن ننصرف عن التصدي لمواجهته رغم كل الظروف ، وكانت المحنة الأولى الكبيرة التي واجهته هي محنة اعتقال اخوته وأقاربه واعداد ستة عشر منهم على دفعتين ، وتوالت بعدها المحن ، لكنه بقي صامداً مؤكداً على أهمية التوجه نحو مواجهة نظام صدام ، مؤسساً بذلك مدرسة جديدة في الساحة العراقية وهي مدرسة انتمت الى سيرة الأئمة والصالحين واعتمدت على الثقة بالله ، وتحديد الأولويات وتشخيص الأهداف والعدو.

الدفاع عن الحق

واندكاه بمصلحة الإسلام والمصالح العامة قد نتلمسها فيما عرف عنه من شدته في الدفاع عن الحق من دون أن تأخذه العاطفة أو لوم اللائعين ، وهذا الاندكاه في الحق هو الذي جعل منه ينظر اليه على انه عنوان الحركة ومحورها الدائم.

لقد رتبى المحيطين به والعاملين تحت مظلته المباشرة على الالتزام بالموضوعية والانتماء للحق.. والقريبون منه يعرفون تماماً ان قريتهم من السيد لا يشفع لهم عنده عندما تزل بهم قدم أو يشتط بهم هوى - والعياذ بالله - بعيداً عن الحق ، فهو عندهم التذكرة والموعظة والأسوة الحسنة والقُدوة

الذي يؤشر بموضوعية وبتجرد ، بل وبطاقة هائلة من التحمل على مواطن الخلل في حركتهم.

وانتماؤه للحق والدفاع عنه في مقابل الغافلين أو الجاهلين ، أو المعاندين والمغرضين جر عليه الدواهي من المؤمرات وعظائم الأمور من أساليب التسقيط ومحاولات التشهير والافتراءات والأكاذيب.

ولكنه ازاء كل ذلك لم يتغير عن منهجه ، فالحق هو الحق ، والمنهج هو المنهج والمسير نحو التكامل في الحركة الفردية والاجتماعية هو السمة البارزة والمميزة في حركته على طول الخط.

الصبر والمثابرة والاستقامة

وعرف فيما عرف عنه من قبل القريبين والبعيد من قدرته الكبيرة في الصبر والاستقامة على الدرب ، فقد مرت به ظروف صعبة للغاية سواء أيام الجهاد داخل العراق أو عند هجرته ، فرغم قساوة الظروف وتوجيه الضغوطات عليه من كل الأطراف ، الا انه صبر واستقام على الطريق الذي رأى فيه تحقيق مصلحة الإسلام.

وكانت التحولات السياسية تعصف بصبر الكثيرين وتنزل به الهزات فيعتزل البعض وينصرف آخرون عن ساحة المواجهة ، لكنه في كل تلك الظروف القاسية لم يكن فقط مثلاً للصبر والاستقامة ، بل كان ملجأ يتوجه اليه العاملون فيفيض عليهم من تجربته وروحه ما يدفعهم الى الاستمرار بالعمل في خط المواجهة ضد النظام العقلي الحاكم في بغداد.

لقد شهدت تجارب السنوات الثمانية عشر الماضية الكثير الكثير من الأمثلة والنماذج على صبره واستقامته.

فقد مارس الأعداء ضده أقسى حالات الحرب النفسية والمعنوية ، فقد أقدم النظام على قتل اخوانه وأولادهم وأقاربه أيضاً من أجل التأثير عليه لينصرف ، كما انصرف غيره لمجرد خوفه من تعرض أهله وذويه للخطر ، لكنه مع كل ذلك بقي صامداً وأعلن على الملأ أنه سيبقى على خط المواجهة مهما كلف الثمن.

وقد كانت صرخته (هيهات منا الذلة) التي رددتها بعد استشهاد العشرة من اخوته وأقاربه عام (١٩٨٥م) درساً مهماً تلقاه العراقيون وغيرهم بالاعجاب والتقدير^(١).

(١) اطلالة على السيرة الذاتية ص ٧٣-٩٢.



الفصل السادس

النشاط الاجتماعي والسياسي

ويحسن أن نتكلم عن نشاطه الاجتماعي والسياسي في مختلف مراحل حياته ونبدأ بالبحث عنه في عصر والده ثم نردفه بالبحث عنه في سائر المراحل حتى استشهاده رضوان الله تعالى عليه.

نشاطه ﷺ في عصر مرجعية الإمام الحكيم ﷺ

مارس السيد الشهيد محمد باقر الحكيم ﷺ النشاط الاجتماعي العام منذ وقت مبكر من حياته ، وقد منحته المواصفات الذاتية التي كان يمتلكها ، وانتماؤه للمرجع الأعلى كابن وعنصر فاعل ونشط في جهاز المرجعية ، فرصة واسعة للتحرك في الأوساط الاجتماعية المختلفة.

فعلى صعيد التحرك الاجتماعي العام ، كان يقوم بزيارات عمل وتفقد للمدن العراقية واللقاء بالمؤمنين ورعاية نشاطاتهم العامة ، مثل زيارته للبصرة ، وزيارته للناصرية والحمزة الشرقية ، وافتتاح جامع وحسينية الشرقي ، والديوانية ، والعمارة والكوت ، وغيرها ، حيث كان يتم اجراء استقبالات شعبية واسعة فيها ، فيتعرف عن قرب على طبيعة الجهود التي تبذلها الحركة الإسلامية والمؤمنون في تلك المدن لنشر الثقافة والوعي

الإسلامي بين الشباب العراقي المسلم في كل أنحاء العراق. كما كان يولي المجالس الحسينية والمواكب والجهود المبذولة لتطويرها من ناحية المحتوى والمضمون والتنظيم اهتماماً خاصاً ، ونذكر على هذا الصعيد عنايته الخاصة بالمشاركة في مواكب الطلبة ممثلاً عن والده المرجع الأعلى عليه السلام والتي كانت تنطلق في أربعين الإمام الحسين عليه السلام في مدينة كربلاء منذ منتصف الستينات وحتى توقفها بعد مجيء حزب البعث العراقي ومضايقته للشعائر الحسينية.

وكانت مواكب الطلبة ومشاركة المؤمنين المثقفين من الأوساط الطلابية والجامعية بالخصوص فيها من ضمن المشاريع الثقافية والسياسية العامة التي خطط لها سيدنا المترجم له مع آخرين وتبنتها مرجعية الإمام الحكيم عليه السلام لفسح المجال لمشاركة قطاعات واسعة من الأوساط الشعبية في الشعائر الحسينية ، حيث كانت الممارسة لهذه الشعائر في السابق تقتصر تقريباً على القطاعات العامة مع مشاركة رمزية من الحوزة العلمية أو بعض الشخصيات ، وكان الاسلوب هو ضرب الصدور العارية واستخدام السلاسل الحديدية في بعض المواكب مما لا يسمح عادة لمثل هذه المشاركة الخاصة بالتوسع.

وقد تبنت أجهزة المرجعية هذه الفكرة تنفيذياً بعد التخطيط لها ضمن تبنيها لتطوير محتوى جميع هذه الشعائر ، وبدأت هذه المواكب في كربلاء في زيارة عاشوراء ثم تطورت وامتدت الى مناطق أخرى كالكاظمية وبغداد والديوانية والبصرة وغيرها ، وكان سماحته يشارك شخصياً في التخطيط لأصل الفكرة ويشارك في مسيرة الطلبة في كربلاء ضمن الهيئة العليا التي

كانت ترسلها المرجعية للتعبير عن أهمية هذا المشروع الثقافي واسناده لمواكب الطلبة سنة (١٩٦٨ و ١٩٦٩ م)، كما كان يقوم بتمثيل المرجعية في المشاركة مع مسيرة المواكب العامة، كما كان سماعته يلقي خطاباً في هذه المسيرة في الصحن الحسيني الشريف، وكذلك قراءة المقتل الحسيني في الحسينية النجفية بكربلاء في يوم العاشر من محرم بعد أن حلّ في ذلك محل المرحوم السيد عبد الرزاق المقرّم بعدما عجز عن القيام بذلك في أواخر أيامه رحمة الله عليه.

كما كان يولي اهتماماً خاصاً لتأسيس المكتبات والجمعيات الإسلامية لما لها من دور كبير في نشر الوعي الإسلامي وكونها تمثل منتدى لتجمع المؤمنين في كل المدن العراقية.

وشارك بشكل كبير بإقامة الاحتفالات الدينية ذات الطابع الجماهيري والسياسي والعقائدي كما هو الحال في احتفال مدينة النجف الأشرف بميلاد الإمام الحسين عليه السلام في الثالث من شعبان من كل عام، وميلاد الإمام علي عليه السلام في كربلاء في ١٣ رجب من كل عام، ومولد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في ١٢ ربيع الأول كل عام في بغداد.. وميلاد الإمام الحجة القائم المنتظر الذي يقام في البصرة في ١٥ شعبان من كل عام.. وهي احتفالات كانت تقام تحت رعاية المرجع الأعلى الإمام الحكيم عليه السلام ويحضرها عادة وجوه المجتمع العراقي من علماء كبار ومجتهدون وساسة، ومثقفون وشعراء وأدباء العراق، حيث كانت تلك الاحتفالات تتحوّل الى تظاهرة سياسية تعبر فيها المرجعية الدينية عن مواقفها تجاه الأحداث المحلية والدولية وخصوصاً فيما يتعلق بأمور

الإسلام والمسلمين في العراق.

وكان للسيد المترجم دور المساهمة في التأسيس لهذه الاحتفالات ، كما كان الى جانب شقيقه الشهيد العلامة السيد مهدي الحكيم رحمته يتناوبان في القاء كلمة المرجعية في مثل هذه الاحتفالات.

وكانت هذه الاحتفالات من المشاريع التعبوية الثقافية والسياسية المهمة التي قامت بها مرجعية الإمام الحكيم رحمته ، حيث كانت تمثل مهرجانات مركزية واسعة بمناسبة مواليد الأئمة من أهل البيت عليهم السلام أو ذكرياتهم الأخرى ، وقد أدخلت المرجعية الدينية تطويراً مهماً على هذه الاجتماعات من الناحية الكمية والكيفية ومضمون الخطاب الثقافي والسياسي الذي يلقي في هذه المهرجانات السنوية الكبيرة وكان الى جانب السيد المترجم في هذا المشروع جماعة من السادة العلماء الأفاضل ، أمثال العلامة الشهيد السيد مهدي الحكيم رحمته ^(١) والعلامة الدكتور السيد محمد بحر العلوم ^(٢) ، والعلامة السيد هادي الحكيم رحمته في بغداد وآية الله الشيخ علي سماكة في الحلة ، وحجة الإسلام والمسلمين الشيخ علي الصغير رحمته والعلامة السيد مرتضى العسكري ^(٣) في بغداد ، والعلامة الشيخ محمد مهدي شمس الدين رحمته في الديوانية ^(٤) ، وغيرهم من الاعلام في إدامة هذه المهرجانات حسب المكان

(١) اغتيل في السودان من قبل مخابرات النظام العراقي في ١٧ / ١ / ١٩٨٨ م.

(٢) كان يعيش مغترباً في العاصمة البريطانية لندن والآن رجع الى العراق بعد سقوط النظام الطاغوتي في العراق.

(٣) يعيش حالياً في العاصمة الإيرانية طهران.

(٤) رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان وقد توفي رحمته في عام ٢٠٠٠ م وشيخ تشيعاً فحماً في

الذي يقام فيه وكانت حصته في التنفيذ تتمركز في مدينة النجف وكربلاء. وكان لهذه المهرجانات دور كبير في تعبئة الأمة ثقافياً وسياسياً وروحياً وتشخيص موقفها العام تجاه الأحداث والمطالبة بحقوقها، وكان لها تأثيرات سياسية واجتماعية وثقافية مهمة حتى جاءت سلطة ١٧ تموز ومنعوا في بداية الأمر إقامة هذه المهرجانات، ثم حاولوا أن يقيموا بدلها مهرجانات تحت اشرافهم وادارتهم للسيطرة عليها ولكنهم لم ينجحوا في ذلك حيث خرجت عن أهدافها الرئيسية.

كما كان في مرجعية والده مسؤولاً مباشراً عن الطلبة العراقيين جديدي العهد بالدخول في صفوف الحوزة العلمية في النجف الأشرف وغيرهم، حيث شهد عهد الإمام الحكيم عليه السلام تطوراً ملحوظاً في هذا الوسط، اذ كان السيد الحكيم الابن يرفع شؤونهم العامة ويتدخل لحل مشاكلهم ومعاناتهم. كما كان مسؤولاً عن بعثة الحج الدينية التابعة لوالده الإمام الحكيم عليه السلام حيث كان في كل عام ولمدة تسع سنوات متوالية (٦٠ - ٦٨ م) يسافر الى الحج، ليلتقي بالمسلمين وتعليمهم الأحكام الشرعية وتنظيم أمورهم الدينية، وقد زوده الإمام الحكيم عليه السلام بوكالة مطلقة مؤرخة في ١١ ذي القعدة (١٣٨٣ هـ) ^(١).

١- لبنان ودفن في بيروت.

(١) انظر نصها في الملاحق المصورة، كما منحه الإمام الخميني عليه السلام وكالة مطلقة أيضاً استناداً على وكالة الإمام الحكيم عليه السلام له مؤرخة في ١٦ محرم الحرام ١٤٠٩ هـ، وكان قبلها قد منحه وكالة التصدي للأمر الحسينية مؤرخة في ذي الحجة ١٤٠٥ هـ أما الشهيد الصدر عليه السلام فقد منحه وكالة مطلقة مهمة حسين أمر وكلامه بإيصال ما يجتمع لديهم من الحقوق الى السيد المترجم له.

حركته السياسية

وعلى الصعيد السياسي ، فقد دخل منذ البداية في دائرة الاهتمام بإيجاد التنظيم السياسي الإسلامي الذي يكفل إيجاد القدرة على التحرك السياسي المدروس في أوساط الشعب العراقي. وبهدف ردم الهوة بين الحوزة العلمية والشرائح الاجتماعية المثقفة ، حيث كان هناك شعور بالحاجة لتنظيم إسلامي يتبنى النظرية الإسلامية الأصيلة المأخوذة عن أهل البيت عليهم السلام ومرتبطة بالحوزة العلمية وهمومها ومشاريعها من ناحية ، ولمواجهة التنظيمات غير الإسلامية التي أسست على أسس الحضارة الغربية أو الشرقية من ناحية أخرى ، وضرورة مدّ الجسور الى الأوساط المثقفة بالثقافة الحديثة من خريجي الجامعات والموظفين والطلبة والمعلمين وغيرهم ، وكذلك التحولات السياسية المهمة في المنطقة عموماً وفي العراق خصوصاً بعد سقوط الملكية وقيام النظام الجمهوري وهي الأسباب التي تشكل خلفية اتخاذ قرار تأسيس التنظيم الإسلامي سنة (١٩٥٨ م) ، الذي شارك فيه مع آخرين من العلماء الكبار أمثال آية الله العظمى الشهيد السيد محمد باقر الصدر عليه السلام ، والعلامة المجاهد الشهيد السيد محمد مهدي الحكيم عليه السلام ، والعلامة السيد مرتضى العسكري وهو التنظيم الذي أصبح يعرف فيما بعد باسم (حزب الدعوة الإسلامية) ، وقد استمر مشاركاً في مرحلة التأسيس وكان يقوم فيها بدور فكري وثقافي بشكل عام ، وتنظيمي بشكل محدود لمدة سنتين ، إلا أن ظروفاً موضوعية أملت عليه وعلى الشهيدين الإمام

الصدر والعلامة السيد محمد مهدي الحكيم أن يتركوا العمل داخل الاطار الحزبي ، حيث كان ذلك عام (١٣٨٠ هـ) ، ويتخصص للعمل الجماهيري بقيادة المرجعية الدينية.

وعلى الرغم من تركه العمل الحزبي إلا انه بقي على علاقته بالعمل السياسي المنظم على مستوى الرعاية والاسناد والتوجيه من خلال جهاز مرجعية والده الإمام الحكيم عليه السلام ، وبعد ذلك بشكل مستقل ، أو من خلال الموقع القيادي العام للنهوض الإسلامي الذي كان يمارسه السيد الشهيد الصدر عليه السلام.

وكان سماحته قد مارس في حياة والده الإمام الحكيم دوراً مشهوداً في دعم وإسناد الحركة الإسلامية بكل فصائلها.

وعلى الصعيد الرسمي فقد مثل سماحته والده الإمام الحكيم عليه السلام في عدد من النشاطات الرسمية ، كحضوره في عدة مؤتمرات واجتماعات منها حضوره مع العلامة الشهيد السيد محمد مهدي الحكيم عليه السلام ممثلين عن والدهما في المؤتمر الإسلامي الذي عقد في مكة المكرمة سنة (١٩٦٥ م) والمؤتمر الإسلامي الذي عقد في عمان بالأردن في أعقاب نكسة ٥ حزيران سنة (١٩٦٧ م - ١٣٨٧ هـ).

وقد اتصف السيد الحكيم في نشاطه السياسي بالاقدام والشجاعة والجرأة والتدبير ، ففي أيام السيطرة الشيوعية على الحكم في العراق ، وضعت النجف تحت رقابة مشددة حيث كان يقف في رأس كل زقاق مسلحان ممن يستمرون بـ(أنصار الإسلام) ، وكانت المواجهة يومها على أشدها

بين الإمام الحكيم عليه السلام وبين الحكم القائم ، والشيعيين الملتفين حول الحكم... بعد أن أصدر الإمام الحكيم فتواه الشهيرة (الشيوعية كفر وإلحاد).
 في تلك الظروف التي لم يتجاوز فيها السيد الحكيم العشرين من عمره كان يراجع كتاب فلسفتنا الذي ألفه السيد الشهيد الصدر عليه السلام لمناقشة الفكر المادي والماركسي بشكل أخص لمناقشة الماركسية مع السيد الشهيد في بيته في أحد أزقة النجف القديمة المظلمة.. وكان يخرج من البيت متأخراً وأحياناً في منتصف الليل.. حيث يتوقع في كل لحظة أن يقع عليه اعتداء من قبل هؤلاء المسلحين ، ولكنه كان يواجه كل تلك الأخطار بجرأة وإقدام.
 وهكذا عندما شنت حملة الاعتقالات والتعذيب ، ومارست الدولة ضغوطها على المرجعية فكان له موقف صامد مشهود ، ومن جهة أخرى وفي مثل تلك الظروف كان يذهب الى المطبعة لمراجعة طبع كتاب فلسفتنا ، وفي نفس الوقت كان الشيوعيون يراجعون نفس المطبعة لأنهم يطبعون جريدتهم فيها ، وقد قدر الإمام الشهيد الصدر عليه السلام لسيدنا المترجم هذه المواقف الشجاعة الرائدة وترجم ذلك التقدير من خلال وصفه بأنه (المضد المفدى) في مقدمة كتابه (اقتصادنا). ومع كل هذه التحديات والأخطار وأمثالها التي كانت مستمرة طيلة مدة عقد الستينات الميلادية. فإن ذلك لم يشنه عن أداء مهمته الرسالية.. ومثال آخر عندما اشتدت المواجهة بين الإمام الحكيم عليه السلام وبين العفالق عام (١٩٦٩م) وبعد اختفاء أكثر العناصر القوية المحيطة بالإمام الحكيم عليه السلام تولى سماحته إدارة شؤون والده المرجع الأعلى ، وكان بيت الإمام الحكيم عليه السلام في الكوفة محاصراً ومحاطاً بعناصر الأمن

والمخابرات ، فكان سماحته يلتقي ببعض الوفود ويخطب بهم ويوضح الحقيقة بالرغم من قساوة الظروف.. كما كان قد اتخذ موقفاً صلباً وشجاعاً تجاه محاولات البكر و صدام للقاء بالامام الحكيم عليه السلام.

فقد كانت خطة الإمام الحكيم في مواجهة حزب البعث العراقي هي تعبئة الأمة ضدهم وكشف زيفهم وانحرافهم وتآمرهم على مقدراتها ومصالحها ، وكانت السلطة ، وبالذات مجموعة أحمد حسن البكر و صدام يعملون من أجل محاربة الإسلام وضرب كل القوى السياسية الصالحة وفي مقدمتها المرجعية الدينية والحوزة العلمية لما لها من أهمية دينية وثقافية وسياسية وتعبوية تقف أمام هذه المخططات الإجرامية.

وقد نص على هذا الموقف السياسي ضد المرجعية قرار للمؤتمر القطري السابع لحزب البعث وكان يسمي حركة المرجعية الدينية والأجهزة والمؤسسات المرتبطة بها (التيار الرجعي الفاطمي) ولكن في الوقت نفسه كان القرار المذكور يؤكد على أن يتم التعامل بحذر شديد مع ذلك التيار لاحساسه بالخطر من المواجهة العلنية المباشرة مع هذا التيار وهو خطر العزلة عن الشعب.

وبعد الأزمة التي حدثت بين نظام أحمد حسن البكر ونظام الشاه حول السيادة على شط العرب ، حاول النظام الاستفادة من موقع المرجعية في هذه الأزمة.

ولذلك طُرح منذ البداية أن يقوم أحمد حسن البكر أو صدام بزيارة للامام الحكيم للظهور بمظهر التقرب من المرجعية ، وطرح موضوع

الخلافاً للمفتعل مع إيران الشاه في ذلك الوقت على المرجعية ، ولكن الإمام الحكيم لم يوافق على هذه الزيارة حتى قام أحمد حسن البكر (رئيس الجمهورية) آنذاك بزيارة مفاجئة للإمام الحكيم في مدينة الكوفة دون تنسيق أو خبر مسبق ، وحاول النظام أن يستغل هذه الزيارة للدعاية فقام باعلان خبر الزيارة في وسائله الاعلامية ، ولكنه عاد بعد تهديد المرجعية بتكذيب هذه الزيارة الى القول انها كانت زيارة مفاجئة ومن دون ترتيب سابق ، ثم قام النظام بعملية تفسير واسعة لعلماء وأساتذة وطلاب الحوزة العلمية والایرانیين المقيمين في العراق ، والعراقيين ذوي الأصول الإيرانية الأمر الذي أدى الى احتجاج الإمام الحكيم الذي كان يؤدي زيارة الأربعين للإمام الحسين عليه السلام في كربلاء في العشرين من صفر عام (١٣٨٩ هـ)، حيث عاد مسرعاً الى النجف وتم اعلان ذلك على الناس ، وعقد اجتماعاً كبيراً للعلماء لمتابعة هذا الأمر ، فيما اضطر النظام الى أن يرسل وفداً كبيراً من بغداد للتفاوض حول الأحداث ، وهنا قدم سماحة السيد محمد باقر الحكيم في محضر الوفد الأدلة الشبوتية على وجود قرار للنظام بمحاربة الإسلام والدين بعد أن أنكر الوفد ذلك وكان الوفد برئاسة خير الله طلفاح محافظ بغداد وعضوية الوزير حامد علوان الجبوري ، ومتصرف كربلاء في ذلك الوقت عبد الصاحب القرغولي^(١) ، وبعض المسؤولين الآخرين ، وعلى أثر

(١) كان عسكرياً متقاعداً وصديقاً للبكر ، ولكنه كان يشعر بالظلم الذي ترتبه حكومة البعث ضد الشيعة والشعائر الحسينية ، ولذا تم تعيينه وتعيين المعجزة (علي وتوت) مكانه لمدة قصيرة ثم تعيين شبيب المالكي.

هذا اللقاء تم إيقاف التسفيرات ولو بصورة مؤقتة.

ثم شن النظام مرة أخرى حملة اعتقالات واسعة ، فكان سفر الإمام الحكيم الى بغداد للاحتجاج على هذا الموقف للنظام وتم الاتفاق مع العلماء وأطراف الحركة الإسلامية أن يكون موقف المجابهة واحدة وتمت الاستجابة الى ذلك في البداية.

ولكن النظام قام بهجوم جديد من خلال اعلان الاتهام للعلامة السيد مهدي بالتعاون مع الحركة الكردية في شمال العراق ، وقامت قوة عسكرية مخبرائية في مساء ذلك اليوم باقتحام الدار التي كان ينزل فيها الإمام الحكيم في بغداد لاعتقال العلامة السيد مهدي الحكيم ، كما قام في نفس الوقت باعتقال عدد من العلماء والشخصيات وتهديد عدد آخر منهم.

وصمدت المرجعية وعاد الإمام الحكيم عليه السلام الى النجف الأشرف وتحرك طلبة الحوزة العلمية ودخلوا في مواجهة عنيفة مع النظام في النجف الأشرف وأعلن الإمام الحكيم احتجاجه على هذه المواقف إلا أن المؤسف هو ان الحركة الإسلامية لم تقم بما كان ينبغي أن تقوم به لسبب تقديراتها غير الدقيقة للموقف فلم يصدر منها رد فعل يتناسب مع تلك الأحداث ، الى جانب موقف بعض العلماء حين قرروا الخروج من العراق بسبب شعورهم بالخطر وعدم قدرتهم على فعل شيء.

كما اختفى بعضهم بسبب التهديد والخوف ، وبعضهم نسبت اليه تصريحات مؤيدة لحكومة البعث دون أن يصدر منهم تكذيب بشأنها. وهنا حاولت بعض الأوساط العلمية وغير العلمية أن تقوم بدور الوسيط

لحل هذه الأزمة عن طريق قيام صدام بزيارة الإمام الحكيم - وصدام كان مسؤولاً في ذلك الوقت عن جهاز المخابرات جديد التأسيس والذي كان يسمى بالعلاقات العامة لمجلس قيادة الثورة وبذلك ينتهي كل شيء حيث تستسلم المرجعية للأمر الواقع وترجع الى موقف اعتزال الحركة السياسية مع ادانة التحرك السياسي السابق على انه تحرك مشبوه قام به أشخاص يستحقون الملاحقة - ووجهت ضغوط كبيرة على المرجعية نفسية وسياسية وأمنية من النظام ومن داخل الحوزة ومن أوساط الأمة التي كانت تتأثر بالنظام أو بالخوف والارهاب الذي أوجده النظام أو غيره كانت غير واعية ، كل ذلك من أجل أن تتنازل عن موقفها.

وفي تلك الأجواء المتوترة المنذرة بخطر داهم يُحدق بالمرجعية والحوزة العلمية كان سماحة السيد المترجم ملازماً للإمام الحكيم عليه السلام في بيته في الكوفة من أجل مراقبة الوضع بدقة ومعالجة هذه الضغوط بطريقة مناسبة. وقد تم والحمد لله افشال كل هذه المحاولات ومنها المحاولة التي قام بها صدام أثناء زيارته المفاجئة الى النجف للمشاركة في تشييع جنازة عبد الوهاب كريم ، عضو القيادة القطرية الذي قتل في حادث سيارة ودفن في النجف الأشرف واتهم بقتله صدام ، وحضر جنازته لابعاد هذه التهمة ، وحاول في هذه الزيارة المفاجئة أن يلتقي بالإمام الحكيم عليه السلام وكلف المرحوم السيد حسين الكليدار لإستطلاع الحال ، وقد واجهه سيدنا المترجم شخصياً بالرفض.

والطريف في موضوع ملازمة السيد الحكيم الابن لوالده ، أنّ الإمام

الحكيم عليه السلام كان يظن أن ملازمة نجله له في الكوفة كانت بسبب خوفه من الاعتقال ، لأنه كان يشارك بصورة أساسية في كل النشاطات السياسية العامة ، وقد كان الآخرون قد اعتقلوا ، أو مطاردين من السلطة. ولم يكتشف السيد الحكيم الابن هذا التصور في نفس والده الذي كان على درجة عالية من ضبط النفس والسيطرة على الأعصاب ، فلم يتحدث بأي شيء عن ذلك طيلة أربعة أشهر ، الى أن قرر السيد الحكيم الابن السفر الى بغداد فجأة لترتيب أوضاع كلية أصول الدين عند افتتاح موسمها الدراسي أواخر أيلول سنة (١٩٦٩ م) بعد أن سافر عميدها العلامة السيد مرتضى العسكري الى الخارج دون عودة ، وكان سماحته في ذلك اليوم مصاباً بالحمى ولم يكن قد غادر البيت طيلة أربعة أشهر تقريباً ، فاستأذن من والده الإمام الحكيم عليه السلام بالسفر فأذن له ، وبعد سفره تحدث الإمام الحكيم بهذا التصور لزوجته (رحمها الله) حيث ذكر لها بأن طلب نجله الإذن بالسفر منه قد أثار عنده الاستغراب وخصوصاً وانه سافر الى بغداد من أجل هذا العمل الذي كان مستهدفاً من قبل النظام.

ولم تصل للسيد المترجم رسالة تهديد من صدام ، ولكن صدام كان قد هدد أخاه العلامة الشهيد السيد مهدي الحكيم عليه السلام بسبب رفضه الاجتماع به ، وقد نقل هذا التهديد والموقف الى سيدنا المترجم عبد الأمير ملا ناجي ، الذي كان يعمل في جهاز العلاقات العامة لمجلس قيادة الثورة ، وهو الذي كان وراء اعتقال العلامة الشهيد السيد حسن الشيرازي ، وكان من أهل (بلد) وقد طلب الاجتماع بسيدنا الحكيم بواسطة المرحوم العلامة السيد عبد الزهراء الخطيب العالم الديني في (بلد) حينذاك.

ولكن صدام قام بعدة محاولات لاغتيال السيد الحكيم بطريقة غير مثيرة لم تتحقق .

نشاطه بعد مرجعية الإمام الحكيم

وبعد وفاة والده الإمام الحكيم سنة (١٩٧٠ م)، استمر سماحته على هذا المنهج وهو يقف الى جانب آية الله العظمى السيد الشهيد الصدر، ومع تطورات الأوضاع السياسية وتنامي حركة الوعي الإسلامي في العراق ازداد ثقل المسؤولية التي تحملها المرجع الشهيد الصدر ومع آية الله السيد محمد باقر الحكيم.

ومن هنا تصاعدت حركة نشاطه السياسي على الرغم من الرقابة الشديدة السرية التي كان يتعرض لها من قبل أجهزة السلطة وأعوانها متحينين الفرص لاعتقاله.

تشخيص دقيق للمرحلة بعد وفاة الإمام الحكيم

وكان التقييم العام للأوضاع السياسية بعد وفاة الإمام الحكيم يقوم على مجموعة من التصورات الرئيسية:

الأول: أنّ هذا النظام قمعي ويخطط للدخول في تفاصيل حياة الناس، وهو لا يترك حتى لو يُترك ولذلك فلا بد من أخذ زمام المبادرة في التحرك وعدم الاعتماد على حالة ردود الفعل.

الثاني: أنّ الأمة بدأت مرحلة جديدة من الوعي ولكنها غير متكاملة ولا منظمة وتحتاج الى جهد متواصل يهتم بالكيف أكثر من الكم.

الثالث: أنّ النظام والاستكبار العالمي فتح عيونهم على المرجعية وأهميتها

ودورها في الأمة وقدرتها الكبيرة بعد خروجها من عزلتها على يد الإمام الحكيم ، ولذلك فسوف يواصل النظام التعرض للمرجعية والعمل على القضاء على دورها أو تحجيمه والضغط عليها لارجاعها الى العزلة أو التعاون مع النظام.

الرابع: ان هناك حاجة حقيقية لتوحيد المرجعية في العراق للمحافظة على ما تبقى من انجازات حققتها مرجعية الإمام الحكيم وللاحتفاظ بقدرة المرجعية في المواجهة ، ولذلك اهتم بارجاع الأوساط الشعبية الى الإمام الخوئي حيث كان هو المرشح لذلك.

الخامس: ان المرجعية لا بد أن تعتمد بصورة أساسية على جهازها وتشكيلاتها الخاصة بها من العلماء والمبلغين ، مضافاً الى القوى والتشكيلات الثقافية والسياسية الإسلامية الأخرى.

السادس: فصل المرجعية والحوزة وجهازها العام عن العمل المنظم الإسلامي العام.

السابع: ضرورة وضوح العلاقة الداخلية بين المرجعية والحوزة من ناحية والتنظيم الإسلامي الخاص من ناحية أخرى ، وهي علاقة قيمومة المرجعية على العمل التنظيمي الإسلامي وقيادته وتوجيهه وارشاده.

اعتقالاته

كان نشاط سيدنا المجاهد يشير قلق السلطة ويزعجها لدوره الفاعل في تصعيد حركة النهضة الإسلامية المعارضة ، ورعايته للمشاريع الإسلامية

المتعددة وتنامي مركزه العلمي والاجتماعي المتمثل بشبكة العلاقات الاجتماعية الواسعة داخل العراق ولكونه يحتل موقعا متميزا في حركة النهوض الإسلامي ، فهو الرجل الثاني بعد السيد الشهيد محمدباقر الصدر رحمته من الناحية السياسية في قيادة التحرك السياسي الإسلامي في العراق. ومن هنا فقد تعرّض رحمته لمجموعة من الاعتقالات التي تكشف عن أهمية الدور الذي كان يمارسه في الساحة السياسية والاجتماعية.

اعتقاله الأول

لقد كان من نصيبه الاعتقال في حملة الاعتقالات الواسعة التي شملت عدداً من العلماء وفي مقدمتهم السيد الشهيد الصدر محمدباقر رحمته عام (١٩٧٢م) أيضاً من قبل نظام المقبور أحمد حسن البكر وفي ذلك الاعتقال تعرض سماحته للتعذيب القاسي الشديد ، حيث كان المعتقل الوحيد من بين عدد من العلماء والمعتقلين الذين تم اعتقالهم في هذه الحادثة الذي تم نقله الى بغداد ، ولكنه صمد صمود الأبطال ولم يكل أو يستكين.. وعندما صدر قرار الإفراج عن السيد الشهيد الصدر رحمته ، وبالفعل تم اخباره بالافراج عن الشهيد الصدر رحمته ، حيث أطلق سراحه رحمته بعد الضغط الجماهيري ضد السلطة. وبعد إطلاق سراح سماحته ، استمر في مواصلة نشاطه السياسي والاجتماعي والعلمي على الرغم من الظروف العصيبة والقاسية ووضعه تحت المراقبة الشديدة ومنعه من السفر الى خارج العراق.

اعتقاله الثاني

وفي عام (١٩٧٤ م) قام النظام بحملة واسعة من الاعتقالات ضد الاسلاميين تعرض فيها الشهيد الصدر والسيد الحكيم وقائمة كبيرة من العلماء للتهديد بالاعتقال بعد أن تم اعتقال عدد آخر منهم ، وأخذت منهم اعترافات كاذبة تحت التهديد ، ولكن لضغط الجماهير خصوصاً من خارج العراق الذي قاده الإمام موسى الصدر أوقف حملة الاعتقالات.

ثم أقدم النظام المجرم على تنفيذ جريمته البشعة باعدام الشهداء الخمسة (الشيخ عارف البصري، والسيد عماد الدين الطباطبائي، والسيد عز الدين القبانجي والسيد حسين جلوخان، والسيد نوري آل طعمة).. كانذار لجميع المؤمنين بالتخلي عن النشاط الإسلامي. ولكن جذوة الجهاد لم تخفت عنده ، واستمر سيدنا المجاهد في نهجه الجهادي ضد النظام العقلي حتى انطلقت انتفاضة صفر الإسلامية المباركة عام (١٩٧٧ م) ، بسبب تدخل النظام في الشعائر الحسينية ومنعه لأبناء الشعب العراقي من أداء مراسيم المواكب والزيارة مشياً على الأقدام للإمام الحسين عليه السلام.

فكانت أول انتفاضة جماهيرية واسعة بعد وفاة الإمام الحكيم عليه السلام (انتفاضة صفر) ، حيث شارك فيها مئات الآلاف من أبناء العراق ، وكان مركز انطلاقها مدينة النجف الأشرف ، حيث شهد الطريق بين النجف وكربلاء أروع ملحمة بطولية سطرها أبناء العراق الغيارى ، الأمر الذي أدى الى تدخل القوات البرية المدرعة ، والطائرات المقاتلة للسيطرة على

الانتفاضة ، وفي تلك الانتفاضة الجماهيرية العظيمة أرسل آية الله العظمى السيد الشهيد محمدباقر الصدر رحمه الله سيدنا المجاهد ممثلاً عنه لتوجيه خطابه السياسي بالشكل الذي يحقق أهدافها في استمرار الشعائر الحسينية ويحبط مؤامرات النظام للالتفاف عليها ، ولإشعار المنتفضين ان المرجعية معهم في موقفهم البطولي الرائع ، حيث تمكن المجاهد السيد محمدباقر الحكيم من افشال مخطط النظام في ضرب الانتفاضة سياسياً ، الأمر الذي أدى الى اعتقاله في ٢٢ صفر سنة (١٣٩٧هـ) الموافق شباط سنة (١٩٧٧م) بطريقة غادرة^(١) ، وتلقى في الاعتقال تعذيباً فظيماً ، ثم صدر عليه الحكم بالسجن المؤبد... ثم أطلق سراحه في عفو عام عن السجناء السياسيين والعاديين في ١٧ تموز عام (١٩٧٨م) ، ولكنه منع من السفر ووضع تحت المراقبة السرية والمستمرة.

وبالرغم من ذلك لم ينقطع عن عمله الجهادي ومسؤولياته وصلته بالسيد الشهيد الصدر رحمه الله حتى بعد فرض النظام العفلقى الاقامة الاجبارية على السيد الشهيد محمدباقر الصدر ، حيث كان السيد الحكيم يقوم بمسؤولياته من خلال فتح قناة الاتصال السري مع الشهيد الصدر لايصال تطورات الأوضاع اليه والمساهمة في التخطيط للعمل السياسي والجهادي ، وايصال

(١) حيث اتصل به المرحوم السيد مصطفى جمال الدين هاتفياً وأخبره بأن المحافظ يطلب منه الاجتماع في بيته أي في بيت السيد جمال الدين الذي لم يكن يعلم بالمؤامرة المدبّرة من قبل المحافظ ومدير الأمن ، فوافق السيد المترجم وذهب الى بيت السيد مصطفى جمال الدين الذي كان يقع في حي من أحياء النجف ، وبعد الاجتماع الذي تمت فيه مناقشة أحداث الانتفاضة وعند خروج السيد من المنزل طلب منه الصعود في سيارة الأمن وتم نقله فوراً الى بغداد.

التوجهات لأبناء الحركة الإسلامية في داخل العراق وخارجه. وبعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران عام (١٩٧٩م) ، وأثناء فترة الاحتجاز طرح عليه الإمام الشهيد الصدر عليه السلام ، فكرة الخروج من العراق فلم يرجح الفكرة ، لأنه كان يعتقد ان خروجه من العراق سوف يجعل النظام يعجل بالقضاء على السيد الشهيد الصدر عليه السلام بسبب طبيعة العلاقة الوثيقة بينه وبين السيد الشهيد ولم يكن هو يتحمل الآثار النفسية والمعنوية لمثل هذه الخطوة التي يعتبرها مخاطرة كبيرة تفقد الكيان الإسلامي العام شخصية قيادية كبيرة مثل السيد الشهيد الصدر.

وبعد أن نفذ النظام المجرم جريمته الكبرى بقتل السيد الشهيد الصدر في أوائل نيسان عام (١٩٨٠ م) ، اتخذ سماحة السيد الحكيم قرار الهجرة من العراق لقيادة عملية الجهاد ضد النظام العقلي الدموي ، حيث أصبح بقاءه مستحيلاً في ذلك الوقت ، فكانت هجرته المباركة في أوائل تموز عام (١٩٨٠م) بشكل سري عن طريق إحدى الدول العربية المجاورة وصولاً الى سوريا ، وذلك قبل اندلاع عدوان النظام الصدامي على الجمهورية الإسلامية بحوالي الشهرين والنصف.

حركته الجهادية خارج العراق

منذ اللحظات الأولى التي تمكن فيها السيد المترجم الخروج من العراق في تموز عام (١٩٨٠م) ، توجه سماحته نحو تقييم الوضع في العراق ووضع الخطوط الاستراتيجية الثابتة للعمل ، وتشخيص اسلوب العمل الجهادي

للمواجهة ، وكذلك نحو تنظيم المواجهة ضد نظام صدام ، وتعبئة كل الطاقات العراقية الموجودة داخل العراق وخارجه من أجل دفعها لتحمل مسؤولياتها في مواجهة هذا النظام ، حيث أمضى مدة ثلاثة أشهر في سوريا يعمل فيها بصورة غير علنية ، وكتب في ذلك بحثين مهمين.

وبعد التوصل الى صورة واضحة عن المسائل المطروحة والاتفاق مع أطراف الساحة وشخصياتها توجه سماحته نحو الجمهورية الإسلامية في إيران حيث دخلها في أوائل تشرين الأول عام (١٩٨٠م) بعد بدأ العدوان الصدامي على إيران بأيام قليلة ، وفي أول وصوله نزل ضيفاً على الإمام الخميني عنه السلام ، حيث خصص له منزلاً مجاوراً لمقره عنه السلام ، وأولاه عناية كبيرة واهتماماً ملحوظاً ومتميزاً.

وفي طهران تحركت نحوه الجماهير العراقية المجاهدة الموجودة في إيران في وفود شعبية كبيرة وعلمية ، فاستقبلها في جماران، ومن هناك أعلن عن المواجهة الشاملة ضد نظام صدام المجرم ، فكان أول شخصية عراقية علمائية معروفة تعلن عن اسمها بصراحة عبر الصحف والاذاعات وصلاة الجمعة في طهران عن تصديها لمواجهة نظام صدام.

وفي كل خطواته كان سماحته يؤكد على ضرورة الوحدة بين العاملين للاسلام ، ومن أجل ذلك أجرى الحوارات مع كل الأطراف السياسية الإسلامية العراقية للوصول نحو تحقيق هدف الوحدة ، وكان يهتم من خلال ذلك بايجاد مؤسسة سياسية تتولى ادارة التحرك الإسلامي العراقي وتوحيد مواقفه السياسية ، وأسفرت تلك الحوارات عن تأسيس «جماعة العلماء

المجاهدين في العراق» وقد حدثت بعض التطورات أدت الى تجميدها عملياً فتأسس «مكتب الثورة الإسلامية في العراق».. وبعد مخاضات متعددة ، أسفر ذلك النشاط المتواصل والجهود الكبيرة عن انبثاق (المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق) في أواخر عام (١٩٨٢م - ١٤٠٢هـ)، وانتخب سماحته ناطقاً رسمياً للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق^(١) ، حيث أوكلت له مهمة ادارة الحركة السياسية للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق على الصعيد الميداني والاعلامي وتمثيله. ومنذ عام (١٩٨٦م) أصبح سماحته رئيساً لهذا المجلس ويتحمل هذه المسؤولية بعد انتخابه للرئاسة، وبصورة متكررة من قبل أعضاء الشورى المركزية.

وقبل أن يتشكل المجلس الأعلى سعى سماحته نحو ايجاد قوة عسكرية مدربة تدريباً جيداً تحمل السلاح في مقاومة نظام صدام.. فوجّه نداءاته للشباب العراقي الذي انخرط في تعبئة سميت بـ (التعبئة الإسلامية) فأولى سماحته عنايته الخاصة لهذا التشكيل الذي كان له دور مهم في عمليات التصدي للعدوان العفلقى ضد الجمهورية الإسلامية ، وتصعيد الحالة الجهادية لدى العراقيين.

وعلى صعيد آخر بدأت تتكوّن في الساحة العراقية قوى الجهاد في داخل العراق والتي لبّت نداءات سماحة السيد الحكيم ، فنفّذت عمليات

(١) أكد النظام الداخلي للمجلس الأعلى على سزية الأعضاء في تلك المرحلة ولذلك فقد احتلت الناطقية أهمية خاصة لأنها تمثل واجهة العمل فلم يكن أفضل من سماحته في اعطاء تلك الواجهة بعدها المهم.

استشهادية ضخمة زعزعت استقرار النظام من قبيل تفجير وزارة التخطيط ، ووكالة الأنباء العراقية ، ومقر القوة الجوية ، وكلها في بغداد وغير ذلك من العمليات الضخمة التي كان لها دور سياسي مهم واعلامي واضح ، حيث نقلت الصراع الشعبي ضد النظام العفلي من مرحلة السرية والكتمان الى المرحلة العلنية.

وبعد انبثاق المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق اتخذت الحركة ضد نظام صدام طابعاً أكثر وضوحاً على الصعيد العسكري والسياسي ، فعلى الصعيد العسكري تشكلت في البداية ، أفواج الجهاد ، ثم تطورت لتصبح فيلقاً عرف باسم (فيلق بدر) ، أما في الداخل فقد تشكلت قوات المقاومة الإسلامية والجهاد ، حيث نفذت عمليات كبيرة داخل العراق وكان لها صدى أكبر في مناطق الأهمار خلال الحرب العراقية - الإيرانية ، لكنها بعد انتفاضة شعبان عام (١٩٩١م) تطورت وانتشرت الى داخل المدن العراقية المهمة حيث قامت بعمليات كبرى ، منها قصف القصر الجمهوري بصواريخ الكاتيوشا ثلاثة مرات خلال عام (٢٠٠٠ و ٢٠٠١م).

وكانت لجهوده الكبيرة في رعاية شؤون الأسرى العراقيين على الصعيد الثقافي والعائدي والتعبوي أثرها الكبير في إحداث التحولات العقائدية والفكرية والسياسية لديهم حيث تم بسعيه تشكيل لجنة خاصة لرعايتهم تحت اشراف مجلس الدفاع الأعلى وتشكيل لجنة ثقافية لهم.

وقد تجسدت تلك التحولات حينما أبدى عشرات الآلاف منهم استعدادهم وبالحاح للمشاركة في القتال ، وكتبوا الطومارات والرسائل ووقعوها

بدمائهم ، وبعد سنوات من الإصرار والمطالبة انتهى ذلك الى اصدار قرار بقبول تطوعهم في العمل العسكري ضمن التشكيلات القتالية في الحالة الجهادية العراقية ، وقد تطوع الآلاف منهم في قوات المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق (قوات بدر) في ثمانية عشر دورة عسكرية ، واشتركوا في المعارك ضد نظام الطاغية صدام واستشهد العديد منهم في ساحات القتال. أما على الصعيد السياسي ، فقد تحول المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق بسعيه الدائم ومبادراته ، ودعم المؤمنين لهذه الاطروحة السياسية الجهادية الى مؤسسة سياسية مهمة ومعروفة على الصعيد الدولي ، وأصبح له وزن دولي كبير ، وما زال المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق يواصل مسيرته من أجل تحقيق أهداف الشعب العراقي.

لقد كان الهاجس الدائم لسماحة السيد الحكيم هو تحقيق السبل الكفيلة بإنقاذ الشعب العراقي من ظلم نظام صدام.. وكان هذا الهاجس واضحا كل الوضوح في تفكير وحركة سماحته ، فهو لم يغفل لحظة واحدة في بيان المأساة التي يعانها هذا الشعب في ظل نظام صدام ، وكان يرفع صوته ويبرق برسائله ومذكراته الى الأمم المتحدة وأمينها العام ، وملوك ورؤساء البلاد العربية والإسلامية في كل مناسبة ، يطالبهم فيها باتخاذ التدابير اللازمة برفع الظلم عن الشعب العراقي.

وعلى هذا الصعيد ، فقد قدم أبعد حدود الدعم لتأسيس المركز الوثائقي لحقوق الانسان في العراق ، وهو مركز يعتني بجمع الوثائق عن انتهاكات نظام صدام لحقوق الانسان في العراق والاستفادة منها في فضح النظام في

أوساط المجتمع الدولي ، كما شجع على التحرك في أروقة الأمم المتحدة ، وتحرك بنفسه حتى التقى بالأمين العام (خافيز بيريز دي كويلار) في عام (١٩٩٢م).

وشجع كذلك على ارسال الشهود والوثائق المرتبطة بالسجناء الى مؤسسات الأمم المتحدة المعنية ، وكذلك التحرك على منظمات حقوق الانسان في البلدان الأوربية وفي بعض البلدان الآسيوية.. وكان لتلك الحركة في مجال حقوق الانسان أثرها الكبير في فضح ممارسات النظام العراقي ضد الشعب العراقي.

وقد أجبرت تلك الحركة وذلك الضغط الأمم المتحدة على الاستجابة للأصوات المطالبة بإيقاف القمع عن العراقيين وإيلاء قضية الشعب العراقي ومعاناته أهمية خاصة ترجمت بشكل علني من خلال البيانات والنداءات التي أصدرتها الأمم المتحدة في مواقع متعددة تتعلق بإدانة انتهاكات النظام لحقوق الانسان في العراق.

كما قام سماحته بتأسيس المنظمات والمؤسسات التي تهتم بالخدمات الانسانية والثقافية كالاغاثة والتعليم والصحة والتوثيق ، فقد قام بتأسيس مؤسسة الشهيد الصدر عليه السلام والمستوصفات الطبية التابعة لها ، كما ودعم تأسيس المدارس الابتدائية في المدن والمخيمات التي يسكن فيها العراقيون ، ومدارس الحوزة العلمية ، وارسال المبلغين الدينيين ، ورعاية حركة حفظ القرآن وتلاوته ، وتأسيس المساجد والحسينيات والمراكز الثقافية. وعندما تعرض الشعب العراقي للعقوبات الاقتصادية بعد احتلال

نظام صدام للكوييت في ٢ آب سنة (١٩٩٠م) أدرك سماحة السيد الحكيم ، حجم المأساة التي سوف يعاني منها الشعب العراقي ، فوجه نداءً الى كل العراقيين في الخارج ، ودعاهم الى تشكيل لجان الاغاثة استعداداً للمرحلة القادمة.

وعندما بدأ القصف الجوي من قبل اميركا وحلفائها ضد العراق في ١٧ / ١ / ١٩٩١ م ، تشكلت بعض اللجان للاغاثة حملت المساعدات الغذائية والألبسة وتمكنت في ظروف الحرب من ايصال بعض المساعدات الى داخل العراق.

وعند انطلاق الانتفاضة الشعبية المباركة في ١٥ شعبان سنة (١٤١٢ هـ) آذار (١٩٩١ م) ، تحركت لجان الاغاثة التي تشكلت في مناطق متعددة من العالم لجمع وارسال المساعدات الى أبناء الشعب العراقي المنكوب.. وتهيأت هذه اللجان وبتوجيه من سماحته لتقديم المساعدات للأخوة العراقيين اللاجئين الى الجمهورية الإسلامية.

وما زال سماحته يولي اهتمامه الخاص بقضايا العراقيين اللاجئين في كل مكان وخصوصاً في إيران والسعودية.

أما على صعيد حركته السياسية الدولية ، فقد تحرك بشكل واسع من أجل هدف سامي وهو اسقاط نظام صدام واناخذ الشعب العراقي من هذه المحنة الطويلة التي يعاني منها ، فتحرك في الأمم المتحدة والتقى بالأمين السابق (خافيز بيريز ديكيولار) كما اهتم بدول الجوار فزار السعودية ، وسوريا ، والكوييت والتقى الملوك والرؤساء فيها والتقى رئيس الوزراء

التركي ، ورئيس الوزراء السوداني ، وتحادث مع الملك حسين وولي عهده الأمير حسن^(١) ، فضلاً عن علاقاته ولقاءاته المتميزة مع قادة الجمهورية الإسلامية الإيرانية ، كما زار بريطانيا استجابة لدعوة العراقيين هناك وسويسرا ، ولبنان ، والتقى سفراء دول المجموعة الأوروبية عدة مرات لدعم هذا التحرك الدولي.

وفي كل مكان كان يذهب اليه سماحته تكون مأساة الشعب العراقي وقضيته هي القضية الجوهرية التي تدور حولها المباحثات.

كما أرسل الوفود والمبعوثين للمنظمات الدولية والدول المعنية في مناسبات عديدة.

ويستقبل في مكتبه عادة عشرات السفراء للدول الأوربية والعربية والافريقية.

محاولات اغتياله

تعرض سماحة السيد الحكيم لعدة محاولات اغتيال بطرق متعددة ، وقع بعض هذه المحاولات داخل العراق وبعضها الآخر وقع في خارج العراق بعد هجرته وقيادته للعمل المعارض للنظام.

(١) كان الحسن بن طلال ولسنوات طويلة ولياً للعهد في الأردن قبل أن يعزله الملك حسين في عام ١٩٩٩م ، ويعين بدلاً عنه ولده عبد الله الثاني ابن الحسين والذي أصبح بعد وفاة الملك حسين ملكاً للأردن.

أ - محاولات اغتياله داخل العراق:

١ - المحاولة الأولى: كانت أثناء اعتقاله الأول من عام (١٩٧٢م) مع سماحة السيد محمد تقي الطباطبائي ، والشيخ عز الدين الجزائري ، والسيد محمد علي الشيرازي وغيرهم ، حيث تم نقل السيد المترجم الى بغداد ، وكان قرار السلطة أن تتم تصفيته الجسدية داخل المعتقل ، فنقل فوراً الى مديرية الأمن العامة فالتقى بمدير الأمن الذي أمر بنقله الى مديرية الشعبة الخامسة حيث تم تعريضه للتعذيب المبرح حتى الصباح ، وبعد الظهر تم إطلاق سراحه مع الشهيد الصدر بصورة غير متوقعة ، وتم الاعتذار منه وكان مدير الشعبة آنذاك يدعى (العزاوي).

وقد نقل هذا القرار (قرار القتل) العزاوي بعد اخراجه من وظيفته في الأمن العام الى سلك الشرطة بواسطة أحد الأصدقاء ، حيث حدثه بهذه القصة ، اننا فوجئنا بقرار اطلاق سراح السيد الحكيم الذي كان قراراً مفاجئاً جاء من القصر ، ولعل السبب في ذلك هو التوسل بالامام الكاظم عليه السلام من قبل سماحة السيد الحكيم عليه السلام ^(١).

٢ - المحاولة الثانية: بعد وفاة الإمام الحكيم عليه السلام عام (١٩٧٠م) ووضوح دور سماحته المؤثر في مرجعية والده الإمام الحكيم ، وكذلك وضوح دوره الكبير في حركة السيد الشهيد الصدر عليه السلام الثقافية والسياسية والاجتماعية

(١) نحتفظ بالأرقام والأسماء لأسباب أمنية تتعلق بالآخرين.

حاول النظام آنذاك تدبير محاولة اغتيال الإمام الشهيد الصدر عليه السلام وسماحة آية الله السيد محمد باقر الحكيم عليه السلام وذلك عبر تكليف أحد الأشخاص البعثيين ، وتم إعداد خطة الاغتيال وساعة التنفيذ ، إلا أن الرجل في الساعات الأخيرة قبل التنفيذ اعتذر عن التنفيذ ، وكان ذلك بين عامي (١٩٧٤ - ١٩٧٥م) وهي السنة التي شهدت اعدام مجموعة من العلماء والرساليين^(١) . وقد نقل هذا الأمر للسيد الحكيم أحد العلماء العراقيين ، حينما كان معتكفاً في مسجد الكوفة ، وقد كان الشخص المكلف بهذه المهمة حدثه بها.

ب - خارج العراق

١ - محاولة مستشفى (بنك ملت)

كان من عادة آية الله السيد الحكيم عليه السلام أن يقوم بزيارة للجرحى العراقيين والاييرانيين وذلك في أيام الحرب العراقية الايرانية، وفي احدى المرات كان سماحته يقوم بزيارة للجرحى في مستشفى (بنك ملت) الواقع في شارع فردوسي بالعاصمة طهران وذلك في عام (١٩٨٦م) ، حيث كان تلفزيون الجمهورية الإسلامية قد أعدّ برنامجاً لتصوير هذه الزيارة.

وبعد تفقده للجرحى توجه للخروج من المستشفى ، وكان أحد المتناقضين من العاملين داخل المستشفى قد اطلع على هذه الزيارة قبل عدة ساعات من تنفيذها ، فأخبر مجموعته التي اتخذت موقفاً لها في الشارع العام عند مدخل

(١) وهم الشهداء الخمسة: الشيخ عارف البصري ، السيد عز الدين القبانجي ، السيد عماد الدين الطباطبائي ، السيد حسين جلوخان ، السيد نوري طعمة.

المستشفى لتنفيذ عملية الاغتيال عند الخروج منها ، وعند الانتهاء من الزيارة والبدء بالنزول من السلم المؤدي الى باحة المستشفى أعطى العامل في المستشفى الاشارة لمجموعته ، ولكن في هذه الأثناء طلب أحد المصوّرين من سماحة السيد العودة الى ردهة المستشفى لالتقاط مزيد من الصور مع الجرحى حسب طلبهم وبدون تخطيط سابق ، فعاد الى الداخل مرة أخرى وتأخر عن الخروج قليلاً ، وكانت هذه الفترة القليلة كافية لكشف كمين المنافقين الذي كان قد خرج الى الشارع استعداداً للتنفيذ ، وصادف مرور دورية للجان الثورية فرأت المجموعة التي كانت قد اتخذت هيئة الاستعداد للهجوم ، وهنا وقع الاشتباك بالأسلحة النارية بين مجموعة المنافقين والدورية حيث سمع إطلاق النار في داخل المستشفى ، فطلب المسؤولون في المستشفى من سماحته المكوث في المستشفى حتى انكشاف الحالة ، وتبين بعد ذلك أنّ أحد المنافقين كان قد قتل في المواجهة وجرح الآخر مع أحد أفراد الدورية ، وترددت اشاعة قوية بإصابة السيد الحكيم في هذه المواجهة ، حتى أنّ احدى النشرات السرية الخاصة بالمؤسسات الثورية الإسلامية قد نشرت الخبر على أساس حصول الإصابة للسيد الحكيم ، وفوجئ السيد الحكيم بمجموعة من الاتصالات الهاتفية تستفسر عن الحادث.

٢ - محاولة معسكر برندك للأسرى العراقيين (١)

كان سماحة آية الله الشهيد السيد الحكيم رحمته من عادته أن يقوم بجولات دورية على معسكرات الأسرى العراقيين لتفقدهم وللتحدث اليهم ومتابعة أوضاعهم واحتياجاتهم ، وفي إحدى الزيارات كانت هناك مجموعة من الأسرى البعثيين وعناصر الاستخبارات العراقية قد خططت للقيام بعملية الاغتيال عن طريق الخنق أثناء ازدحام الأسرى - وهم يعدون بالآلاف - حوله للسلام عليه أو تقبيل يديه كما هي عادتهم ، وكان من عادة سماحته أن يستجول داخل صفوف الأسرى العراقيين على الرغم من تحذيرات المسؤولين ومعارضتهم في بعض الأحيان.

وفي تلك الزيارة بعد أن أنهى سماحته خطابه ، نزل من منصة الخطابة ، وتوجه نحو الأسرى المتجمعين لكن شيئاً لم يحدث ، ولم يكن أحد من مرافقي السيد أو إدارة المعسكر يعلمون بالخطة ، ولكن بعض الأسرى الذين هدى الله قلبهم للإيمان قال فيما بعد ، أن الخطة كانت تقضي إحداث فوضى مصطنعة للسلام على سماحته ثم يقوم بعضنا بعملية الخنق أثناء الازدحام والفوضى ، ولكننا شعرنا بالإحباط والخوف والدهشة عندما شاهدنا سماحته ينزل الى وسطنا دون تكلف وببساطة فأسقط بأيدينا.

(١) يعتبر هذا المعسكر من أكبر معسكرات الأسرى ، حيث كان يضم في بعض الأحيان أكثر من ثمانية آلاف أسير ، وقد أقيمت فيه مراسم صلاة الشكر ظهراً بحضور خمسة عشر ألف أمير وشهدتها المراسلون المحليون والأجانب وصورت هذه الصلاة تلفزيونياً.

٣ - محاولة معسكر بجنورد

كان في بجنورد شمال إيران معسكر آخر يضم مجموعة من الأسرى الذين جاءوا حديثاً إلى إيران ، وقد ذهب سماحة السيد الحكيم كعادته في تفقد الأسرى العراقيين لزيارتهم ، ويبدو انه حصلوا على معلومات بزيارته لهم ، فأعدوا خطة للاغتيال عن طريق الخنق أيضاً.. وكان فيه عدد كبير من البعثيين الكبار ، وقد حذرت قوات الشرطة العسكرية (الانضباط العسكري) وأمر المعسكر سماحته من التواجد في وسطهم خوفاً عليه وحذراً من هذه المخاطر ، وكما هي التعليمات المشددة في هذا المجال.

لكن سماحته لم يلق بالألتك التحذيرات ، فتوجه نحوهم يدفعه اليهم انهم عراقيون مُغزَّر بهم ويمكن اصلاحهم من خلال المعاملة الحسنة والمودة الصادقة والحرص على مصلحتهم ، فاندفعت مجموعة كبيرة منهم نحو سماحته ، لكن الشرطة العسكرية والحرس الموجودون في المكان دفعوهم على اعقابهم وحدثت فوضى ، وصدرت بعض العبارات والكلمات منهم ، متاقوى الاعتقاد لدى المسؤولين بوجود محاولة مسبقة لعملية الاغتيال ، فتم استجواب عدد منهم فاعترفوا بوجود المحاولة ، لكنها فشلت والحمد لله.

٤ - محاولة حاج عمران

بعد تشكيل المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق ، كانت القوات الإسلامية الإيرانية قد حرّرت منطقة حاج عمران في شمال العراق واشترك في هذه العملية لأول مرة قوات عسكرية من المجلس الأعلى (قوات بدر) ،

فذهب وفد من قيادة المجلس الأعلى والكادر العراقي الإسلامي لزيارة المنطقة المحررة وتفقدتها وعقد اجتماعاً رسمياً في مدينة بيرانشهر الحدودية ، كما قرروا عقد اجتماع آخر في داخل الأراضي العراقية ، وكان سماحته على رأس الوفد.

وعندما تحرّكت قافلة المجلس من مدينة بيرانشهر الإيرانية الواقعة على الحدود الى منطقة حاج عمران وكان ذلك في وسط النهار ، كانت أخبار زيارة الوفد قد وصلت الى النظام العراقي عن طريق بعض العناصر الكردية المتعاونة مع النظام والتي كانت تنتشر في هذه المنطقة.

وبعد التوغل قليلاً داخل الأراضي العراقية جاءت الطائرات العراقية فضربت قافلة السيارات التي كانت تقل الوفد بصواريخ جو - أرض ثم وجهت نيران المدافع الرشاشة وهي تحلق على مستوى منخفض جداً الى القافلة حتى أنّ الشظايا والنيران كانت تتطاير على جانبي الطريق الجبلي.. وكان أنّ أمر مسؤول الحرس الثوري المرافق للوفد باعادة الوفد كئله الى داخل الأراضي الإيرانية ، لكن الطائرة عادت مرة أخرى وطارت على ارتفاع منخفض ورشقت السيارة التي يستقلها السيد الحكيم بالرصاص ، لكنه لم يصب بأذى والحمد لله.

٥ - محاولة الأهوار:

كان سماحة آية الله الشهيد السيد محمد باقر الحكيم رحمته الله أثناء الحرب العراقية المفروضة على إيران يقوم بين حين وآخر بتفقد قوات المجاهدين

العراقيين في الجبهة للتواصل معهم ورفع معنوياتهم القتالية ، وكان من عادته أيضاً أن يتوغل الى الخطوط الأمامية للجبهة رغم تحذيرات المسؤولين والقادة العسكريين من الأخطار الناجمة عن ذلك.

وعندما قام المجاهدون العراقيون بتحرير هور الهويزة وبحيرة أم النعاج في داخل الأراضي العراقية ، قرر سماحته أن يقوم بزيارتهم وتفقد مواقعهم والمبيت عندهم في داخل الأهوار العراقية. وقد أعد المجاهدون لسماحته برنامجاً مكثفاً لزيارة المواقع لمدة يومين ، ولم يكن يعرف البرنامج هذا إلا قائد المجاهدين ومسؤول الاستخبارات العسكرية لحرس الثورة الإسلامية في المنطقة وبعض عناصر الاستخبارات.

وقد قام السيد (جوبان) مسؤول الاستخبارات حينذاك قبل يوم الزيارة بتفقد الخطوط الأمامية للتعرف على أوضاعها تحسباً لزيارة سماحته ، وكان يرافقه عنصران أحدهما من منطقة خوزستان ، حيث بقي أحدهما في الزورق ونزل السيد جوبان والعنصر الآخر الخوزستاني باطلاق النار على السيد جوبان وفرّ الى الجانب العراقي يحمل معه تفاصيل الزيارة ومواقعها ، وهنا بادر قائد الزورق الى الغطس في الماء أيضاً للاختفاء حيث ظن أنّ إطلاق النار كان من جانب الدوريات العراقية ، ولكنه وجد بالأثناء جسد السيد جوبان طافياً على الماء وهو على وشك الموت بعد أن أصيب بالنار وكان مغمى عليه ، فنقله الى الزورق وبادر الى إرجاعه الى الخطوط الخلفية لمعالجته معتقداً أنّ العنصر الخوزستاني قد لقي حتفه أو تم أسره.

وفي صبيحة اليوم الثاني وصل سماحة السيد الى حافة هور الهويزة

لركوب الزورق والقيام بالزيارة التفقدية ، ولكن حدثت بالأثناء مشكلة جزئية بصورة غير متوقعة أخرت البدء بالزيارة عن موعدها المحدد بنصف ساعة ، وعندما اقترب سماحة السيد من أول موقع كان من المقرر زيارته والإقامة فيه ظهراً وجد الموضوع قد تمت مهاجمته بالطائرات ، ولزيادة الاحتياط تم تغيير مواعيد تفقد المواقع واستمرت الزيارة وقامت الطائرات مرة أخرى بمهاجمة موقع آخر يقع ضمن المواقع المراد تفقدها في تلك الزيارة ، الأمر الذي أدى الى استشهاد بعض الأخوة المجاهدين.

وفي اليوم الثاني من الزيارة عندما رجع السيد جوبان الى وعيه بعد معالجته ، كان قد تحدث بمحاولة اغتياله وهروب الجندي الخوزستاني الى الجانب العراقي للقيام بهذه المهمة الخبيثة.

٦ - محاولات اغتيال بالمتفجرات

طيلة فترة وجوده في الجمهورية الإسلامية في إيران ، كانت الأجهزة الأمنية الإيرانية ، وحرس مكتبه يكتشفون في بعض الأحيان متفجرات معدة بأساليب متنوعة موضوعة قرب المكتب من أجل تفجيره.

وقد انفجرت بعض تلك العبوات في بعض الأزقة المجاورة لمكتبه.

كما ألفت الأجهزة الأمنية الإيرانية وطيلة السنوات السابقة القبض على أعداد من عناصر المخابرات العراقية المتسللين الى إيران اعترفوا بأنهم مكلفون من قبل نظام صدام للقيام بعمليات اغتيال ضد رموز المعارضة العراقية في إيران وعلى رأسهم سماحة آية الله السيد الحكيم رحمته الله.

٧ - محاولة الاغتيال في العاشر من محرم سنة (١٤٢٢ هـ)

قام النظام العراقي - حسب المعلومات الموثقة - بإرسال خمسة عناصر للقيام باغتيال سماحة السيد الحكيم في العاشر من المحرم عند قراءته لمقتل الإمام الحسين عليه السلام في مسجد الإمام الرضا عليه السلام في مدينة قم المقدسة ، حيث يجتمع عدة آلاف من العراقيين والبلاد الإسلامية الأخرى ، وأكدت المعلومات أنّ هناك تدريبات تمت للقيام بذلك ، ولكن تم احباط هذا المخطط من خلال اتخاذ تدابير أمنية خاصة بعد أن كان قد اقترح المسؤولون الأمنيون إلغاء البرنامج وإصرار سماحة السيد الحكيم على إجرائه حفظاً للجانب المعنوي وإجراء الشعائر بصورة طبيعية^(١).

(١) إطلالة على السيرة الذاتية، محمد هادي: ص ٣٨ - ٧٠ .

الفصل السابع

المواقف والإنجازات

١- موقفه من الولاية والجمهورية الإسلامية

طرح سماحته منذ بداية تصديه للعمل السياسي تقريباً أن تكون المرجعية الدينية هي الاطار العام الصالح للعمل السياسي والاجتماعي وقد عمل بالفعل مع استاذة الإمام الشهيد السيد محمدباقر الصدر عليه السلام في هذا الاطار سواء في ظل المرجعية الدينية العامة للإمام الحكيم عليه السلام أو في ظل المرجعيات الدينية الأخرى بعد وفاة والده الإمام الحكيم.

وقد أصبح هذا التحرك السياسي في هذا الاطار أكثر وضوحاً بعد أن توصل الإمام الشهيد الصدر الى تبني مبدأ الولاية العامة للفقهاء ، هذا المبدأ الذي جسده الثورة الإسلامية في إيران من خلال قيام الولي الفقيه بإقامة الدولة الإسلامية ، وقد تبني سماحة آية الله السيد الحكيم العمل على بناء تيار سياسي واضح في اطروحاته ، ومقوماته الأساسية العملية والإسلامية ومنهج أهل البيت عليهم السلام ، ورموزه وموارده الثقافية ، وجماهيرته بعد استشهاد الشهيد الصدر عليه السلام ، وذلك من خلال القيام بعمل ثقافي واسع وتعبئة سياسية وجهادية جماهيرية ، وإيجاد المؤسسات السياسية والجهادية والإعلامية والاعلامية ، والخدمية التي تتبنى خط ولاية الفقيه وقيادة العلماء والمرجعية. كما تمكن أن يحقق انجازات ونجاحات كبيرة في هذا المجال ، بحيث أصبح هذا التيار

الإسلامي أقوى التيارات السياسية الإسلامية في الساحة العراقية بل هو أقوى التيارات السياسية على الإطلاق.

وقد واجه من أجل ذلك الكثير من الصعوبات والعناء ، وقد صاغ ذلك كله - ولأول مرة - ضمن صيغة نظرية اسلامية شاملة للتحرك السياسي مستنبطة من الكتاب الكريم وسيرة المعصومين عليهم السلام والسنة الشريفة ، واستفاد في ذلك من أفكار وسيرة المراجع العظام الذين عاشهم وهم الإمام الحكيم ، والإمام الشهيد الصدر ، والإمام الخميني قدس الله أسرارهم .

وقد دوّن ذلك في عدة من مؤلفاته المنشورة وغيرها ، منها: دور أهل البيت عليهم السلام في بناء الجماعة الصالحة ، ونظرية الشهيد الصدر عليه السلام في التحرك السياسي ، والنظرية الإسلامية في التحرك السياسي ، والمرجعية الدينية الصالحة ، والمرجعية الدينية السياسية ، وغيرها.

وقد استطاع من خلال الاستقامة على الطريق ، والصبر على المكارِه ، والتضحية العالية ، والجهود المتواصلة ، والوضوح في الطرح ، والدقة والشمول في تناول القضايا أن يبني خط المرجعية الدينية ، وهو الخط الذي كان له دور كبير في تفعيل حركة الساحة السياسية العراقية الإسلامية في مواجهة نظام الطغيان والاستبداد الطاغوتي في بغداد. كما كان لحركته وأفكاره آثارها في الساحات الإسلامية الأخرى.

لقد ساهمت شخصية الإمام الخميني عليه السلام في تقديم النموذج الصالح للولي الفقيه الجامع للشرائط الذي يجمع بين المرجعية الدينية في الفتيا والمرجعية الدينية السياسية الاجتماعية ، وما تمكن من انجازه في اقامة

الدولة الإسلامية وإيجاد النهضة الإسلامية العامة قد ساعد في انجاح اطروحة
خط المرجعية وقيادة العلماء التي يعبر عنها عادة بخط ولاية الفقيه.

وبعد وفاة الإمام الخميني عليه السلام استمر سماحته على نفس المنهج النظري
والعملي في الايمان بخط الولاية وما يترتب على ذلك من آثار عملية في
ساحة العمل السياسي ، ومع مراعاة مواقع الخصوصية العراقية وظروف
ساحة الصراع السياسي.

وقدم عملياً وسياسياً الصيغة الواقعية للتحرك السياسي الاقليمي المنسجم
مع مبدأ الولاية العامة من ناحية والقبول داخلياً واقليمياً ودولياً ، وان الولي
الفقيه يتصدى عادة من الناحية العملية لقضايا المسلمين العامة تاركاً قضايا
الاقليم الخصوصية بصورة عامة الى المتصددين في تلك الساحات من واجدي
الشرائط ، وهذا هو المنهج الذي سار عليه الإمام الخميني عليه السلام وخلفه الصالح
آية الله السيد الخامنئي في القضية العراقية ، والقضايا الأخرى مع ممارسة
دور النصيحة والتسديد والاشراف العام. وقد كان لسماحته موقف متميز
تجاه الجمهورية الإسلامية فموقفه ينطلق من قاعدة كون هذه الجمهورية
تمثل الكيان الإسلامي الصالح الذي يجب الدفاع عنه ، وانها السند
الاستراتيجي للشعب العراقي المظلوم ، وكل الشعوب الإسلامية ، وانها
الكيان الإسلامي الوحيد الذي فتح الأبواب واسعة أمام حركة الشعب العراقي
للخلاص من الطغيان ، وتفاعل مع معاناته السياسية والانسانية وقدم له
المساعدات وضحي من أجل هذا الشعب.

واهتم سماحته بصورة خاصة بالتنسيق الجيد بين سياسات الجمهورية

الإسلامية في الشؤون الإسلامية العامة والخصوصية العراقية ومصالح الشعب العراقي الخاصة ، وتمكن من خلال ذلك أن يحافظ على المستوى الجيد من العلاقة الثابتة مع الجمهورية الإسلامية من ناحية واستقلال القرار ، والإرادة الإسلامية في الساحة العراقية داعياً المؤمنين الى التعامل مع الجمهورية الإسلامية على أساس هذه الخصوصيات.

وقد مارس على الصعيد الداخلي في إيران دوراً مهماً في توثيق علاقة الجمهور الإيراني بالقضية الإسلامية في العراق ، وذلك من خلال حركة واسعة من القاء المحاضرات والخطابات في صلاة الجماعة والجمعة ، والحضور في الأحداث ومختلف المناسبات والمقابلات واللقاءات العامة والخاصة والصحفية. كما قام بدور مهم في العمل على حل الكثير من مشكلات العراقيين الموجودين في الجمهورية الإسلامية ، وعلى الصعيد الاقليمي مارس دور تقريب وجهات النظر بين الجمهورية الإسلامية وجيرانها من دول الخليج وغيرها ، حيث كان يوضح دائماً حقيقة الموقف الإسلامي الأصيل لإيران في الدفاع عن مصالح الإسلام ، ومصالح شعوب المنطقة مؤكداً على نيتها الصادقة في تحسين العلاقات مع الدول العربية والإسلامية ، وشعوبها ، والتعاون من أجل المصالح العليا للمسلمين ، كما كان يدعو مسؤولي هذه الدول الى تفهم الوضع في إيران بعيداً عن تأثير الضغوط الدولية لايجاد العداوة بين إيران وجيرانها.

وفي أيام الحرب الظالمة التي شنتها النظام الصدامي ضد الجمهورية الإسلامية ، كان سماحته يحضر بين آونة وأخرى في ساحات الحرب ويصل

الى الخطوط الأمامية كتعبير رمزي لإدانة العدوان الذي مارسه النظام العراقي ضد الإسلام والشعب الإيراني ، وللإعراب عن الاستعداد للتضحية من أجل المحافظة على الكيان الإسلامي وصد العدوان ، ولرفع معنويات المقاتلين الإيرانيين والعراقيين في تلك الجبهات.

ولا يمكن في مثل هذا المختصر بيان تفاصيل كل الأعمال التي قام بها سماحته في الدفاع عن الإسلام ، والكيان الإسلامي الأصيل والمحافظة على العلاقة الوطيدة بين الشعبين المسلمين العراقي والإيراني وضمان الدعم والاسناد للقضية العراقية ومؤسساتها.

٢- دوره في تأسيس المجلس الاعلى للثورة الاسلامية في العراق وذراعه العسكري فيلق بدر

آمن سماحته بالجهاد بكل انواعه السياسية والعسكرية وغيرها، وقد قام ﷺ بعدة خطوات لتحقيق ما آمن به، فشكل جماعة العلماء المجاهدين ثم مكتب العراق لقيادة التحرك السياسي ثم خطى خطوة كبيرة ومهمة حينما قام مع اخوته المجاهدين بتأسيس المجلس الاعلى للثورة الاسلامية في العراق، هذا الكيان الذي رعاه وبذل في سبيله جهوداً مضنية وتحمل من اجل نجاحه وصبر على عقبات قل من يتحمل مثلها الى أن اوصله الى شاطئ الأمان، فاعترفت به دول الجوار بل العالم كله، بعد أن أصبح املاً لدى اهلنا المجاهدين في الداخل.

وكما آمن ﷺ بالجهاد في الساحة السياسية، كان معتقداً بان الكفاح المسلح

الذي يتحرك جنباً الى جنب مع النضال والجهاد السياسي هو الطريق الوحيد الذي يمكن به مواجهة نظام العفالقفة في بغداد ، بعد أن تجاوز كل الحدود وارتكب كل المحرّمات وصعد هجمته الوحشية ضد الوجود الإسلامي في العراق من خلال القرار بتصفية هذا الوجود ، وكان تشريع قوانين الاعدام واستشهاد الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر عليه السلام وصحبه الأبرار ، ثم ملاحقة ومطاردة كل الوجودات الإسلامية ، من الأدلة الواضحة على هذا القرار ، ولذلك فإنه طرح منذ البداية فكرة تنظيم المقاومة المسلحة ضد النظام وتدريب أبناء الشعب العراقي على الأعمال العسكرية داخل العراق ، ويجاد التنظيم العسكري المدرب والمسلّح وذلك من خلال الاستفادة من فرصة الحرب العدوانية.

وانطلاقاً من هذا الايمان ومن الاعتقاد بأن أي أمة مظلومة لا يمكن أن تصل الى حقوقها المشروعة إلا من خلال وجود القوة القتالية المنظمة التي تمكنها من الدفاع عن وجودها وذلك في عصر أصبحت فيه القوة والتضحية هي التي ترسم الطريق لتحقيق الأهداف ، وقد أعلن منذ بداية الثمانينات التعبئة العسكرية للعراقيين المتواجدين في إيران ، وقد انخرط فيها منذ البداية عدد من العراقيين وهو وان كان محدوداً ، ولكنه كان يمثل البذرة الصالحة لوجود هذا التنظيم العسكري الذي تمكن أن يشارك في القتال مع القوات الإسلامية في الدفاع عن الكيان الإسلامي.

وكانت تجربة فريدة وموفقة لم يسبق لها مثيل في التاريخ ، ثم تطوّرت الأمور أكثر ، ومن خلال الثقة بهذه التجربة ونجاحها ولا سيما وانها اقترنت

مع تضحيات وتفاني واندفاع وشجاعة المقاتلين العراقيين الذين تمكنوا من استلام بعض الخطوط الدفاعية الأمامية في جبهات القتال.

ثم جاء تأسيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق عام (١٩٨٢م) ليشكل الغطاء السياسي لمثل هذه التجربة العسكرية ويفتح الباب للمشاركة الأوسع للجماهير العراقية وللمجاهدين العراقيين فيشارك العدد الكبير منهم وبمختلف المستويات في جبهات القتال وأصبح الجهاد والاشتراك في الجبهة معياراً مهماً وأساسياً من معايير تقويم الأشخاص.

لقد استطاع سماحته أن يخرج التواجد العراقي في جبهات القتال ضد النظام من حالته الرمزية الى واقع حقيقي فترسخت بذلك مبادئ الشهادة وحبها، والاندفاع في القتال من أجل الحق والدين وأصبح شعار المؤمنين هو الدفاع عن الإسلام ونصرة المظلومين، والأخذ بشأر الشهيد الصدر عليه السلام وتحرر العراق من النظام الطاغوتي الحاكم.

وقد تطورت هذه المجاميع فيما بعد الى فوج ثم أصبحت لواء، ثم أصبحت فرقة، ثم أصبحت الفرقة فيلقاً مباركاً يعرفه القاصي والداني.

وقد كان سماحته الجندي المضحّي الذي واكب هذا التطور في كل خطواته ومراحله، وتحمل آلامه ومعاناته وتواجد معه في جبهات القتال وفي الانتصارات وفي المعسكرات، وفي المخيمات والأوساط الجماهيرية ومحافل الشهداء، ومواقع التعبئة، وقدم الغالي والرخيص من الوقت والمال والجهد وتهيئة الامكانيات والغطاء السياسي، والمعنوي، والثقافي.

ومنذ توقف الحرب العراقية - الايرانية أصبح قائداً عاماً للقوات

المسلحة العراقية فبذل جل مساعيه من أجل تطوير الفيلق واعداده القتالي وتجهيزه بالأسلحة الضرورية ، وقد شهد الفيلق خلال السنوات التي أعقبت انتهاء الحرب طفرات نوعية في الأداء والأعمال والعدّة والعدد ، بعد أن كان يتوقع له الضمور والانكفاء بسبب انتهاء الحرب وكان ذلك بتوفيق الله تعالى وصمود المجاهدين وجهود سماحته ورعاية الولاية العامة.

لقد واجه العديد من المشكلات والصعوبات ، لكنه تعامل مع كل ذلك بروح الرعاية الأبوية لكل المقاتلين ، حيث يؤكد سماحته على ضرورة الاهتمام بالمحافظة على هذا الوجود المبارك ، وبرفع الروح القتالية ، ونبذ الاختلافات الجانبية التي تصرفنا عن عدونا الرئيس صدام ونظامه الاجرامي ، كما يؤكد على ضرورة الاهتمام بكل الطاقات وعدم التفريط بها ، وبقاء هذه القوة الجهادية المنظمة وقفاً للقضية الإسلامية وللعراق ولكل العراقيين ، وان اختلاف القوميات والمذاهب والمستويات والظروف ، واختلاف الآراء ووجهات النظر يجب أن تكون وسيلة للتعبير عن شمولية هذه القوة وقدرتها ، والتي يجب أن تشيد على أساس وحدة الروح الايمانية والعقيدة السياسية الإسلامية الأصيلة والأهداف الصالحة النبيلة التي بذلت من أجلها ، والجهود والتضحيات ودماء الشهداء الأبرار.

ويمثل هذه الروح الايمانية الأبوية العالية استطاع سماحته أن يحافظ على وحدة الفيلق ، ويحفظه من الهزات الكبيرة التي حاولت أن تعصف به من خلال مؤامرات الأعداء كالنظام وعملائه والمنافقين وزمرتهم ومن حسد الحاسدين وكيد الكائدين ، وضعف العزيمة والإرادة بسبب طول المدة وشدة المحنة.

٣ - موقفه من انتفاضة (١٥) من شعبان عام (١٤١١هـ)

منذ أن اندلعت انتفاضة الخامس عشر من شعبان وفي ساعاتها الأولى أعلن سماحته حالة الطوارئ في كل التشكيلات القتالية والسياسية ، واتخذ القرار بالوقوف الى جانب الشعب العراقي في حركته هذه، والحضور في مواقع المواجهة ، وقد أصبح الجميع في حركة عمل دائبة يواصلون وهو معهم في العمل الجهادي في الليل والنهار عملاً وتواصلًا مع تطورات الانتفاضة. فعلى الصعيد العسكري ساهم الفيلق مساهمة فعالة ومهمة في اسناد ودعم الانتفاضة ويمكن أن نقول فيها اجمالاً انه بذل كل الجهود الميسورة لديه في الدفاع عن الشعب العراقي وحركته.

وعلى الصعيد السياسي تحرك سماحته من خلال اللقاءات مع سفراء الدول الذين تقاطروا على مكتبه ، وكذلك مراسلي وكالات الأنباء ووسائل الاعلام في توضيح صورة ما يجري في داخل العراق.

وكان أول من أصدر بياناً دعا فيه العراقيين في الخارج الى تشكيل لجان لإغاثة أبناء شعبنا في داخل العراق ، وقد تأسست لجان عديدة لهذا الغرض استطاعت أن توصل مساعداتها الى أبناء شعبنا في مختلف أنحاء العراق ، وكذلك أبناء شعبنا اللاجئين الى إيران ، والكويت والسعودية.

لقد كان سماحة آية الله السيد الحكيم رحمته من القلائل الذين توقعوا قيام النظام العراقي بتفجير أزمة جديدة يحاول من خلالها أن يغطي على فشله في الحرب العدوانية ضد الجمهورية الإسلامية ، وكانت الكويت مرشحة للغزو

في نظره حيث أشار الى ذلك في رسالته الى الأمين العام للأمم المتحدة قبل الغزو بأكثر من عام.

كما كان من أوائل من أدان وشجب هذا العمل العدواني ، وفي الوقت نفسه كان يرى بأن التدخل الأجنبي في هذا الصراع سوف يجبر المنطقة والعراق الى مخاطر حقيقية. وقد دون ذلك في أحاديث عديدة ، كما انه كان يتوقع على خلاف الكثيرين بأن النظام سوف لا يسقط بمجرد شن الهجوم الجوي عليه وان الغرب وأمريكا سوف تحافظ على النظام.

ولكن بالرغم من ذلك كله كان يرى في مثل هذا العمل المفروض على المنطقة فرصة لتحرك الشعب العراقي واسناده في مواجهة النظام ، وقد اتخذ سماحته وسائر الاخوة المجاهدين عدة اجراءات أساسية وسياسية وعسكرية للوقوف الى جانب الشعب العراقي في هذه المحنة ، لا مجال للحديث عنها. وقام بزيارتهم في مناطق تواجدهم والتقى بهم ، وتحدث معهم حديث القلب الى القلب مقويماً فيهم العزيمة على المواجهة.

وفي نفس الوقت قام سماحته بالعمل على عقد مؤتمر واسع للمعارضة العراقية ، فعقد في بيروت وشارك فيه مع سائر القوى الإسلامية المساهمة في المجلس الأعلى بوفود وكلمات ، وكان المؤتمر يهدف الى توفير الغطاء السياسي المناسب لحركة الشعب العراقي ، كما قام في الوقت نفسه بتنسيق العمل مع القوى الكردية في شمال العراق وحثها على المساهمة في الانتفاضة لتحقيق الضغط على المناطق الوسطى والجنوبية وصولاً الى اسقاط النظام.

كما تحرك على الصعيد الدولي طالباً من المجتمع الدولي بأن يبذل مساعيه وجهوده من أجل منع النظام الصدامي من ارتكاب المزيد من المجازر ضد أبناء شعبنا، وقد كتب رسائل وبرقيات الى رؤساء الدول والأمين العام للأمم المتحدة بهذا الخصوص. كما كان سماحته يواصل مراقبته للأوضاع مصدراً لتعليماته الى كل الأجهزة العسكرية والسياسية والاعلامية المنضوية تحت قيادته لتتحرك بالصورة التي تتناسب مع الأحداث، وقد أدان سماحته التواطؤ الأمريكي مع نظام صدام في الأيام الأولى للانتفاضة، حيث قدمت القوات الأمريكية المساعدة للنظام وسمحت لطائراته بقصف المتفضين في مختلف المحافظات العراقية وتزويد تلك الطائرات بالوقود.

٤- دوره في تأسيس وتطوير المقاومة الإسلامية

وعلى الرغم من تمكن النظام من قمع الانتفاضة في أغلب المحافظات، وأخذ اليأس يدب في نفوس الكثير من الأوساط السياسية، وفي نفوس الناس بصورة عامة، ولكنه بقي صامداً يؤكد على ضرورة استمرار المقاومة ضد النظام، وان الانتفاضة لم تفشل كما كان يقول عنها أعداء الشعب العراقي وأصحاب النفوس الضعيفة، بل ان الانتفاضة بدأت في الحقيقة، ولا بد أن تستمر من خلال مرحلة الحركة الجماهيرية الواسعة وانتقالها الى الحركة القتالية المنظمة، وان النظام المجرم في العراق لا يمكن مواجهته إلا بالعمل القتالي المنظم.

وقد بدأت المقاومة الإسلامية بفضل الصمود والإصرار والتوجهات التي

كان يصدرها سماحته تتطور باتجاه التوسّع في الامتداد الجغرافي ، وكسب المزيد من القواعد الشعبية ، وتنفيذ العمليات النوعية التي أصبحت في الكثير من المواقع تهدد النظام واستقراره.

وقد أثبتت المقاومة قدرتها على الصمود والاستمرار وأصبحت هي الحقيقة الميدانية القائمة الآن على الساحة العراقية في مواجهة النظام بالرغم من كل الجهود الخبيثة والاجراءات الارهابية التي بذلها النظام في محاولاته للقضاء عليها وبالرغم من مؤامرات الاستكبار العالمي وبعض دول المنطقة.

ان اهتمام سماحته بالمقاومة الإسلامية وتطوير عملها ينطلق من حقيقة إيمانه بالدور الحاسم الذي يمكن أن يلعبه الشعب العراقي في عملية التغيير ، حيث يعتقد سماحته ان الذي ينجز العملية التغييرية في العراق هو الشعب العراقي ذاته بالاعتماد على الله سبحانه وتعالى ، وعلى قدراته وطاقاته وشجاعة أبنائه.

٥- تأثيره في حركة التّوايين

منذ أن شن النظام الصدامي الحرب ضد الجمهورية الإسلامية ، وتدفق الأعداد الكثيرة من الأسرى العراقيين الى إيران ، كان سماحته يبدي اهتماماً كبيراً بهؤلاء العراقيين المقهورين لأنهم جزء من شعبنا المضطهد الذي اشترك في الحرب ضد الدولة الإسلامية بسبب التضليل أو بسبب القهر والاضطهاد. ومن أجل ذلك فانه كان يعتقد ان الأرضية مهياة لإعداد وتأهيل هؤلاء العراقيين بالرغم من ظروف الحرب والأسر ليكونوا جنوداً للإسلام ،

وقد كان لجهود الأثر الكبير في تأسيس لجنة رعاية الأسرى ، والتخفيف من محتهم وتطوير أوضاعهم المعاشية والادارية ، وتأسيس اللجنة الثقافية التابعة لها.

وابتداً منذ ذلك الحين بارسال العلماء والمثقفين الرساليين ليمارسوا دورهم التبليغي في أوساط الأسرى وتوضيح الحقائق ، كما ان سماحته زار جميع معسكرات الأسرى العراقيين مرات عديدة ، وكان يتحرك في أوساطهم ويتعاش معهم معرضاً نفسه لكثير من الأخطار التي قد تنجم عن قيام بعض العناصر المجرمة في أوساطهم من رجال المخابرات بممارسة الاعتداء على سماحته أو اغتياله.

وقد استقرت هذه الحركة عن نشوء حركة ايمان واسعة وأصيلة في أوساط الأسرى تطورت بالتدرج من اعلان البراءة من نظام الطاغية صدام الى المطالبة بالمشاركة في جبهات القتال ، وبإصرار لا نظير له في تأريخ الحروب.

وقد واجه هذا المطلب الفريد والشريف والغريب صعوبات شديدة ، حيث كان من الصعب اقناع المسؤولين في الجمهورية الإسلامية باطلاق سراح الأسرى للمشاركة في مثل هذا العمل الحساس والخطير بناء على طلبهم.

لكن جهوده الحثيثة أسفرت عن اقناع المسؤولين الايرانيين عن اطلاق العدد الكبير من الأسرى الصالحين وعلى شكل دفعات ووجبات بعد أن تمكنت جهود هؤلاء المؤمنين والتوايين أن تجسد الحقيقة بمختلف الصور

والأساليب والفعاليات ، وبناء على ذلك فقد شاركوا في جبهات القتال بحماس وإيمان وعقيدة راسخة ، ونال العشرات منهم شرف الاستشهاد دفاعاً عن الإسلام ومن أجل تحرير العراق من الطغمة الصدامية الحاكمة.

إن تجربة التوايين المجاهدين ، هي تجربة فريدة في تاريخنا المعاصر ، إنها فريدة في هذا التحول والعودة السريعة إلى الذات والإصرار والأصالة التي تمتع بها العراقيون ، وفريدة في منح الإيرانيين ثقتهم بمصداقية هذا التحول ، وفريدة أيضاً في طبيعة الجهود الكبرى التي بذلها سماحته من أجل أن لا يشعر الأسرى العراقيون أنهم غرباء في إيران ، بل إن هناك من أبناء جلدتهم من يعتني بهم ، ويجمعهم ، ووفر لهم المعاملة الحسنة.

إنها قصة تحتاج إلى حديث واسع وتتضمن مشاهد ومراحل ونتائج وآثار تعبر عن صفحة مجيدة في تاريخ الشعب العراقي. كان يقول عنها سماحة السيد الحكيم إنها حركة بدأت وسوف لن تتوقف حتى يأذن الله بالنصر على نظام الطاغية والاستبداد^(١).

٦- المؤسسات الثقافية

والى جانب نشاطاته السياسية الكبيرة ، فقد أولى سماحته للقضايا الثقافية الإسلامية اهتماماً كبيراً ، فكان له دور كبير في إنشاء مؤسستين إسلاميتين عالميتين:

الأولى: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية حيث احتل فيه

(١) اطلالة على السيرة الذاتية ص ٩٤-١٠٨.

موقع رئيس المجلس الأعلى لهذا المجمع.
 والثانية: المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام حيث احتل فيه موقع نائب
 رئيس المجلس الأعلى لهذا المجمع.
 كما بادر سماحته الى تأسيس مركز دراسات تاريخ العراق الحديث في
 مدينة قم المقدسة.
 كما قام بتأسيس مؤسسة (دار الحكمة) التي تضم مدرسة دينية حوزوية
 ومركزاً للنشر ، ومركزاً آخر للبحوث والدراسات ، ومكتبة علمية تخصصية.
 كما قام بتأسيس مجمع الكوادر الإسلامية لتربية الكوادر الإسلامية
 والقيام بالنشاطات الثقافية السياسية^(١).

٧- آراء ومبادئ

الاسلام اطار لوحدة الشعب العراقي: يؤمن أشد الإيمان بأن الإسلام هو الاطار
 الأفضل الذي يمكنه أن يوحد حركة الشعب العراقي ، ويضمن الحقوق
 الكاملة لجميع القوميات والمذاهب والأقليات ، وانه يمثل هوية الشعب
 العراقي المسلم ويحترم الأقليات وقد حافظ على وجودها منذ الصدر الأول
 للإسلام وحتى اليوم.

القيادة: كان يعتقد ان القيادة هي اختصاص الانسان الصالح الذي يكون
 عارفاً بالشريعة الإسلامية على مستوى الاجتهاد ، ومتصفاً بالصبر والشجاعة
 والدراية السياسية والاجتماعية والتصدي للأنظمة الجائرة ، وان يتم اختيارها

(١) إطلالة على السيرة الذاتية، محمد هادي: ١٣ - ٣٠.

بالانتخاب الطبيعي من الأمة في مرحلة ما قبل الحكم وعن طريق الاقتراع في مرحلة ما بعد الحكم.

حقوق الانسان: كان يؤمن بضرورة صيانة الحقوق الأساسية للانسان ، كالحرية الفكرية والسياسية وحرية الرأي ، والحرية الشخصية ، ضمن الضوابط الإسلامية ، وكذلك الدور المتوازن للفرد والدولة في الاقتصاد ، وله في هذا المجال بحوث فكرية وبيانات سياسية ، وجهها الى الجهات العالمية المهتمة بحقوق الانسان ، وقد كان له دور خاص في تأسيس واسناد منظمات حقوق الإنسان في العراق ، والتحرك في مجال اللجان المختصة التابعة للأمم المتحدة.

الحكم ورأي الشعب: كان يؤمن بأن اختيار شكل الحكم وأساليه والحاكم -الذي يجب أن يتصف بالمواصفات الخاصة من العلم والتقوى والخبرة السياسية والمواصفات الأخلاقية الحميدة - لا بد أن يمر عبر رأي أكثرية الشعب العراقي المسلم ومن خلال الانتخاب الحر والمباشر ، وقد عبّر عن إيمانه هذا بتصرفاته الكثيرة والصريحة في هذا المجال كما كتب بحثاً قيماً في هذا الموضوع.

الكفاح المسلح : يعتبر آية الله السيد الحكيم عليه السلام ان الأصل في العمل التغيير هو الحوار والعمل الثقافي والسياسي وابلاغ الرسالة بالحكمة والموعظة الحسنة ، ومن خلال البلاغ وحرية الرأي والفكر ، ولا يصح اللجوء الى العمل المسلح إلا في حالات الدفاع عن النفس تجاه ظلم الأنظمة

الدكتاتوريات التي تحاول أن تفرض وجودها وبقائها بالقوة وبالاعتداء على الحقوق الأساسية للإنسان ومصادرة حريات الشعب ، وتمارس التصفية الجسدية للمعارضة ، ولا يصح أن يطل العمل المسلح الأبرياء في هذه الحالة.

وان المرحلة الفعلية التي يعيشها الشعب العراقي هي مرحلة المقاومة المسلحة لأن النظام قد حارب الاسلام باستخدام القوة وقتل الأبرياء والدعاة الى الله وشرّد الآلاف من الناس، ويقتل على قول كلمة الحق ، ولا يسمح بالعمل السياسي والإعلامي الحر ولا يمكن مواجهته إلا بأسلوب المقاومة المسلحة.

الأقليات القومية والدينية: كان يؤمن آية الله السيد الحكيم رحمه الله بضرورة احترام الأقليات القومية والدينية وحقوقها العامة وضمان وحدة العراق وبالطرق الدستورية ، ويؤمن بضرورة اعطائها حقها في ممارسة معتقداتها الدينية ، كما يؤمن بوحدة الأرض العراقية ، ويقف ضد أي نشاط لتجزئة أو تقسيم الأرض العراقية ، كما انه يدعو الى الوحدة الإسلامية بين المذاهب والطوائف الإسلامية ، وهو يقف ضد كل جهد يدعو الى الطائفية السياسية أو الدينية.

النظام الدولي القائم: كان يعتقد ان النظام الدولي يجب أن يتجه نحو توحيد الحياة الانسانية وانهاء جميع الفوارق العنصرية أو الطبقية أو ممارسة الاستغلال والهيمنة ، واحترام الحقوق الأساسية للإنسان والمبادئ والقوانين والمواثيق الدولية ، وكذلك احترام الحقوق الدينية للأديان السماوية والبنية الاجتماعية للإنسان القائمة على أساس الأسرة والحقوق المتساوية

والمبادلة بين الرجل والمرأة ، وان تقوم العلاقات مع الحكومات على أساس المصالح المتبادلة والاحترام المتقابل واحترامها لحقوق الانسان تجاه شعوبها ومقدار تمثيلها لهذه الشعوب ، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية ، وضرورة معاقبة المعتدي ، ومحاكمة مجرمي الحرب ومجرمي الشعوب ، وأهمية حسن الجوار بين الدول والعمل على الغاء الفوارق بين الشمال والجنوب ، واحترام ارادة الشعوب ، ونصرة المضطهدين والمحرومين ، والوقوف الى جانب حركة التحرر العالمي وقضايا المحرومين وقضايا حقوق الإنسان.

قوى المعارضة العراقية: كان يرى أهمية الانفتاح في العمل والتعاون الميداني مع جميع قوى المعارضة العراقية المخلصة الحقيقية التي تسعى للخلاص من النظام الجائم على صدر العراق وتحترم الشعب وعقيدته ، كما يرى ضرورة توحيد موقفها من القضايا الأساسية من أجل نجاح عملية التغيير.

القضية الكردية: كان يرى ضرورة حل المشكلة الكردية في العراق حلاً سلمياً على أساس منح الحقوق المشروعة لهم في إطار الاخوة الإسلامية بين العرب والأكراد وبقية القوميات ، ووحدة الأرض العراقية ، والمصالح الوطنية المشتركة ، ويمكن أن يتم ذلك في صيغة الحكم الذاتي الحقيقي أو الفيدرالية الإدارية وبقرار من الشعب العراقي عندما يملك حرية الاختيار.

المرأة: كان يؤمن بأن للمرأة دوراً مهماً في الحياة الاجتماعية ، فهي الى جانب كونها تؤدي دور التربية للأجيال وتنشئتهم النشأة الصالحة ، فإنها أيضاً تستطيع أن تقف الى جانب الرجل في مجمل الحركة الاجتماعية والسياسية وفق الضوابط والأصول التي حددها الاسلام لحركتها على هذا الصعيد.

مبادئ كان يؤمن بها: * كان يؤمن بوجود دور متميز يمكن أن يقوم به علماء الدين في الأمة سواء على مستوى التصدي السياسي أو التوعية والتعبئة السياسية والثقافية.

* كان يؤمن بالعمل المنظم وأهميته في توظيف طاقات الأمة وتحقيق مصالحها والوصول بها الى حقوقها المشروعة ولا سيما في مجال المقاومة المسلحة ، ويرى ضرورة أن يكون العمل المنظم في خدمة قضايا الشعب العامة ، وأن يكون التنظيم بعيداً عن التحزب والفئوية ، بحيث يكون حمل هم قضية الشعب العراقي هو محور العمل السياسي ، ويكون العمل المنظم هو المؤسسة التعبوية للجماهير والنواة الصلبة في حركتها.

* كان يؤمن بالعمل الجماهيري والقوة الهائلة التي يملكها الشعب في المواجهة وأهمية التحرك من خلال طرح المشاكل الفعلية الهامة التي يعاني منها الشعب والانطلاق منها الى بقية التفاصيل^(١).

(١) اطلالة على السيرة الذاتية ص ١١١-١١٦.

الفصل الثامن

**قيادة المعارضة العراقية
باتجاه الأهداف الرسالية**

نداءات وبيانات

رسم قائد الثورة الإسلامية في العراق الخطوط العريضة والتصوّرات الدقيقة للتحديات التي يواجهها عراق الإسلام والدول الإسلامية في هذه المنطقة، والحلول الإسلامية والإنسانية التي يلزم الاهتمام بها وتوحيد الصف من أجل تحقيقها رغم المؤامرات التي يخبئها المستعمرون المستكبرون لأرض العراق الإسلامية وللدول الإسلامية في المنطقة.

وتعكس هذه النداءات والبيانات همومه وطموحاته وجهوده المبدئية التي كان قد بدأها منذ تصدّى للعمل الإسلامي ولقيادة المسيرة الثورية ضد البعث الكافر في العراق. كما تعكس مواكبه للأحداث وتطوراتها وتنبؤه واستشرافه للمستقبل وتطلّعاته التي كانت تجعله في موقع القدوة التي لا بديل لها في هذا الوضع السياسي والتاريخي والحضاري الحساس.

وتبدأ هذه النداءات بمؤتمر المعارضة في لندن قبل سقوط النظام العفلقى بأربعة أشهر، وآخرها بمناسبة الهجوم الأمريكي - البريطاني. وقد تبعها نداءات وبيانات وخطب أخرى واكبت المسيرة الثورية الجماهيرية حتى آخر لحظات حياته المباركة.

- ١ -

كلمة سماحة آية الله السيد محمد باقر الحكيم
 رئيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق إلى
 مؤتمر المعارضة العراقية المنعقد في لندن ١٠ / ١٢ / ٢٠٠٢ م -
 الموافق ٦ شوال ١٤٢٣ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم
 والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين وأصحابه المنتجبين.
 أيها السادة المؤتمرين..
 أيها الأخوة والأخوات الأعزاء..
 السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..
 أرحب بجميع السادة الأعضاء المشاركين، وبالضيوف الأماجد
 المحترمين وأشكرهم على المشاركة وإتاحة هذه الفرصة الثمينة للحديث في
 هذا الجمع المبارك، وأرجو أن أكون موفق فيه ومفيد لنا جميعاً.
 كما أحى باعتزاز جميع السادة الأفاضل على الجهود الاستثنائية التي
 بذلوها لتنظيم هذا المؤتمر (الفريد) في تاريخ المعارضة العراقية الذي
 تمكنت أن تنظمه وتموله وتضع برنامجه بنفسها، وتوحد صفوف الأغلبية
 الساحقة لقواها الفاعلة في الساحة العراقية.
 إن هذا العمل يمثل وحده إنجازاً عظيماً للمعارضة تعبر عن إرادتها

وقدرتها واستقلالها، كما سوف تعبر به - إن شاء الله - عن رؤيتها وموقفها وبرنامجهما العملي لرسم المستقبل.

إنّ هذا المؤتمر العظيم يعقد في ظروف بالغة الحساسية، كما تحف عراقنا الحبيب - بسببها - مخاطر جسيمة وتضعنا أمام تحديات كبيرة تفرض على مؤتمرها أن يحدد الموقف النظري والعملي تجاهها بوضوح ويعدّ العدة لمواجهتها.

أما الظروف بالغة الحساسية فهي:

أولاً: أن العالم أصبح يدرك بصورة اجماعية أن النظام العراقي يمثل مشكلة حقيقية لا يمكن تحملها للشعب العراقي وللمجتمع الدولي، وأن التغيير في العراق لا بد أن يكون حتمياً، ولكن الخطير هو أن التغيير للنظام وللوضع السياسي الذي يتوقعه الجميع، إنما هو تغيير عن طريق استخدام القوة العسكرية.

وثانياً: انتشار اسلوب العنف والتطرف السياسي واستخدام القوة كوسائل رئيسية في العمل السياسي ورد الفعل في الحرب الشاملة ضد الارهاب. ثالثاً: احتدام الصراع في القضية الفلسطينية ليتحول إلى صراع تدمير وقتل عام للفلسطينيين، وتداعيات ذلك على المستوى الاقليمي والدولي. رابعاً: استعدادات النظام الداخلية التي تقوم على أساس استخدام الشعب العراقي كدروع بشرية لمواجهة الهجوم العسكري المتوقع ضد النظام العراقي.

وأما (المخاطر) فهي وإن كانت كثيرة ولكن يمكن الإشارة إلى العناوين

البارزة منها:

- ١ - الخسائر والأضرار البشرية والمادية الواسعة.
 - ٢ - الفراغ السياسي والحكم العسكري البديل الخارجي أو الداخلي.
 - ٣ - الهيمنة الخارجية على مقدرات العراق وثرواته وفقدان السيادة الوطنية.
 - ٤ - الفوضى والاضطراب في الأمن العام بسبب الفراغ الأمني.
- ولذلك فنحن الآن أمام (تحديات) كبيرة وصعبة يواجهها شعبنا وقواه السياسية الحقيقية لا بد من الوفاء بعهودها ومواثيقها التي التزمنا بها أمام الله وأمتنا في العراق ويمكن تلخيصها في النقاط التالية:
- ١ - المحافظة على القيم والمثل والمبادئ التي تؤمن بها في الرسائل الإلهية وفي إسلامنا العزيز واحترام شعائره والاستلهام من مثله وقيمه.
 - ٢ - المساهمة الحقيقية من الشعب العراقي وقواه الفاعلة في إدارة الصراع وعملية التغيير بما يجنب الشعب العراقي أكبر قدر ممكن من الأخطار وإنقاذه من الحكم الدكتاتوري العنصري الطائفي وأضرار الحرب الفادحة.
 - ٣ - إدارة الحكم في العراق بعد إسقاط النظام في المرحلة الانتقالية والسيطرة على الأمن العام في البلاد وتطبيق القانون فيها.
 - ٤ - طمأننة المخاوف الداخلية التي تشعر بها الجماعات التي تشكلت مكونات الشعب العراقي تجاه مصيرها وحقوقها وبناء علاقات الأخوة الإسلامية والوطنية في نظام يضمن الحقوق للجميع ويحافظ على وحدة

العراق والعراقيين.

٥- الرجوع إلى إرادة الشعب في الإدارة ونظام الحكم والمشاركة الشعبية الدستورية في القرار السياسي والاجتماعي وتشكيل الحكومة الوطنية التمثيلية.

٦- الموقف السياسي والعملي الموحد لقوى الشعب العراقي لرفض كل ألوان الهيمنة والحكم الأجنبي أو المساس باستقلال العراق وسيادته، والالتزام بوحدة العراق ومصالح شعبه.

إننا نعتقد - ومن خلال دراسات مكثفة ومشاورات واسعة بين مختلف أوساط وقوى الشعب العراقي - أن مواجهة هذه الأخطار والتحديات في مثل هذه الظروف الحساسة تحتاج إلى رؤية واضحة وبرنامج عملي يركز على أسس قوية ومتينة تشكل (الضمانة) الواقعية لنجاح هذه المواجهة.

وهنا أطرح بعض هذه الأسس والمرتكزات، وآمل من مؤتمر المؤتمر أن يأخذ بها ويوليها أهمية خاصة.

الأول: وحدة المعارضة العراقية في خطابها السياسي وموقفها العام تجاه الأحداث والظروف الحساسة والمخاطر الجسيمة والتحديات الصعبة، وذلك بأن يخرج هذا المؤتمر:

١ - برؤية واضحة وشفافة للفترة الانتقالية والنظام المستقبلي ومواقف تجاه الأخطار والتحديات بحيث لا تفسح مجالاً للتأويل والتفسير والاحتواء.

٢ - باختيار لجنة قوية بعناصرها ومعتمدة بدرجة عالية لتتحمل مسؤوليات المرحلة القادمة وتأخذ بزمام المبادرة فيها.

الثاني: اشترك القوى السياسية الحقيقية العراقية بما تملك من إمكانات وطاقات واسعة في عملية التغيير وإدارة الصراع ومهمات الدفاع الوطني والضبط الأمني والأداء الصحيح والحضور الفعال والاستقلال في القرار.

الثالث: ملأ الفراغ السياسي في المرحلة الانتقالية بحكومة وطنية تمثل الشعب العراقي وقواه السياسية الفاعلة وعدم فسح المجال لأي بديل آخر، والتعاون في هذا المجال مع الشرعية الدولية والمجتمع الدولي لتحقيق ذلك.

الرابع: إقامة المجتمع المدني الذي يلتزم بوجود المؤسسات السياسية الحرة والمتعددة والصحافة الواعية التي تعمل على فرض رقابة شعبية وممارسة دور بناء في التوعية والترشيد، وذلك من خلال دستور يقره الشعب العراقي يقوم على أساس التعددية السياسية والانتخابات الحرة ومجالس الشورى (البرلمان) والرأي الواحد لكل فرد عراقي والفدرالية لجميع العراقيين.

الخامس: مساهمة العراقيين بجميع طوائفهم وأعرافهم في مواقع القدرة وتحمل المسؤوليات وأداء الوظائف والواجبات.

السادس: تجديد بناء الجيش العراقي ليكون للعراق وجميع العراقيين، وتوضيح دوره التكاملي مع المؤسسة السياسية في الدفاع عن الوطن وبناء العراق الجديد وإيجاد الوحدة الحقيقية بينه وبين القوى الشعبية المسلحة ليتحول الجميع إلى دور الدفاع عن الوطن والنظام ومصالح الشعب العراقي لا مصالح الفئدة أو الطائفة أو الجماعة.

السابع: احترام الخصوصيات القومية والمذهبية والدينية والاعتراف بها

دستورياً في إطار الوحدة الوطنية والقانون.

الثامن: احترام المواثيق والعهود والقرارات الدولية وميثاق الأمم المتحدة والعضوية فيها وفي المنظمات العربية والإسلامية مثل الجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي والتضامن معها في المواقف والمصالح المشتركة التي تهتم العالم العربي والإسلامي.

التاسع: إقامة علاقات حسن الجوار والتعاون البتاء مع الدول المجاورة والالتزام بحدودها وسيادتها وعدم التدخل في شؤونها الداخلية.

العاشر: التعاون مع المجتمع الدولي في القضايا العالمية الهامة مثل الحرب ضد الإرهاب العالمي، ونزع أسلحة الدمار الشامل، والجرائم ضد الإنسانية أو جرائم الحروب، وحقوق المرأة وحقوق الإنسان وغيرها، بما يعبر عن قيمنا وأخلاقنا وحضارتنا الإسلامية الأصيلة التي تدعو إلى الحق والعدل والسلم والأمن والاستقرار وكرامة الإنسان والمساواة، والتعاون على البر والتقوى ليرجع العراق إلى موقعه الطبيعي العالمي.

إنّ المجتمع الدولي ومنه الولايات المتحدة الأمريكية يقف أمام امتحان عسير وكبير في مدى مصداقيته تجاه هذه القضايا الهامة وتجاه قضية الحرب ضد الإرهاب، وقضية حماية الشعب العراقي والمنطقة من الأخطار التي تواجهه على يد النظام الحاكم المستبد وتطبيق قرارات مجلس الأمن.

إنّ مساعدة الشعب العراقي في تحريره وفي حمايته من الدكتاتورية والعنصرية والطائفية التي يمارسها النظام الحاكم ضده هي من الواجبات التي تفرضها المواثيق الدولية وقرارات مجلس الأمن، ولكن المطلوب هو التعامل معها بصدق وشجاعة لا تترك مجالاً للمخاوف والإثارات التي

تداولها الأوساط السياسية والشعبية في العراق والعالم العربي والدولي والتي تتحدث عن وجود مبررات أخرى وراء ذلك غير نزع أسلحة الدمار الشامل وتحرير الشعب العراقي.

وهذه المبررات الأخرى هي الهيمنة السياسية والعسكرية على العراق، أو الانطلاق بالحرب من قواعد جديدة لتتطال دولاً مجاورة للعراق، أو الاستحواذ على الموارد النفطية العظيمة التي يتمتع بها العراق.

إننا نحتاج إلى وقفة عراقية شجاعة تعبر عن الاستعداد الحقيقي للتعاون مع المجتمع الدولي في مختلف المجالات المشروعة، وعن الرفض المطلق لكل هذه الاحتمالات للمخاوف التي تثار حول العراق ومستقبله.

أيها المؤتمرون الأكارم:

إننا بحاجة شديدة من أجل تنفيذ هذا البرنامج والالتزام بهذه الأسس والمرتكزات إلى إرادة قوية وموقف شجاع وروح عالية، وأن نستمد من الله تعالى في ذلك العون والمساعدة، وننظر إلى مصالح العراق وشعبه قبل أن ننظر إلى مصالحنا الخاصة.

نسأله تعالى أن يوفقنا جميعاً لذلك، وأن يحقق النصر والعزة والكرامة والرفاه والطمأنينة لأمتنا في العراق، والأمن والاستقرار لجميع الشعوب. وشكراً لكم مرة أخرى وللدولة المضيفة ولجميع الأعضاء والضيوف والمساهمين في إعداد هذا المؤتمر. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٦ شوال محمد باقر الحكيم

١٤٢٣ هـ

- ٢ -

بيان سماحة آية الله السيد محمد باقر الحكيم
رئيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق إلى الملتقى
السنوي للحجاج مكة المكرمة - ذو الحجة الحرام ١٤٢٣ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَائِسَ وَالْفَقِيرَ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفْتَهُمْ وَلِيُؤْفُوا نَذْوَرَهُمْ وَلِيُطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾^(١)
صدق الله العلي العظيم

السلام عليكم أيها الأخوة المؤمنون...

السلام على حجاج بيت الله الحرام ورحمة الله وبركاته..

أبارك لكم - في البداية - هذه العبادة الشريفة، وأرجو منه تعالى لكم فيها التوفيق والقبول.

ان عبادة الحج من أركان الاسلام وتمتاز بميزات ومواصفات خاصة لا بد للحاج أن ينتبه إليها ويستفيد منها، حيث يجمع الحج أبعاد مختلف العبادات الإسلامية كالصلاة والصوم والزكاة والجهاد، مضافاً إلى ما فيه من أبعاد اجتماعية يعبر عنها هذا التجمع العظيم للمسلمين على صعيد واحد.

(١) الحج / ٢٧-٢٨.

وحجاج بيت الله الحرام ينتمون إلى أقطار متعددة، ومستويات اجتماعية واقتصادية متفاوتة، ولغات وألوان مختلفة، ويذكرنا هذا المشهد الانساني بيوم المحشر، حيث يجمع الناس في ظل الله تعالى (يوم لا ظل إلا ظله) للحساب والثواب والعقاب.

الحج هو فرصة الإنسان المؤمن الفريدة في التوبة وطلب المغفرة والعتق من النار، وهو فرصته للعلم والمعرفة، لتحديد العهد والميثاق والبيعة مع الله تعالى ورسوله وأهل البيت (عليهم السلام) وأولياء الأمر، وهو فرصة الإنسان المؤمن المسلم للتعرف على شؤون المسلمين وهمومهم وقضاياهم، وهو أيضاً فرصة الإنسان المؤمن في استئناف العمل والعزم على سلوك طريق الحق والهدى والخير والصلاح.

أسأل الله تعالى أن يوفقكم لأفضل الأعمال وخيرها، وأن يبارك لكم وفيكم ويتقبل منكم أعمالكم.

لقد كنت ولا زلت أيها الأخوة الأعزاء في أشد الشوق للقاءكم السنوي هذا لأجدد العهد بكم وأعبر عن مشاعري وعواطفني ومودتي تجاهكم، وأتبادل الحديث والهموم والرأي معكم، وأنتهز الفرصة الثمينة للعبادة والدعاء والمناجاة والتزود من ينابيع هذا الورد الصافي النقي، ولكن شاء الله تعالى أن أكون محروماً من كل ذلك في هذه السنة بسبب الظروف الحساسة التي نعيشها جميعاً بترقب انتظار وتهيؤ، حيث كنت إلى آخر لحظة أوازن بين أمرين، اللقاء بكم أو البقاء في موقع العمل، فاختر الله لنا البقاء، وأرجو منه تعالى أن لا يحرمني من الأجر والثواب ومن أدعيتكم البارة ومودتكم

الحارة.

وحيث انتهى الحديث بنا إلى الظروف الحساسة ومواقع العمل، أود بهذه المناسبة أن أشارك معكم في لقاءنا السنوي بهذا الحديث المدون لأستعرض فيه عدة نقاط رئيسية أرى أهميتها البالغة في الوقت الحاضر:

أولاً - الحرب وتداعياتها

إن جميع المؤشرات السياسية والمادية والميدانية في الداخل والخارج وعلنى المستوى الاقليمي والدولي تؤكد ان الحرب قادمة، وهي بالرغم من رفضنا لها ويكاد أن يشاركنا في هذا الموقف العالم بأجمعها، لكنها أصبحت حقيقة واضحة بيّنة، وأصبح التغيير في العراق أمراً لا بد منه في نظر جميع دول العالم، لأنّ النظام الحاكم في بغداد أصبح مشكلة حقيقية لا يمكن أن يتحملها العالم، وهذا ما كنا نتحدث عنه منذ البداية.

إنّ تداعيات الحرب سوف تكون خطيرة - بالرغم من تحقيقها لهدف محلي واقليمي ودولي مشترك، وهو التخلص من نظام صدام الدكتاتوري العنصري والطائفي الوحشي.

ومن تداعياتها:

أ - الدمار وتهديد الأرواح البريئة والبنية التحتية لمقدرات العراق، بسبب نوايا النظام السيئة وأهداف أمريكا السلطوية.

ب - فقدان الأمن في داخل العراق وفتح الأبواب أمام العنف، والعنف

المضاد.

ج - التسلّط والهيمنة الخارجية على العراق ومقدّراته، القصيرة أو الطويلة الأمد.

ومن أجل ذلك كان رأينا أن يقوم الشعب العراقي بمهمة التغيير بدعم واسناد من الدول العربية والإسلامية وبحماية دولية، وقدّنا مشروعاً متكاملأً في هذا المجال، ولكن القوى الدولية والاقليمية - إلا القليل منها - امتنعت عن تأييد هذا المشروع، إما لضعفها أو لعدم تطابقه مع مصالحها، فكان أن فرضت الولايات المتحدة الأمريكية هذا الموقف - لأنها الدولة الوحيدة القادرة على شن مثل هذه الحرب.

ثانياً - أبعاد التغيير

التغييرات المصيرية في النظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي، حيث أنّ النظام الحاكم في العراق هو نظام فريد في المنطقة والعالم بما يتصف من دكتاتورية مطلقة وعنصرية وطائفية وحشية، ويتوقع أن يشهد العراق تغييرات أساسية في عدة أبعاد:

أ - الحرية السياسية النسبية (الديمقراطية).

ب - الاهتمام بحقوق الأقليات العرقية والدينية.

ج - العلاقات المفتوحة مع أمريكا وأوروبا، بعد أن كان ينظر إليها أنها دول استعمارية.

د - العلاقات بين مكونات الشعب العراقي وحقوقهم وصيغة المشاركة بينها في النظام السياسي وإدارة البلاد، والتي كانت صيغة الفدرالية لكل

العراق هي الصيغة التي اعتمدها مؤتمر المعارضة العراقية.

ثالثاً - الخيارات المطروحة

لقد كان أماننا في هذه الظروف الحساسة عدة خيارات رئيسية، هي:

١ - المشاركة في الحرب إلى جانب الولايات المتحدة للخلاص من

النظام.

٢ - الوقوف في وجهها والدخول في معركة معها إلى جانب النظام.

٣ - الوقوف موقف الحياد السياسي تجاه هذه المعركة غير الشريفة.

٤ - الوقوف إلى جانب حركة الشعب العراقي من أجل الخلاص من

الاستبداد والطغيان والاستمرار في العمل والصمود والصبر واستثمار جميع
الفرص من أجل ذلك.

لقد كان خيارنا الشرعي والسياسي والأخلاقي هو الخيار الرابع الذي

يحقق لنا الهدف والحفاظ على حريتنا واستقلال إرادتنا وعزتنا وكرامتنا

ومصالح شعبنا، ولذلك لأنّ النظام يدافع عن وجوده في الحكم دون أي رعاية

لمصالح الشعب، وإلا لاختار التنحي عن السلطة استجابة لرفض الشعب له في

انتفاضة شعبان عام ١٤١١ هـ كما أنّ الولايات المتحدة تعمل من أجل

مصالحها وأهدافها الخاصة في الهيمنة على مقدرات البلاد والاستيلاء على

النفط وإشاعة الفساد في الأرض.

رابعاً - مساعينا لتجسيد هذا الخيار

لقد قمنا بعدة خطوات لتجسيد هذا الخيار من الناحية الواقعية والعملية، وهي خطوات ذات طابع استراتيجي ثابت لا بد من الاهتمام بها على مستوى جميع الأوساط:

الأول: التوجه للبناء الداخلي وتأكيد الثقة بالله تعالى والتوكل عليه وتقوية العزم والارادة، سواء على مستوى الأفراد أو المؤسسات، وتحكيم العلاقات والصلة وتنسيق المواقف وتوثيق الالتزام بين القوى والجماعات والمؤسسات الإسلامية الصالحة.

الثاني: توحيد جهود القوى السياسية للمعارضة العراقية، سواء في خطابها السياسي أو رؤيتها المستقبلية أو دورها في التغيير، وإيجاد التحالفات بين جميع مكونات الشعب العراقي لتأكيد وحدة العراق وشعبه وأهدافه، والتعبير عن الموقف والصف الواحد تجاه النظام أو الموقف الدولي.

الثالث: إعلان الاستعداد العام في جميع المؤسسات والقوى العاملة في الساحة التي ترتبط بنا أو تتأثر بمواقفنا، والعمل على تعبئتها وتنظيمها وتهيئتها للقيام بالأعمال المطلوبة بالقدر الممكن.

الرابع: القيام بالتحرك السياسي على المستوى الاقليمي ولا سيما الدول المجاورة للعراق، ودعوتها للوقوف إلى جانب الشعب العراقي في هذه المعركة وعدم الاكتفاء برفض الحرب والضغط على النظام لتنفيذ قرارات الأمم المتحدة واتخاذ موقف الحياد السلبي، بل ضرورة التحول إلى الحياد

الإيجابي الذي يتمثل بالعمل مع الشعب العراقي للتخلص من النظام الذي يعتبر المشكلة الحقيقية وعدم فسح المجال للهيمنة الأجنبية.

كما قمنا بفتح الحوار مع الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا الغربية وغيرها من الدول لتوضيح مواقفنا وعكس رؤية الشعب العراقي - كما نعرفها - من الأحداث والتغيير والمستقبل.

الخامس: السعى لتنظيم الأمة وتوعيتها على الأهداف والحقوق والواجبات المطلوبة منها في هذه المرحلة.

السادس: التركيز على أهمية وحدة الموقف والقيادة في هذه المرحلة على مستوى القرار والتخطيط العام، والدعوة إلى أن تقوم الأمة بالمبادرة إلى إدارة النشاطات وتنفيذها بصورة لا مركزية، بحيث يتناسب مع الظروف المحيطة بها وتطوراتها.

إن هذه الخطوات ولمساعي لا زالت مستمرة ومطلوبة من جميع الأوساط والقوى السياسية، وأوساط الأمة.

خامساً - الأمة ودورها في التغيير والمستقبل

إن الخيار الرابع في دعم حركة الشعب العراقي من أجل الخلاص يفرض أن يكون للأمة الدور الأساس في عملية التغيير، وفي الاستعداد لملىء الفراغ السياسي والأمني الذي قد يواجهه العراق في المستقبل.

فبدل أن يستمر الصراع في العراق بين النظام والقوى الأمريكية الغازية، أو يتحول الصراع إلى صراع التحرير بين الشعب والمحتلين، لا بد أن تقوم

الأمة بالاستعداد والتهيؤ للقيام بدورها في التغيير وفي إدارة الأمور في المستقبل.

إنّ العمل في هذا المجال لا بد أن يأخذ مسارين رئيسيين:

أحدهما: مسار القوى السياسية الموجودة في الساحة العراقية، وهي القوى الموجودة في خارج سلطة النظام، وكان مؤتمر المعارضة العراقية هو أحد المبادرات المهمة لتشخيص هذا المسار وتحقيق هذه المشاركة في التغيير والمستقبل.

والمسار الآخر: هو مسار القطاعات الواسعة للأمة الموجودة في الداخل والخارج، وهي تمثل القسم الأعظم من وجود الأمة وطاقتها التي يجب توظيفتها بصورة فعالة في تحقيق هذين الهدفين الرئيسيين (التغيير والمستقبل).

سادساً - واجبات الأمة في هذه المرحلة

إنّى أوجه ندائي لجميع إخواننا وأعزائنا من أبناء الشعب العراقي أن يستعدوا ويتهيؤوا لممارسة دورهم وأداء تكليفهم وواجبهم الشرعي والأخلاقي والسياسي، وذلك من خلال تشكيل لجان (الانقاذ والولاء) في الداخل والخارج لتحقيق الأهداف المقدسة التي يسعى إليها الشعب العراقي طيلة العقود السابقة، والتي تحقق التغيير الصالح وترسم المستقبل المنشود في (الحرية والاستقلال والعدالة).

وهنا أشير إلى بعض معالم وخطوط هذه الواجبات المهمة في هذه

المرحلة:

١- قيام أبناء الشعب بعد الاستعانة بالله تعالى والتوكل عليه - بتنظيم أنفسهم من خلال اللجان على أساس الخطوط الاستراتيجية العامة التي أشرنا إليها في مساعينا وعلى ضوء الأهداف التي سوف أشير إليها في شرح وتفسير شعاراتنا (الحرية والاستقلال والعدالة).

٢- التحرك على عدة مستويات:

أ - الإخوان والمعارف الموجودين في الخارج وذلك للتوعية والتفهم والتنظيم.

ب - مراكز القرار الدولي وخصوصاً الأمم المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا الغربية والدول العربية والإسلامية لعكس وتوضيح موقف الشعب العراقي تجاه هذه الأحداث والتطورات.

ج - الأمة في داخل العراق، حيث يفرض عليها النظام حصاراً سياسياً وإعلامياً ويمارس تجاهها ضغوط الارهاب والتخويف وذلك من أجل دعم موقفها ورفع معنوياتها وتعبئتها للقيام بدورها الأساس.

٣ - الالتفاف حول القيادة الإسلامية والاستماع إلى توجيهاتها والالتزام بها، فإن حركتنا هي شرعية ودينية قبل كل شيء.

٤ - إسناد وتقوية المؤسسات الإسلامية الشرعية الموجودة والفاعلة.

٥ - المحافظة على الأمن العام للنهضة والأمن العام للناس، واجتناب أعمال الانتقام والثأر.

٦ - مقاومة الهيمنة الخارجية والتسلط الأجنبي بكل الوسائل المشروعة.

٧ - المحافظة على الأموال العامة والمواد الضرورية، كالنفط والغذاء والدواء والمؤسسات الخدمية.

٨ - الاستفادة من جميع الطاقات الصالحة والتجارب السابقة وفتح باب التوبة والعفو من ناحية، والحذر من المندسين والأعمال المضادة والمحافظة على الأسرار.

سابعاً - الأهداف العامة

إن أهدافنا العامة يمكن أن نلخصها بالحرية والاستقلال والعدالة. ويحسن بنا ونحن نعيش في هذه الأجواء العطرة في رحاب بيت الله الحرام أن نقف قليلاً عند هذه الأهداف الثلاثة، لنبين مضمونها الحقيقي ومصاديقها المرحلية.

الحرية

عندما نتحدث عن الحرية لا بد أن نعرف منذ البداية أن الحرية الحقيقية هي توحيد الله تعالى والتحرر من جميع العبوديات الأخرى للآلهة المزورة التي يخلقها الإنسان لنفسه، وكذلك التحرر من الشهوات والخوف والطمع والمستبدين، وبذلك نؤكد إيماننا بالله تعالى وبرسالته وأنبيائه المرسلين وبالهدى الذي جاءوا به للناس ليخرجوهم من الظلمات إلى النور، وبالرسالات الإسلامية الخاتمة، وبالخيار الإسلامي الذي ينسجم مع طموحات وتوجهات شعبنا المسلم في العراق.

كما نؤكد في هذه الحرية على العزة والكرامة الإنسانية واعتماد النظام والادارة على إرادة الشعب الحرة بعيدة عن الاضطهاد والعنف والارهاب أو الاغراء والتضليل.

ونرفض بصورة قاطعة الدكتاتورية للفرد أو الحزب أو الطائفة أو الطبقة أو العشيرة أو البلد، كما نرفض الحكم العسكري، أو الحاكم العسكري الأجنبي، أو الحكم المفروض من الخارج.

وعندما نتحدث عن الاستقلال لا بد أن نتحدث عن استقلال إرادتنا في اختيارنا دون تبعية، وعن استقلال وطننا دون هيمنة خارجية حتى من الأمم المتحدة، أو تدخل في شؤونه الداخلية، وعن استقلال شعبنا دون انتقاص وتسلط وضغوط، وعن استقلال ثرواتنا، وعن كرامتنا وعزتنا وسيادتنا.

إن تاريخ العراق المجيد وأهله وموقف اسلامنا وعلماثنا السابق واللاحق يؤكد على أن قضية الاستقلال من أهم القضايا المقدسة في العراق، ونظام صدام المجرم الذليل وإن أساء إلى استقلال العراق بصورة واسعة، ولكن شعبنا العراقي لا يمكن أن يقبل بتسلط القوى الأجنبية، وأن التفكير في ذلك سوف تكون له عواقب وخيمة، وإن ما يجري في فلسطين من مقاومة وتضحيات وما نشهده من مآسى وآلام وما سبب ذلك من عنف وتدمير إنما كان سببه الأساس هو الاحتلال والهيمنة الصهيونية.

اننا نرى في الاستقلال أن يعود العراق إلى موقعه الطبيعي بين البلاد الإسلامية والعربية والمجتمع الدولي.

العدالة

وعندما نتحدث عن العدالة نرى فيها الهدف الأسمى للنظام الاجتماعي الذي دعت إليه الرسالات الإلهية، ولا زال المسلمون يتحدثون عن النموذج الأمثل في العدالة في حكم الرسول الأعظم (ص) وحكم الإمام علي (عليه السلام)، ويعتبرونه المثل الأعلى لهم.

فهم ينشدون بذلك العيش الكريم والتوزيع العادل للقدره بين مكونات الشعب العراقي، وللثروة بين الجنوب والشمال والوسط والغرب، والمشاركة في القرار السياسي وإدارة البلاد لجميع أبناء الشعب العراقي، ويرون فيها تحقيق الحقوق القومية والمذهبية، حيث أقرّ الاسلام والمواثيق الدولية هذه الخصوصيات والحقوق في إطار الوحدة الإسلامية بين المسلمين والوحدة الوطنية لجميع المواطنين، ويرون فيها الاصلاح الاجتماعي والاقتصادي والسياسي على مستوى الدولة والمجتمع.

كما يرون في العدالة تعويض جميع الأوساط التي تضررت من النظام والسياسات السابقة كأسر الشهداء والمفقودين والسجناء والمشرّدين في الداخل والخارج عما لحق بهم من أذى.

ويرون في العدالة إلغاء جميع سياسات التمييز الطبقي والطائفي والقومي والجغرافي.

ويرون في العدالة أيضاً ملاحقة المجرمين الذين اعتدوا على أرواح الناس وأعراضهم وأموالهم، وذلك من خلال المحاكم القانونية العادلة.

أيها الأخوة الحجاج الكرام..

يا أبناء شعبنا العراقي المظلوم..

إننا حين نتحدث عن هذه الأهداف والشعارات في هذه الأماكن المقدسة، وفي هذه الأجواء المعطرة بذكر الله تعالى وتلبية نداءه، نريد أن نؤكد أن أمتنا لا زالت متمسكة بإيمانها بالله تعالى ومبادئها وقيمها، وأن موقفها لا زال هو الموقف الثابت المستقيم الذي عبرت عنه هذه المسيرة المقدسة من خلال عهودها وتضحياتها ودماء شهداءها الأبرار وآلام المشردين والمعذبين المضحّين، واننا جميعاً لا بد أن نعاهد الله تعالى على هذا المنهج والمسير حتى يأذن الله تعالى لنا بالنصر والفرج، ونستعين به على هذا الأمر ونتوكل عليه ولنا الثقة وحسن الظن بالله تعالى وبأمتنا وشعبنا. ونسأله تعالى أن يحقق الآمال والأهداف ويعيننا على تحمّل هذه المسؤوليات، ويوفّق الجميع للمساهمة بجد وثبات وتضحية في هذه المسيرة، والله ولي التوفيق والنصر والسداد، وهو نعم المولى ونعم النصير. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

﴿والمصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق

وتواصوا بالصبر﴾

ذو الحجة الحرام محمد باقر الحكيم

١٤٢٣ هـ

- ٣ -

كلمة سماحة آية الله السيد محمد باقر الحكيم
رئيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق في إجتماع
لجنة المتابعة والتنسيق المنبثقة عن مؤتمر المعارضة العراقية
شباط ٢٠٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين وأصحابه
المنتجبين..

أيها السادة المجتمعون من أعضاء لجنة المتابعة والتنسيق..
بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
أرحب بجميع السادة الأعضاء وبالضيوف الأماجد، واشكر لكم جميعاً
على تحملكم عناء المشاركة على أرض الوطن الحبيب، كما أشكر الأخوة
المضيفين في كردستان الحبيبة، وأدعو الله سبحانه لكم بالسداد والتوفيق
والقبول.

أيها السادة الأعزاء..

انكم تجتمعون الآن في هذا الوقت الحساس وفي بلدكم الكريم تحاولون
أن تكملوا المسيرة والعمل الذي بدأت به في مؤتمركم السابق.
وهذا العمل - لو تم - يمثل إنجازاً آخر يضاف إلى إنجازاتكم السابقة

لتؤكدوا فيه إرادتكم المستقلة وعزيمتكم القوية ورؤيتكم الواضحة وقدرتكم العالية على العمل والنشاط.

وإني إذ أشكر لكم ذلك وهذه الفرصة الثمينة التي أتحتموها لي في الحديث، أود أن أشير بهذه المناسبة إلى عدة نقاط أرى من الضروري تأكيدها في هذا اللقاء مضافاً إلى القضايا الأخرى التي ذكرت في كلمتي السابقة .

أولاً: إن إكمال العمل الذي بدأه مؤتمركم العتيد في لندن يتوقف بصورة أساسية على تشكل لجان متابعة قوية وفاعلة بعناصرها وأهدافها، ومعتمدة بدرجة عالية لتتحمل مسؤوليات المرحلة القادمة وملء الفراغات السياسية المتوقعة، وأن تأخذ القوى السياسية الأصيلة دورها الحقيقي في تحمل المسؤولية الكبيرة في هذا المجال.

ثانياً: وجود برنامج عملي شامل يقوم على أسس قوية ومنتينة تقوم به وتتوزع عليه لجان المتابعة، ويعبر هذا البرنامج عن آفاق الإصلاح والتجديد السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعسكري الذي تريد أن تحققه القوى السياسية للمعارضة العراقية، فإن عراقنا الجريح هو بأشد الحاجة إلى الآفاق الجديدة والصالحة لهذا المستقبل بعد الكم الهائل من الدمار والخراب والتخلف الذي لحقه بسبب سياسة النظام الحاكم.

ثالثاً: ضرورة الإصرار والتأكيد والصمود والإستقامة على مبادئ احترام حرية واستقلال إرادة الشعب العراقي دون هيمنة أو وصاية أو قيمومة، ولا يمكن أن تتحقق الديمقراطية الحقيقية دون ذلك، والوقوف بقوة

وصلابة أمام أي محاولة لتجاوز هذه الإرادة أو الاستهانة بها والتقليل من قيمتها، أو الطعن في رشدتها وصلاحتها.

رابعاً: إنَّ الشعب العراقي الذي جاهد وناضل وكافح وقدم التضحيات العظيمة من الشهداء والمشردين والمغتربين طيلة العقود السابقة، وذلك من أجل أهدافه المقدسة في الحرية والاستقلال والعدالة والحقوق المشروعة، لهو على استعداد أيضاً للاستمرار في هذه المسيرة لمواجهة جميع التحديات الجديدة التي تقف أمام حركته وطموحاته، وإنَّ ضعف النظام وعزله وهوانه والإجماع العالمي على محاصرته والضغط عليه إنما كان بسبب هذه الجهود العظيمة التي بذلها الشعب العراقي في عملية الخلاص والإنقاذ من الطغيان والاستبداد، ولا يمكن لهذه الجهود إلا أن يكون لها استحقاقاتها الطبيعية في تحقيق هذه الأهداف المقدسة.

خامساً: إنَّ من أهم الأخطار التي نواجهها بسبب الحرب المتوقعة هو خطر الهيمنة الخارجية على العراق ومقدراته، مضافاً إلى الخسائر في الأرواح والممتلكات والبنية التحتية.

وإذا كان هناك مبرر حقيقي للحرب مقبول سياسياً وأخلاقياً، فإنما هو إنقاذ وخلص الشعب العراقي من نظام الدكتاتورية والعنصرية والطائفية، ومن الإرهاب والدمار الذي يمارسه هذا النظام ضد الشعب.

وإنَّ الهيمنة الأجنبية بعد الحرب هي من أعظم الأخطار على الشعب العراقي والمنطقة كلها، وإذا أردنا أن نصفها بعيداً عن (الاتهامات في النوايا التي يتحدث عنها العالم الآن وحديثنا له مبرراته المنطقية) فإن هذه الهيمنة

تمثل خطراً كبيراً له تداعياته المدمرة، ونحن نعيش الآن حالة القلق الشديد من ارتكاب خطأ آخر تقوم به الولايات المتحدة الأمريكية ودول أوروبا الغربية يشبه الأخطار السابقة الكبيرة التي تعترف بها الآن، ولكن بعد فوات الأوان.

كالخطأ الكبير في مساعدة النظام على قمع انتفاضة شعبان / آذار ١٩٩١، أو الخطأ الآخر في تأييد حركة طالبان التي أصبحت منظمة إرهابية ذات أبعاد دولية تكاد أن تكون سبباً في حرب عالمية ثالثة طويلة الأمد، أو الخطأ الثالث الذي ترتب عليه في حق شعوب المنطقة في العيش بأمن وسلام وحرية عندما قامت بدعم الحكومات الدكتاتورية القمعية على حساب الحرية والديمقراطية.

سادساً: إن لقاءكم هذا لا بد أن يُعبر بقوة عن رفضه لهذه الفكرة الخطيرة الساذجة، لما تنطوي عليه من أخطار جسيمة، يمكن أن أخصها بالأمر التالية:

- ١- إن الشعب العراقي ومعه شعوب المنطقة كلها وجميع الخيرين من أبناء العالم يرفضون بقوة إعادة أسلوب الاستعمار المباشر تحت شعارات الحرية والديمقراطية إلى الحياة السياسية في العلاقات الدولية.
- ٢- إن ذلك سوف يفسر بصورة طبيعية انه لون جديد من ألوان الحروب الدينية والعقائدية ضد الشعب العراقي والمنطقة، ويشير بدرجة عالية حساسية جميع الأوساط الدينية والوطنية.
- ٣- سوف يتحول ذلك - أيضاً - إلى عمل مضاد لإحدى مرتكزات

السياسة الاستراتيجية التي أعلنتها الولايات المتحدة في حربها ضد الإرهاب، وهي معالجة جميع أسباب أعمال العنف السياسي والإرهاب الدولي، فإن هذه الهيمنة سوف تكون - وبدون رغبة من أي طرف - سبباً من أسباب إثارة دوافع العنف والإرهاب وعملاً يفسح المجال لجميع قوى الشر أو التضليل أو الجهل لتجد الطريق أمامها مفتوحاً لبدء سلسلة جديدة من القهر والعنف والعدوان، وعلى حساب مصالح الشعب العراقي.

٤- إن الشعب العراقي ليس قاصراً ليحتاج إلى القيمومة والوصاية، وقد أثبت من خلال التجربة الناجحة في كردستان العراق انه يملك القدرة على إدارة أموره بنفسه.

كما أنّ وحدة الرؤية والموقف والإرادة المستقلة التي تجسدت في (مؤتمر المعارضة العراقية) خير دليل على قدرة قوى الشعب العراقي على التعاون فيما بيننا وتطور هذا التعاون في عمل جماعي مشترك، يشترك فيه السني إلى جانب الشيعي، والعربي إلى جانب الكردي والتركي والآشوري وغيرهم من الأقليات الأخرى، وابن كردستان إلى جانب ابن الجنوب والوسط والغرب، والعسكري إلى جانب المدني، وابن الريف والعشيرة إلى جانب ابن المدينة، والمقاتل في جبال كردستان إلى جانب المقاتل في أهوار الجنوب.

إنّ هذه الوحدة القوية لأبناء الشعب العراقي لا بد لنا أن نحافظ عليها إلى أقصى درجات القوة والحب والود والولاء والعمل الصالح والهموم المشتركة والمصالح العامة.

سابعاً: اننا في هذا اللقاء نحتاج إلى أن نتقاسم العمل الجهادي والسياسي في مسؤولياته وتضحياته وصلحياته ونشاطاته من خلال هذه اللجان لنجسد بذلك الرؤية المستقبلية التي تعاهدنا عليها - بإذن الله تعالى - ونخطو بها خطوة إلى الأمام، سواء في:

١ - مشاركة جميع العراقيين بجميع طوائفهم ومذاهبهم وأعرافهم في مواقع القدرة وتحمل المسؤوليات وأداء الواجبات.

٢ - احترام الخصوصيات القومية والمذهبية والدينية والاعتراف بها دستورياً في إطار الوحدة الوطنية والقانون.

٣ - التكامل في العمل الدفاعي بين المؤسسة السياسية والمؤسسة العسكرية، وإيجاد الوحدة الحقيقية بين القوى الشعبية المسلحة والجيش العراقي الجديد.

٤ - التعاون مع المجتمع الدولي في القضايا العالمية مثل الحرب ضد الإرهاب، وتحرير الشعوب المضطهدة، ونزع أسلحة الدمار الشامل، والجرائم ضد الإنسانية، وحقوق الإنسان عامة والمرأة خاصة بما يعبر عن قيمنا وأخلاقنا وحضارتنا الإسلامية الأصيلة التي تدعو إلى الحق والعدل والسلم والأمن وكرامة الإنسان والمساواة.

وإن قضية فلسطين والقدس الشريف وتحريرها من الاحتلال تأتي في مقدمة هذه القضايا.

إننا في الوقت الذي نؤكد استعدادنا الشجاع للتعاون مع المجتمع الدولي في جميع هذه القضايا نؤكد أيضاً موقفنا الراض للاحتلال والتسلط

والهيمنة.

أيها الأخوة الأعزاء..

أيها السادة الأفاضل...

إننا أمام امتحان عسير وتحدي كبير وخيارات صعبة نحتاج فيها بعد الاستعانة بالله تعالى والتوكل عليه إلى وحدة الموقف وشجاعة القرار وقوة الإرادة والعزيمة وثبات الأقدام واستقامة الطريق والصبر والصمود أمام الضغوط، والحكمة في العمل وحسن الأداء.

أسأل الله تعالى أن يسدد خطاكم ويبارك لكم في أعمالكم ويحفظكم من كل سوء ومكروه، ويحقق النصر والفرج والاستقرار والأمن والرفاه لشعبنا العراقي، والله ولي التوفيق.
وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

١٥ ذو الحجة الحرام ١٤٢٣ هـ

محمد باقر الحكيم

- ٤ -

بيان سماحة آية الله المجاهد السيد محمد باقر الحكيم عليه السلام إلى
أبناء الشعب العراقي المظلوم بمناسبة حلول شهر محرم الحرام عام ١٤٢٤ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليك يا أبا عبد الله وعلني الأرواح التي حلت بفناءك، وأناخت
برحلك، عليك مني سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار ولا جعله الله
آخر العهد مني لزيارتكم، السلام على الحسين وعلني علي بن الحسين وعلني
أولاد الحسين وعلني أصحاب الحسين.

أيها الأخوة المؤمنون...

أيها العراقيون الحسينيون..

يا أبناء الشعب العراقي البطل..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

عظم الله أجورنا وأجوركم بمصاب أبي عبد الله الحسين وأهل بيته
الكرام وأصحابه الأبرار.

تمر علينا هذه الأيام ذكرى المصيبة العظمى والفاجعة الكبرى والملحمة
الإنسانية التاريخية والتي كانت ولا تزال تتجدد مع الأيام والليالي لتمد
الإنسان فيها بالهداية، والعزيمة، وتقدم له الدرس، والعبر. وتربط حاضره
بالماضي وتنير له طريق المستقبل.

وإننا والمسلمون في الوقت الذي نواجه فيه على مستوى العالم كله التحديات الكبيرة، نعيش ظروفاً بالغة الحساسية، حيث تتعرض فيها أمتنا الإسلامية إلى هجوم واسع من قبل قوى الاستكبار العالمي ويتعرض شعبنا العراقي بصورة خاصة إلى أخطار فادحة في مقدمتها استعدادات النظام بذريعة مواجهة الحرب الأمريكية وقوى التحالف - لتدمير العراق وإنزال أكبر قدر من الخسائر في الأرواح والبنى التحتية للعراق. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تعد الولايات المتحدة الأمريكية العدة لاحتلال العراق والسيطرة على مقدراته لتقييم حكماً عسكرياً أمريكياً بذريعة السيطرة على الأوضاع الأمنية ونزع أسلحة الدمار الشامل ومحاربة الارهاب وبناء الديمقراطية على الطريقة الأمريكية.

كما تتعرض في الوقت نفسه الحقوق المهضومة لعامة أبناء الشعب العراقي إلى الأخطار مرة أخرى سواء في كردستان العراق أو جنوبه أو وسطه.

ولذلك لا بد للشعب العراقي والشعوب الإسلامية الأخرى أن يضع أمامه الأهداف الثلاثة التالية:

أولاً: الخلاص من الاستبداد والطغيان الداخلي الذي يمارس من خلال الانتهاك للحرمات ومصادرة الحريات والاضطهاد القومي والطائفي والتمييز الطبقي ومختلف ألوان الفساد في الأرض.

ثانياً: مقاومة الهيمنة الأجنبية والحرب الصليبية الجديدة بثوبها المدني الزاهي والتي تتخفى تحت شعارات محاربة الارهاب والتطرف ولكنها في

الواقع تسعى لتدمير الثقافة الإسلامية والسيطرة على الثروات الطبيعية.
ثالثاً: الوقوف أمام هضم الحقوق العامة لغالبية أبناء الشعوب وممارسة
الظلم والعدوان على الطبقات المستضعفة واستغلالها وإبعادها عن دورها
الحقيقي في الحياة الاجتماعية وقمع إرادتها وحركتها باتجاه التطور والنمو
والاصلاح.
أيها الأخوة المؤمنون..

إنّ هذه الصورة القاتمة السوداء التي تواجهها أمتنا الإسلامية والعربية
والتي يمكن أن نجد مصاديق لها واضحة فيما يجري في فلسطين وما
يتعرض له شعبنا الممتحن وكذلك فيما يعانيه أبناء الشعب العراقي
ويتهديدهم من أخطار فادحة.. نرى بازاء هذه الصورة النور الهادي والوجه
المشرق للنهضة الحسينية التي كانت ولا زالت كالشجرة الطيبة المباركة
﴿أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين باذن ربها﴾ هذه النهضة التي لا
بد أن نستلهم منها الدروس والعبر في مختلف ميادين حياتنا الاجتماعية
والثقافية والروحية، كما اننا بأشد الحاجة إليها.

وبهذا الصدد أود أن أشير إلى بعض معالم هذه المجالات وإلى بعض
الدروس القيمة مما ينفعنا في حياتنا الحاضرة ومواجهتنا الفعلية.

الأول: أنّ النهضة الحسينية هي أفضل سبيل لما نحتاجه من تعبئة روحية
ومعنوية في الحرب النفسية التي يمارسها الأعداء ضد إرادتنا واستقامتنا من
خلال القمع والقتل والتشريد والارهاب واستعراض العضلات والامكانيات
العسكرية والتسليحية والضغط السياسي، حيث تمكنت هذه الثورة أن

تحقق النصر للدم والشهادة والصبر والصمود على الجيوش الجرارة للحكم الأموي وقدراته وإمكاناته العظيمة.

الثاني: إن النهضة الحسينية خير مورد ومعين لترسيخ القيم والمبادئ التي نحن والعالم كله بأشد الحاجة إليها، قيم ومبادئ الحق والعدل والعزة والكرامة والاستقلال والاصلاح بين الناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ورفض الظلم والطغيان والاستبداد.

الثالث: إن النهضة الحسينية خير مدرسة لتقديم الدروس الأصيلة في الأخلاق الإنسانية الربانية في مجال الفرد والمجتمع دروس الآباء والشجاعة والبذل والعطاء والرحمة بالناس والتراحم والتناصح والتواد في الله والتعاون على البر والتقوى والترفع عن شهوات الدنيا الدنية الفانية وطلب الآخرة الباقية، والصبر على الآلام والمحن والتوكل على الله تعالى والرضا بما قضى وقدر، والوفاء بالعهود والمواثيق من الأخيار ونقض العهود والغدر والخيانة من الأشرار.

الرابع: إن النهضة الحسينية تقدم لنا منهج الاسلام الواضح في السياسة والمجتمع في أهدافها وأساليبها وخططها ووسائلها في عصر تحوّلت فيه السياسة إلى الكذب والخداع والتضليل وإلى الهيمنة والتسلط والاستئثار.

الخامس: إن النهضة الحسينية لأفضل طريق ومنهج للتربية والتزكية والتطهير للمشاعر والعواطف الإنسانية لتتفاعل مع قضايا الحق والعدل ومع قضايا الاصلاح والخير، ومع قضايا الشعوب المستضعفة والتميز الطبقي والقومي وشراء الضمائر.

إنّ هذه المجالات للتأثير في الواقع المعاش والاستثمار للنهضة الحسينية في حياتنا المعاصرة تفتح أمامنا الآفاق الرحبة في عملية بناء الأمة وتجديد حياتها وإصلاح أمرها والوصول بها إلى المستوى العالي من الكمال والتطور، حيث تمكنت هذه النهضة أن تضع ذلك في الصدر الأول للإسلام، وهي قادرة - بإذن الله - على ذلك في هذا العصر وفي كل عصر وزمان.

لقد كشفت قضية الإمام الحسين عليه السلام ونهضته عن كثير من الحقائق والسنن التاريخية التي نحتاج أن نتعلمها ونفهمها في مواجهاتنا الواسعة التي نخوضها في العصر الحاضر.

الحقيقة الأولى: إنّ مقاومة الطغيان والاستبداد المطلق واجب شرعي لا يجوز التهاون فيه، وهو في الوقت نفسه أمر ممكن مهما اتسعت الظروف المحيطة بالإنسان بالقسوة والشدة أو المحاصرة والعزلة.

الحقيقة الثانية: إنّ البذل والعطاء والشجاعة لا بد أن تنتصر - بإذن الله - على القوة المادية مهما اختلت الموازنة بينهما، إذا اقترن ذلك بالاخلاص لله تعالى والتوكل عليه واستمداد المعونة منه، كما أن العزة والكرامة مرهونة بهذا البذل والعطاء.

الحقيقة الثالثة: إنّ إقامة الحجّة على الناس ومنهم الأعداء، وبذل الجهد في الحوار والبلاغ والنصيحة واجب شرعي وأخلاقي، كما أنه منهج إسلامي في الدعوة إلى الله تعالى مهما بدت أبواب العقول والقلوب موصدة والمواقف متصلبة وبعيدة عن الحق، أو متصفة بالعناد والانحراف والضلال، لأنّ الحقيقة من أجل أن تتضح وتنكشف للأجيال كلها لا بد أن تكون

مستندة لهذه الحجة والحوار.

الحقيقة الرابعة: إنَّ الوحشية والقسوة والاستهتار بالحرمان والكرامات من الصفات اللازمة للطغيان والاستبداد والانحراف والضلال للمرتدين والمنافقين في كل الأزمنة والعصور، ولا بد للدعاة والرساليين أن يضعوا في حساباتهم التعرض لذلك والتصدي بكل قوة لكسر شوكة الطغاة والمستبدين. الحقيقة الخامسة: إنَّ الصبر والصمود والاستقامة على الطريقة والشبكات على المبادئ والقيم والحق سوف يحقق الغلبة بالاسناد والتأييد الإلهي بقانون ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أُنَّ لَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشَرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ وبسنة ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾.

وإنَّ هذا النصر لا بد أن يكون مقرونًا بالامتحان والبلاء والتعرض للبأساء والضراء ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِ الْبِأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَزَلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصَرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصَرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ .

أيها الأخوة المؤمنون الحسينيون...

إنَّ الدماء الطاهرة الزكية التي أريقت على أرض العراق في مثل هذه الأيام اختلطت بتراب العراق ومائه وهواءه فأصبح العراق والعراقيون حسيين في كل عصر وزمان، وتحملوا مسؤولية هذا الدم الزكي الطاهر منذ الأيام الأولى، فبادروا إلى أخذ الثأر من جميع أولئك الذين شاركوا في هذه الجريمة التاريخية الشنعاء، ولم يكتفوا بذلك حتى حملوا مشعل هذه الثورة إلى مختلف أقطار العالم الإسلامي، والتزموا بمبادئها وقيمها في مواجهة الطغيان الداخلي والهيمنة الخارجية، وتمسكوا بحبهم لأهل البيت (عليهم

السلام) وللحسين وصحبه الاخيار وشعائره الحية.

وها هم الآن يواجهون التحديات الجديدة في هذا الوقت والزمان
ليعبروا مرة أخرى عن هذا الولاء والالتزام والعهد والميثاق.

فبعد أن صمد العراقيون في وجه الطغيان الداخلي لنظام العفالة
المجرمين الذين لم يشهد تاريخنا المعاصر مثيلاً لحكمهم الاستبدادي
العنصري الطائفي، وتمكنوا من أن يحافظوا على هويتهم وانتماؤهم إلى
الاسلام وأهل البيت (عليهم السلام) وإلى الحق والقيم والمثل يقدمون
مواكب الشهداء واحداً بعد آخر، والتضحيات الغالية تلو الأخرى، يواجه
العراقيون الآن تحدياً آخر في هذه الأيام وامتحاناً آخر عسيراً وهو
محاولات الهيمنة التي تبذلها قوى الاستكبار العالمي وفي مقدمتها الولايات
المتحدة الأمريكية، ولا بد لهم أن يتحملوا مسؤولياتهم الشرعية والأخلاقية
والإنسانية ليعتبروا مرة أخرى عن عزتهم وكرامتهم وتمسكهم بالحرية
والاستقلال والعدالة.

(حرية) الإيمان بالله تعالى وحده لا شريك له، والتحرر من كل ألوان
العبودية والأغلال والضغط.

و(الاستقلال) من الهيمنة الخارجية والارادة المستقلة في تقرير المصير
واختيار الأصلح والاعتماد على النفس والذات دون وصاية خارجية وهيمنة
أجنبية.

و(العدل) في العلاقة مع الله والنفس والإنسان الآخر والمجتمع والطبيعة
ليحولوا العراق إلى عراق الأمن والاستقرار والرفاه والإعمار والأخوة
الإسلامية والوحدة الوطنية التي يشارك فيها الجميع لتحقيق الأهداف
الصالحة.

إنّ هذه الأهداف الصالحة لا يمكن أن تتحقق للعراقيين إلا من خلال الاخلاص لله في العمل والالتزام بالوظيفة الشرعية والأخلاقية ووحدة الكلمة والصف، والارادة القوية، والتمسك بالأرض، وتقديم المصلحة العامة على المصالح الخاصة الشخصية أو الفئوية، والوعي للظروف والحذر من الأعداء وخدمهم وأضاليلهم، والثبات على المبادئ، والمقاومة للطفانيان والهيمنة والفساد، والالتفاف حول القيادة الصالحة، وتنظيم الصفوف وتوزيع المسؤوليات والأدوار وأخذ زمام المبادرة، وتحمل المسؤولية كل من موقعه الخاص، وبذل الجهد وتحمل المصاعب، واستمداد العون والنصر من الله تعالى.

وإني أدعو نفسي وجميع إخواني العراقيين وجميع المخلصين والأولياء الصالحين أن يأخذوا بهذا المنهج الإسلامي الأصيل في مواجهة الأحداث والتطورات الحساسة الصعبة التي نواجهها في الأيام القريبة، ومنها أخطار الحرب والصراع الشرس غير الشريف الذي يدور الآن بين النظام المجرم وقوى الهيمنة الخارجية.

وإنّ على إخواننا العراقيين جميعاً عسكريين وإداريين ومدنيين في المدن والأرياف ولا سيما أبناء القوات المسلحة ورؤساء العشائر العراقية و (قوى المقاومة الإسلامية) أن يبذلوا كل جهودهم وما في وسعهم في الفرصة المناسبة، وعندما يفقد النظام قدرته على مسك الأمور وفرض وجوده بالقوة والقهر أن يكونوا هم البديل الصالح ويحافظوا على وحدتهم ويتمسكوا بأرضهم وبلادهم ويتجنبوا كل أعمال الانتقام أو الثأر، وأن يكون رائدهم العفو والصفح وتحكيم القانون والشرع بصورة مضبوطة، وأن يأخذوا بنظر الاعتبار أن الجميع هم أخوة لنا تعرضوا للضغوط والقهر.

ونحتاج في هذه الظروف إلى المحبة والألفة والتعاون ونسيان الماضي وفتح صفحة جديدة في حياتنا نغض فيها الطرف عن الأخطار والاشتباكات ونستوعب الجميع بروح المحبة والإخاء مع الحذر من الأعداء والمندسّين. كما أنّ من الواجب الشرعي والسياسي الالتزام بالمحافظة على الأموال العامة والمؤسسات الخدمية الضرورية، ويفرضوا الأمر الواقع في قدرتهم وصلاحياتهم لإدارة أمورهم بأنفسهم ولا يتركوا مجالاً للأجانب أن يتولوا شيئاً من شؤونهم أو يفرضوا عليهم الوصاية، وأن يستفيدوا من التجارب الماضية ولا سيما التجربة التي مر بها شعبنا في انتفاضة شعبان المجيدة وتضحياتها الغالية.

إنّ الشعب العراقي البطل مؤهل - بإذن الله تعالى - لأن يتحمّل هذه المسؤولية الشرعية والاخلاقية وأن يثبت ذلك من خلال العمل وضبط النفس وتحمل الصعاب.

أسأل الله تعالى أن يحقق النصر والفرج والحرية والاستقلال والعدل والأمن والطمأنينة والاستقرار لعراقنا الجريح ولشعبنا البطل وأن يدفع عنهم كل سوء ومكروه، وأن يتغمّد شهداءنا الأبرار ومراجعنا العظام برحمته الواسعة وينزل السكينة والنصر على المجاهدين والعاملين، وأن يثبت لهم قدم صدق مع الحسين وأصحاب الحسين يوم الورود، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم، وهو نعم المولى ونعم النصير، والحمد لله رب العالمين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٦ محرم الحرام ١٤٢٤ هـ

محمد باقر الحكيم

- ٥ -

نداء سماحة آية الله السيد محمد باقر الحكيم رحمه الله إلى الشعب العراقي المتنحن بمناسبة الهجوم الأمريكي البريطاني على العراق

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليك يا أبا عبد الله وعلى الأرواح التي حلت بفناءك، عليك مني
سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار، ولا جعله الله آخر العهد مني
لزيارتكم، السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أولاد الحسين
وعلى أصحاب الحسين.

يا أبناء الشعب العراقي المتنحن...

أيها الغياري على دينكم ووطنكم...

يتعرض بلدنا العزيز وعراقنا الجريح إلى امتحان جديد يمثل حلقة
أخرى لما تعرض له من محن وبلاء جزاء تسلط الحكم الاستبدادي العنصري
الطائفي. فالحرب التي تشنها الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها على
العراق يتحمل مسؤولياتها بشكل مباشر ومشارك كل من النظام المجرم
الحاكم في العراق والولايات المتحدة الأمريكية، فالنظام العراقي لم يستمع
لجميع النداءات التي طالبت بالتنحي عن السلطة والاستجابة للقرارات الدولية
لتخليص العراق وشعبه والمنطقة من الحرب وويلاتها، وبذلك يكون النظام
سبباً مباشراً لثلاثة حروب ضروس أدخلت العراق في حجم من الدمار
والقتل والتشريد والخوف والاضطراب.

كما أن الولايات المتحدة الأمريكية تتحمل أيضاً بشكل مباشر

المسؤولية في هذه الحرب أيضاً، كما في الحروب السابقة أيضاً. وقد أصرت الولايات المتحدة هذه المرة على انتهاج هذا الطريق لمعالجة مشكلة النظام العراقي، ولم تستجب في ذلك لا للرأي العام العالمي ولا لأعضاء مجلس الأمن ولا لنداءات الدول العربية والإسلامية ودول عدم الانحياز في التخلي عن نهج الحرب والتزام القرارات الدولية، كما لم تستجب لجميع النداءات والأفكار التي طرحناها في معالجة مشكلة النظام العراقي عن طريق مساعدة الشعب العراقي ليقوم بدوره الأساس في التغيير وتجنيد المنطقة والعراق للحرب.

وبذلك يشترك المجتمع الدولي أيضاً بما فيه الدول العربية والإسلامية في تحمّل قسط من المسؤولية في هذه الحرب الضروس، حيث اكتفوا بالنداءات دون التقدم بأي مشروع حقيقي لحل مشكلة العراق ونظامه الإجرامي.

أيها العراقيون الأحرار...

إننا إذ نرفض هذه الحرب لما ستؤدي إليه من أضرار ومخاطر مثل إزهاق الأرواح البريئة وتدمير البنية التحتية العراقية والهيمنة الخارجية، ندعو جميع إخواننا وأخواتنا العراقيين أن يتحملوا مسؤولياتهم في هذه الظروف العصيبة والمصيرية ليعبروا مرة أخرى بإصرار وعزم انهم لا يتخلون بأي صورة عن الشعارات المركزية التي رفعوها طيلة المدة السابقة وقدموا من أجلها مئات الآلاف من الضحايا والشهداء وملايين المشردين والمهجرين، شعارات الخلاص من الاستبداد والعنصرية والطائفية وتحقيق الحرية والاستقلال والعدالة، وأن يلجأوا إلى الله تعالى ويتوكلوا عليه ويستعينوا به في هذه الشدائد، ويستفيدوا من جميع الفرص المؤاتية التي

يتفضل الله بها عليهم في المحن والشدائد، تجسيدا لقوله تعالى ﴿كُنْزٌ عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ وقوله تعالى ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾، وهذا الأمر يتطلب أموراً عديدة لا بد من الانتباه إليها:
 أولاً: الحضور الواعي والفاعل في ساحة العمل والتصدي ومراقبة تطور الأحداث بدقة لتحقيق هدفين رئيسيين:

- الخلاص من الحكم الاستبدادي الطائفي العنصري.

- مقاومة التسلط والهيمنة الخارجية والأجنبية.

ثانياً: اتخاذ موقف الحياد تجاه الطرفين المتصارعين، حيث إنّ المعركة بينهما هي معركة المصالح والنفوذ الخاص، وليست معركة من أجل الشعب وخلاصه وعزته وكرامته.

ثالثاً: التعاون بين القوى الحقيقية الفاعلة من أبناء الشعب العراقي، وهي قوى المقاومة الإسلامية والغياري من أبناء العشائر العراقية والمخلصين من أبناء القوّات المسلّحة، وذلك للمبادرة بملء الفراغ السياسي والإداري والخدمي الذي سوف يواجهه العراق نتيجة لهذا الصراع غير الشريف.

رابعاً: السعي بجِدِّ للاحتفاظ بالسيطرة على الأرض والتمسك بها وعدم التخلي عنها للأجانب والمحافظة على المؤسسات والممتلكات العامة والوقوف أمام محاولات السلب أو التخريب التي قد يقوم بها بعض العناصر لا سمح الله.

خامساً: إنّ من الواجب الشرعي والأخلاقي المحافظة على الأمن العام وسلامة أرواح ودماء المواطنين والبنى التحتية للعراق ودفع الأضرار والأخطار المحتملة، والامتناع عن حالات الانتقام والثأر، والعمل على توفير المواد الضرورية كالغذاء والدواء والمحروقات والمحافظة على مؤسسات

الخدمات العامة.

سادساً: الاستفادة من جميع الطاقات الإنسانية والبشرية، ولا سيما طاقات المؤسسات والدوائر الحكومية التي تضم النخبة من كوادر وكفاءات الشعب العراقي.

سابعاً: دعوة جميع العاملين في القوات المسلحة والأجهزة الحكومية للإنبابة والتوبة إلى الله تعالى والشعب، وفتح القلوب والصدور لهم، والتعامل معهم بروح العفو والصفح والأخوة والتعاون على البر والتقوى والعمل الصالح، وفتح صفحة جديدة في تاريخ العراق وحياته السياسية التي يشارك فيها جميع العراقيين من شيعة وسنة، وعرب وأكراد وتركمان، ومسلمين ومسيحيين وأقليات أخرى، ومدنيين وعسكريين.

ثامناً: الالتزام بالأحكام الشرعية والتكاليف الإلهية في الالتفاف حول قيادة المخلصين والموثوقين المتقين من أبناء الشعب العراقي الذين اثبتوا من خلال التجربة الطويلة والتضحيات الغالية انهم يعملون للعراق وشعبه، والحذر الشديد من محاولات الخداع والتضليل أو التشويش والتشويه.

تاسعاً: إسناد وتقوية المؤسسات الإسلامية الشرعية السياسية والاجتماعية الموجودة والفاعلة في الساحة العراقية.

عاشراً: السعي بجد لتنظيم صفوف الأمة في لجان وهيئات للإنقاذ والولاء، وذلك لكي تقوم بالرعاية للمحتاجين والمضطرين ودرء الأخطار والأضرار والمحافظة على الأمن العام، وإسناد القوى الشعبية، والتعاون على البر والتقوى والعمل الصالح.

يا أبناء الشعب العراقي المظلوم...

إننا مدعوون إلى الاعتصام بحبل الله جميعاً، ووحدة الصف والكلمة

والإيمان المطلق بقدرة الله وقوته وعزته وجبروته، والاستقامة على الدرب
والثبات على المبادئ والقيم والتأسي والافتداء بأسلافنا من العلماء الأعلام
والشهداء الأبرار والصالحين الأخيار، والانتصار للمظلومين من الظالمين،
والوقوف في وجه المتسلطين، والعمل في سبيل الله، وانتظار النصر الإلهي،
فإن النصر من الله تعالى، فهو ولينا عليه نتوكل وإليه ننيب.

﴿وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾.

﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾.

﴿ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين﴾.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين
وأصحابه المنتجبين.

١٦ محرم الحرام محمد باقر الحكيم

١٤٢٤ هـ

الفصل التاسع

**آية الله السيد محمد باقر الحكيم
بعد انهيار النظام العفلقى**

بقي السيد محمد باقر الحكيم يتربص الوقت المناسب للرجوع الى العراق بشكل يتيح له التحرك المناسب لقيادة الساحة سياسياً بحيث يستفيد من كل الفرص المؤاتية بالقدر الممكن وهو يرى الساحة مضطربة أشد الاضطراب والقوات الغازية ترصد كل تحرك إسلامي وتحول بين العراقيين وبين تأسيس حكم إسلامي في العراق. وقُبيل رجوعه قد شهدت له الساحة بتصريحات ولقاءات عكست وجهة نظره في كثير من القضايا المستقبلية اخترنا نموذجين منها:

- ١ -

نص اللقاء الذي تم بين: سماحة السيد الشهيد محمد باقر الحكيم رحمته الله مع تلفزيون الجمهورية الإسلامية بعد سقوط النظام لعفلق في العراق وقبيل رجوعه الى العراق حول زيارة الأربعين

س: سماحة السيد، كيف نتعرف على هذه المناسبة في فكرنا كمسلمين وأتباع

أهل البيت عليهم السلام ؟

ج: بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين وصلّى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

السلام عليك يا أبا عبد الله السلام عليك يا بن رسول الله، السلام عليك يا بن أمير المؤمنين، السلام عليك يا أبا عبد الله وعلى الأرواح التي حلت بفنائك، عليك مني سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار ولا جعله الله آخر العهد مني لزيارتكم، السلام على الحسين، وعلى عليّ بن الحسين، وعلى أولاد الحسين، وعلى أصحاب الحسين.

زيارة الأربعين، هي إحدى الزيارات المعروفة والمخصوصة، حيث هي أمرٌ مستحب يمكن زيارته في كل يوم ولا يختص بيوم من الأيام وقد ورد التأكيد عليها من قبل أئمة أهل البيت عليهم السلام، وقد جاء في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردها عليّ الحوض».

فهمُ أعرفُ بشرائع الإسلام، فقد ورد عنهم الكثير، غاية الأمر استحباب زيارته في أيام مخصوصة، في يوم عاشوراء، وكذلك يوم الأربعين من استشهاده، وزيارته في أول رجب، والنصف منه، والنصف من شعبان، وفي ليالي القدر، وليلة العيدين، ويسوم العيدين، هذه الزيارة المعروفة والمخصوصة.

كما وردت نصوص في أيام أُخرى، وقد ورد الحثّ عليها على أنها علامة من علامات المؤمن، لذلك نجد المؤمنين يهتمون بهذه الزيارة الشريفة اهتماماً كبيراً.

وقد وقعت هذه الزيارة بعد أربعين يوماً من استشهاده وأهل بيته وصحبة الأبرار عليهم السلام. فأثناء رجوع الإمام زين العابدين عليه السلام من الشام وقبل عودته الى المدينة عرج على كربلاء فزار أباه الإمام الحسين عليه السلام، من هنا أُعتبرت أول زيارة لإمام مشهودة وفي وقت آخر أيضاً؛ أما في هذه فهي زيارة مشهودة وصاحب تلك الزيارة هو الصحابي الجليل جابر بن عبدالله الأنصاري قصده من المدينة من أجل زيارته، كما أكد على زيارته رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسمع منه.

وتمتاز هذه الزيارة بأنها أول زيارة لإمام معصوم، فهي لها أهميتها في جانبها التاريخي وهي أول انتصار حققته ثورة الحسين عليه السلام، فمشهد كربلاء مشهد مأساوي؛ فلم يكتفوا (هؤلاء الوحشيون) أنهم أخذوا يمثلون بهذه الأجساد وسبي العيال، هذه الحوادث وقعت وتعبّر عن واقعها المأساوي.

لقد أدرك الإمام الحسين عليه السلام خطورة الوضع والانحراف عن جادة الحق لذلك أعلنها مدوية هو وأصحابه الأبرار «من أدركنا في هذه الحركة فقد استشهد ومن لم يلحق بنا لم يبلغ الفتح».

فكانت حركة نصر، فأول هدف حققه الإمام الحسين عليه السلام هو هذه الزيارة المباركة زيارة الأربعين.

فكان الإمام زين العابدين عليه السلام وزينب الكبرى سلام الله عليها أعلام هداية تمكنوا أن يُبلّغوا ويؤكدوا على الأهداف التي استشهد الإمام الحسين عليه السلام من أجلها، وشكّل ظرفاً سياسياً خطيراً على يزيد وحُكمه من خلال تفاعل الأمة مع ثورة الحسين عليه السلام حيث جعل يزيد وعصابته أن يطلقوا الأسير ويكرموه ويتراجعوا عن عملهم الشنيع.

الحركة الأساسية التي قام بها الإمام زين العابدين وعتمته زينب عليهما السلام حققت الانتصار وأنها على حق، هذا الهدف كان له تأثير على مجرى التاريخ والأحداث.

فمنذ هذا الإعلان وزيارة الإمام زين العابدين عليه السلام ولقائه بالصحابي جابر ابن عبدالله الأنصاري وسقوطه مغشياً بجوار القبر الشريف وعندما استيقظ تحدث بحديث وقال: فقد حصلنا على الأجر الذي حصل عليه أصحاب الحسين فسئل عن ذلك، كيف ذلك؟ الإمام الحسين عليه السلام يُقتل وأهل بيته وأصحابه شر قتلة ويلاقي هذا المصير المرّوع وأنت لم تقاتل ولم تشاهد الواقعة؟ فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من رضي بعمل قوم وكانت ارادته مشاركته في هذا العمل كان شريكاً لهم» فهذا خط ومنهج فالذي يبايع الإمام الحسين عليه السلام والذي تمثل مبايعته الطريق الصحيح والذي تم تأكيده في الأمة والمجتمع الإسلامي.

فالحسين عليه السلام خرج على من يدعي الخلافة على المسلمين، والمسلمون يجمعون أن يزيد على خطأ وأن الحسين على صواب. هذا هو الفتح الذي أخبر عنه الإمام الحسين عليه السلام والذي تمثل:

١- في تجديد البيعة مع الحسين عليه السلام.

٢- انتصار الحق على الباطل وكما قيل انتصار الدم على السيف.

هذا هو الخط الصحيح الذي رسمه لنا الإمام الحسين عليه السلام.

س: هناك اقبال جماهيري لزيارة الإمام الحسين عليه السلام ماهو التفسير لهذا الاقبال، وهذا

المشهد الذي تشهده الساحة العراقية، ماهي أسبابه وماهي دوافعه؟

ج: هذا السؤال له عدة جوانب وأبعاد للكلام:

الجانب الأول: هو هذا الزخم الجماهيري المنقطع النظير له أسبابه النفسية والروحية والسياسية ولا نشأه في زيارات أخرى ونجد القمة في هذا الزخم الجماهيري الذي تشهده الزيارة ويرجع كل هذا الى عاملين رئيسين: العامل الأول: عامل التحدي، حيث إن الظالم الفاسد الذي تحدى مشاعر الناس، ومنع الناس من زيارة الحسين، منعهم من المسير لتجديد البيعة لإمامهم، في الوقت الذي أكدت النصوص على استحباب الزيارة عن كذب وهناك استحباب المشي على الأقدام ولا سيما في زيارة الأربعين، ولكن النظام منعها سنة (١٩٧٦م) حيث ضرب الزوار وأتلف طعامهم ومزق الأعلام وقام بالعدوان عليهم مادياً ومعنوياً ولكن الزوار أصروا على مواصلة المسير.

بعدها قام النظام بإجراءات واسعة للوقوف بوجه المد الحسيني ومنع زيارة الحسين بشكل رسمي منعاً باتاً إلا أن جموع الزوار خرجت متحدية النظام رغم قساوة وإجرام النظام.

وبعد وفاة السيد محسن الحكيم تحدى هذا النظام إرادة الشعب بصورة علنية، فحدثت مواجهة وأدت هذه المواجهة الى تدخل النظام بكافة قواته العسكرية، المدرعات والطائرات والدبابات لمنع الزوار من المسير لزيارة الحسين عليه السلام، والتحدي أصبح واسعاً بحيث تم اعتقال ما يقارب (١١/٠٠٠ الف) زائر وعرض هؤلاء الزوار الى أنواع التعذيب وقتل منهم ما يقارب الألف ونتيجة الضغط الجماهيري الذي أدى الى استقالة مجموعة من أركان النظام وقتل العديد منهم وحكم على البعض بالسجن المؤبد والتي كان لها أصداء واسعة لدى الشعب فأخذ الناس يتحدون النظام كل سنة ويذهبون

لزيرة الحسين ﷺ رغم كل التحذيرات والممانعة والاجراءات التعسفية، وكان النظام في كل سنة يقتل من هؤلاء الزوّار بسبب انتمائهم لهذه المدرسة التي تريد أن تحيي معالم الدين، وانتهى - بوقاحة - النظام أن يرفع شعار: «لا شيعة بعد اليوم» مع العلم بأن الشيعة هم الأكثرية، حتى النظام العنصري في جنوب افريقيا رغم المساواة والعنصرية لم يرفع شعار في افريقيا: «لا سود بعد اليوم».

وبدأت المواجهة تتسع والتي أدت الى تطوّر زيارة الإمام الحسين في العدة والعدد حيث بلغ الملايين، حتى النظام اعترف بأن عدد الباصات بمناسبة زيارة الإمام الحسين بلغ (٦٠/١٠٠ ألف) باص والعدد ما يقرب من أربع ملايين ويحتمل أن يصل العدد في هذه السنة الى ستة ملايين، هذا الرقم يُعبر عن النقطة، نقطة التحدي الذي واجهه الشعب العراقي، يريد هذا الشعب أن يكون له وجود حقيقي.

فالمسألة مسألة تحدي والتحدي لا يختص بفئة دون أخرى، فترى الطالب، والعسكري، والعالم، والطفل، والكبير، والمرأة، مختلف طبقات الشعب تشارك في هذه المسيرة، في هذا التحدي للوجود المتفطرس، هذا هو التفسير الواقعي.

هناك بُعد آخر وهو كيف أمكن لهذه الأمة أن تحقق هذه المسيرة الكبيرة بكل تفاصيلها في هذه الظروف الصعبة.

وهناك مجموعة من التحديات غير التحديات التي ذكرتها ترتبط بعدة أمور:

١ - التحديات التي واجهها العراقيون من قبل وسائل الاعلام الإسلامية التي تبعت السياسات الغربية حيث إن الشعب ممزق ومتفرق ومتجزئ،

وان العراقيين أصبحوا مجاميع متناحرة يقتل بعضهم بعضاً، والغريون يقولون لا بد أن نحقق الأمن في هذا البلد ونقضي على هذا التناحر، لأنّ العراقيين لا يستطيعون ادارة شؤونهم بأنفسهم... هذه تبريراتهم.

هذه التحديات التي يواجهها الشعب العراقي، العالم يدري بأنه لا توجد أي سلطة في العراق وسبحان الله وفي هذه الظروف اقترنت زيارة الأربعين لتبين للعالم هذا الزخم المليونى...

أنظروا الى هذا الزخم الجماهيري حيث الانسجام والوحدة، لا توجد دولة لا يوجد نظام، وتتعرض الدولة الى حصار اقتصادي وظروف معيشية صعبة. فرغم هذا والمسيرة مستمرة في حركتها ووحدها بينما ترى في موسم الحج عندما تجتمع الملايين ترى الدولة بإمكاناتها الضخمة واعتمادها على بعض الدول الأخرى ترسل البعثات الطبية وكثيراً من الخدمات للسيطرة على هذه الجموع وحتى يمكن الخروج من الحج بسلامة ونحن نجد هذا التواجد الجماهيري الواسع المليونى دون أن تتوفر لهم هذه الخدمات. يخرج منها بالمحافظة على الزوار ويحقق لهم الأمن ببركة هذه المناسبة ووحدة الهدف. وأهم الشعارات التي طرحت في هذه المناسبة هي: وحدة وحدة إسلامية لا شيعية لا سنية، لا يوجد عندنا عصبية، نحن جميعاً نتمسك من الجنوب ومن الشمال أكراداً وتركماناً من البصرة والناصرية ومن ديالى والرمادي ومن كافة محافظات العراق وهي تعبر عن الوحدة.

والجانب الثاني: هي العزة والكرامة لأبناء الشعب العراقي، فبالرغم من الظروف الصعبة والقاسية التي يعيشها فإن شعبنا لم يستسلم للأمريكي المحتل وأخذ جانب التحدي شكلاً آخر، لقد رفض الاحتلال من خلال التظاهرات والشعارات بسبب الوعي الذي يتحلى به من جراء الولايات

والمصاعب الذي تعرض لها من امريكا وعملائها وشعار: «لا صدام ولا امريكا» على سجيته وطبيعته لزال عنده العزة والكرامة هي خير شاهد على رفض هذا الشعب لكافة أنواع الاحتلال.

س: ماهي الأهداف من زيارة الإمام الحسين عليه السلام

ج: العراق وشعب العراق يواجهون تحديات، وأنا ذكرت في حديثي بأن هناك ثلاث تحديات واجهها الشعب العراقي حيث إنه فقد أصالته وقدرته عن إدارة أموره بنفسه بسبب المعاناة التي مرّ بها من جزاء التشريد والتطريد وأن الأمم المتحدة أو الاحتلال أو الجامعة العربية أو منظمة الدول الإسلامية هذه المنظمات هي الوحيدة القادرة على إدارة شؤون العراقيين لأنّ الشعب تحمل آلام ومحن أدت الى تفكيك البنية الاجتماعية فالشعب أمام هذا التحدي، ومسيرة الأربعين عن واقع الشعب العراقي من خلال التآلف والمحبة والوحدة بسبب انتمائهم لأهل البيت عليهم السلام، هذا الحضور يعبر عن جانب حضاري للشعب وهكذا في جانب الاستعداد للتضحية، ثلاث عقود من المطاردة والتشريد من قمع وارهاب.

هذا الشعب قدم الكثير من العلماء والسياسيين والطاقات من خيرة شعبنا ولكن مع ذلك فهو على استعداد لتقديم الأكثر، فمن مسافة (٥٠٠ كم) ومن البصرة تهتف الحناجر بـ «هيهات منا الذلة» بهذه القراءة الحضارية يستطيع شعبنا أن يدير أموره بنفسه ورفضه للحكم الأجنبي رغم أن الأجانب يقولون: بأن وجودنا محدود، والدليل على ذلك ان أبناء الشعب العراقي يديرون أمورهم بأنفسهم. والحمد لله رب العالمين

- ٢ -

كلمته في وداع الشعب الإيراني بعد سقوط صدام ونظامه وقبل رجوعه الى العراق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾

في البداية اتقدم بالتعازي الحارة لجميع إخواننا وأخواتنا الإيرانيين أبناء هذا الشعب الحبيب بمناسبة أيام فقد العلماء والشهداء، وشهادة سيدنا ومولانا الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

أيها الأعداء: عندما أقف هذا الموقف أتذكر البداية، عندما وقفت بين أيديكم قبل ٢٣ سنة وفي هذا المكان المقدس التي كنت مواظباً عنده بالحضور طيلة هذه المدة الطويلة الذي كنا نستشف منه أرواح الشهداء الأبرار من علمائنا الأخيار، الإمام الراحل، أنفاس الشهداء والمضحجين من أبناء الشعب الإيراني البطل واستمرينا على هذا الطريق، عشنا عالمًا لا يمكن أن أصفه بهذه الدقائق، عالم مليء بالتضحية والجهاد، والصبر والصمود، والبناء لهذا البلد، بلد العز، بلد الإسلام، بلد أهل البيت، بلد العلماء والمراجع، بلد الإمام الثامن الإمام الرضا عليه السلام، بلد عشاق أهل البيت، عشاق الحسين عليه السلام، طيلة هذه الفترة عشنا في عزٍّ وكرامة، في مودة وجهاد والحمد لله وكان فخرنا وفخركم يا أبناء عليّ والحسين، يا أبناء رسول الله والرسالات الإلهية. هذا الشعب الذي قدم الشهداء كوكبة بعد كوكبة لتتقرب بها الى الله، فشكر الله

على هذه النعمة عليّ وعليكم.

في هذه المدة الطويلة بدأنا الحديث هنا وعاهدنا الشهداء وأئمتنا عليهم السلام وعاهدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وعاهدنا الإسلام على هذا الطريق وعاهدناهم ان نثبت على هذا الطريق، والآن نجدد العهد مع هذه الأرواح الطيبة، نجدد العهد مع هذا الشعب البطل، نجدد العهد مع هذا الشعب البطل، نجدد العهد مع قيادته البطلية نجدد العهد مع وليّ أمر المسلمين، نجدد العهد مع الجيش الإيراني، ومع الحرس الثوري، والتعبئة ومع أسر الشهداء والمضحين والمفقودين أن نكون على هذا الطريق.

كل العراقيين، المجاهدين ارتووا من هذه العواطف وهذه الأحاسيس، نشكر الله سبحانه على هذه النعمة، ولكن نشكركم، نشكركم، نشكركم لأنّ شكر العبد من شكر الله سبحانه.

بدأنا حديثنا، شاهدت الشهداء في هذا المكان، وشاهدت المسيرات المليونية وشاهدت الهتافات المدوية، ومن سعادتني أن أعيش مثل هذه الروح الثورية في هذا المسير، المسيرة التي جئنا من أجلها وأن يرزقنا الباري عز وجل مصير هؤلاء الشهداء الأبرار ونجدد لهم العهد بذلك.

أيها الأعداء: نحن نرى الإسلام في مستقبلنا مشرقاً إن شاء الله فلا بد أن نصمم على تحقيقه ونحكم إرادة الشعب العراقي بذلك في مصيره وتحقيق العدالة التي كانت مفقودة في ظل نظام العهد البائد بكل أبعادها ونعمل على إعمار العراق ونعيده الى استقلاله وحرية والتعبير عن ارادته ونعيد علاقاته الطيبة مع جيرانه وبقية دول العالم نسأله تعالى أن يحقق تلك الآمال.

وإننا نجدد الشكر لكم كباراً وصغاراً وعلماء، لعوائل المضحين والأسارى، لكل أبناء الشعب الإيراني، لقد وجدنا الحب والموودة والعطف

والعز، علمائها ومراجعها، الى اللقاء في العتبات المقدسة لتكون من سعادتنا أن نستضيفكم والحمد لله والشكر له أن وفقنا لطريق الحق والصواب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

- ٣ -

رجوعه ظافراً الى العراق وتوطين نفسه على لقاء الله

فقد ترك آية الله السيد محمدباقر الحكيم جمهورية إيران الإسلامية متجهاً الى العراق الجريح موطناً نفسه على لقاء الله والاستشهاد في سبيله، وقد اتضح ذلك لكل من كان حاضراً في اللقاء التوديعي الذي كان بين السيد الحكيم والإمام الخامنئي (دام ظله).

وهكذا خرج السيد الحكيم مهاجراً الى الله والى رسوله ولاقرار العدل ونظام الإسلام في ربوع العراق الذي دنته قوات التحالف ومحاولة السيطرة التامة عليه وعلى دول المنطقة من خلال إحكام القبضة على هذا البلد الجريح.

وإليك صورة سريعة عن مسيرته المباركة منذ دخوله أرض العراق وحتى استشهاد.

- ٣ -

تقرير عن مسيرة السيد الحكيم ومواقفه وتصريحاته منذ دخوله العراق وحتى وصوله الى النجف الأشرف

في يوم السبت ١٠ / ٥ / ٢٠٠٣ ومن نقطة (السلامجة) الحدودية دخل موكب سماحة السيد الحكيم ارض العراق وكان في استقباله حشد كبير من الجماهير العراقية التي رددت شعارات الترحيب والولاء للاسلام والمرجعية. وفي نفس اليوم: الذي يعد اكبر يوم شهدته محافظة البصرة وصل موكب السيد الحكيم إلى مركز المدينة حيث القى كلمة في الحشود الكبيرة التي اجتمعت في ملعب رياضي هناك، قائلاً:

(نريد الاستقلال ولا نريد حكومة مفروضة).

وأضاف سماحته وسط هتافات الحشود (ان العراقيين لا يحتاجون لأحد لمساعدتهم على بناء الحكومة الجديدة).

وتابع (نريد ان يحكم الشعب نفسه بنفسه، نريد حكومة ديمقراطية، نريد حكم الشعب (لشعب)).

وتابع السيد رئيس المجلس الاعلى: (نريد حكومة تمثل المسلمين جميعاً شيعة وسنة وتمثل المسيحيين ايضاً وكل طوائف العراق التي تمثل جميع ابناء الشعب).

وأضاف: (ان اولويتنا هي وحدة الكلمة نحن في خدمة المرجعية،

للتوحد العشائري).

وتابع: (نعم نعم للعشائر، يا مجاهديننا الأبطال اتحدوا في كلمتكم، لتكونوا كلمة واحدة وموقفاً واحداً).

وفي هجوم على حزب البعث وقادة النظام السابق قال سماحته: (أيها الاخوة، علماؤنا، وسادتنا، انتم لا تقبلون أن يعيش بقية ألام النظام بين العراقيين، نحن نرفض التواجد البعثي بين أبناء الأمة).

وأضاف في إشارة للتواجد الاجنبي في العراق: ليتركوا العراق للعراقيين وسيجدون العراقيين يستطيعون ان يحققوا الامن وان يحموا العراق.

إنّ (جهادنا هو جهاد الامن والبناء بعد جهاد الطغيان... ويجب ان تكون المسيرة مستقلة).

وقال: كما قلنا في السابق نعم نعم للحرية، نقول الان نعم نعم للاستقلال، ولجميع فئات الشعب من عرب وكرد ومسيحيين ومسلمين، نحن نريد العدالة للجميع ولا نقبل غير العدالة.

وقال: اشكر آية الله السيستاني وآية الله السيد محمد سعيد الحكيم، وجميع المراجع واشكر العلماء ومنهم الشهيد السيد محمد محمد صادق الصدر وجميع العراقيين الذين استجابوا لنداء الشهادة.

كما وجه اخيراً الشكر إلى الجمهورية الإسلامية الإيرانية التي احتضنت العراقيين وجميع الدول العربية والغربية التي ساعدت العراقيين وسوريا بشكل خاص على موقفها.

وفي مقابلة اجرتها معه قناة العربية الفضائية:

اعلن السيد رئيس المجلس الاعلى للثورة الإسلامية في العراق، قواته قادرة على (ضبط الامن) في العراق لو تركت قوات التحالف لها مهمة القيام بدور أمني

وبعد ان اعتبر سماحته انه من موقفه (كعالم دين) يتحمل (مسؤوليات تجاه الشعب العراقي) حدد أربع أولويات لا بد من تحقيقها لحل مشاكل مرحلة ما بعد نظام صدام البائد. وأوضح ان الأولوية الأولى هي العمل على حل مشكلة الاوضاع الحياتية والأمن.

اما المشكلة الثانية فتتمثل في أن بقايا النظام لا زالوا يعيشون فساداً ويعملون على تدمير البنية التحتية للعراق بينما تتعلق المشكلة الثالثة: بوجود القوات الاجنبية في العراق وهي مشكلة كبيرة جداً لا بد من معالجتها. المشكلة الرابعة العمل على تحكيم ارادة الشعب العراقي في قيام نظام ينتخبه ابناء الشعب العراقي ويمثل الشعب العراقي بسنته وشيعته وأكراهه وتركمانه وحتى اقلياته الدينية.

كما اشار سماحته إلى الاعداد الكبيرة من العلماء والافاضل والمدرسين الذين استشهدوا على يد الطاغية خصوصاً في انتفاضة عام ١٩٩١ حين حصلت ابادة بشرية ضد الحوزة العلمية ورفع شعار (لا شيعة بعد اليوم). وكشف ان نظام صدام هدم ايضاً ٣٥٠ مؤسسة بينها مدرسة دار الحكمة في النجف الاشرف ومدارس اخرى في كربلاء والديوانية والحلة.

وفي المؤتمر الصحفي الذي عقده سماحته في البصرة

قال: نريد أن نبني دولة عصرية بكل ما تعني هذه الكلمة من معنى، دولة تعرف مفاهيم الاسلام وجوانبه الروحية.
وأضاف أن البعض قد يتصور أن المتدينين سيحبون المرأة عن المجتمع وهذا غير صحيح لأن المرأة نصف المجتمع.
وأضاف: المرأة المتعلمة الشريفة القادرة على اداء دورها سواء في أسرتها أو في مجتمعها يجب أن يكون لها دور رئيسي في بناء هذا المجتمع.
وبعد أن عدّد الخصائص التي يجب ان يقوم عليها النظام العراقي الجديد من عدل وحرية وأن يكون منتخباً من الشعب قال: عندما يكون النظام العراقي بهذه الخصائص يكون نظاماً إسلامياً عصبياً ينسجم مع اساليب هذا العصر والزمان ومع التطورات الاجتماعية الموجودة في هذا الزمان.
وتابع: عندها سيكون بالإمكان إرجاع العراق إلى موقعه الطبيعي في العالم الإسلامي والعربي بصورة آمنة ويصبح عراق الجهاد من أجل الاعمار وعراق المحبة والمودة لا عراق العدوان والإضرار بالآخرين في اشارة ضمنية إلى حرب ضد الجمهورية الإسلامية سنة ١٩٨٠ وإلى اجتياح الكويت عام ١٩٩٠.

ومن جهة اخرى شدد آية الله السيد الحكيم على ضرورة نبذ الطائفية وقال بلهجة منفتحة: أنّ العراق يجب أن يكون عراق المحبة والمودة بين ابناءه وسنته وشيعته. مضيفاً: نحن نلتزم بتشيّعنا لكننا لسنا طائفيين ولا نريد

ان نرفض تشييعنا على أحد، وللستي أن يلتزم بمذهبه وأن يكون مع أخيه المسلم الآخر.

وتابع: يجب أن نكون متحدين في قضايانا الإسلامية وان تحكمننا المودة والحب والتناغم لكي نقيم حكومة العدل).

وفي إشارة إلى التيارات السلفية قال: إننا نرفض بعض الخطوط السلفية. من دون أن يسمي أي حزب او تيار، معتبراً أن من يعادي المسلمين الآخرين يعادي أهل البيت.

وأضاف: إذا كانت لهذه الحرب آثار وخيمة بالنسبة إلى أوضاعنا كعراقيين فإن أحد مكاسبها هذا القدر من الحرية الذي يشاهده العراقيون حالياً.

وأوضح أنه: إذا كان المجلس الأعلى رفض الحرب الاميركية فلأنه كان بالامكان تحقيق هذه الحرية بمساعدة المجتمع الدولي مع الشعب العراقي من دون الحرب.

واعتبر أن العراقيين يملكون اليوم شيئاً من الحرية لكنها غير كاملة لأن هناك قوى أجنبية تحدّد حركتنا والعراقيين يحتاجون إلى حرية كاملة.

كما طالب بأن يكون النظام القائم (نظاماً) يحترم الاسلام لأنه دين الاكثرية الساحقة، مشيداً في الوقت نفسه بالمسيحيين الذين تمكنوا أن يعبروا عقبات التاريخ دون أن يتعرضوا لمشاكل مع المسلمين. لكن شدد على ضرورة ان يكون دين الدولة الرسمي الاسلام.

ودعا سماحته إلى أن تكون الشريعة الإسلامية من (مصادر قانون هذا

البلد) وقال: لا يمكن أن يكون قانوناً ذلك القانون (الحالي) الذي لا يحترم الشريعة والقرآن وسنة النبي ﷺ إلى غير ذلك من القضايا التي نراها في العالم العربي والإسلامي.

كما دعا إلى أن يحترم النظام الجديد خصوصيات ومكونات الشعب من شيعة وسنة وأكراد وتركمان ومسيحيين وأن يكون معترفاً عن وحدة العراق وشعبه وأرضه.

ثم غادر السيد الحكيم بعد ذلك محافظة البصرة باتجاه الناصرية.

ووصل محافظة النجف الأشرف يوم الاثنين ١٣ / ٥ / ٢٠٠٣

حيث تجتمع الآلاف من أهالي المدينة وأطرافها في استعداد غير مسبوق لاستقبال سماحته، وحمل الحشد صور السيد الحكيم الذي تقدم موكبه بصعوبة نحو ضريح الإمام علي عليه السلام في المدينة واطلقت هتافات: نعم، نعم للحكيم مرحبةً بقدومه.

وبعد أدائه مراسم الزيارة وجه خطابه إلى الجمهور الذي تجتمع في صحن المرقد الشريف للإمام علي عليه السلام متطرقاً إلى جهاد الحوزة العلمية الطويل منذ الإمام الحكيم عليه السلام وحتى اليوم قائلاً: عملت الحوزة على خطين جهاديين رئيسيين هما خط الجهاد والمواجهة مع النظام، وخط الصمود والصبر في النجف من أجل هذه الحوزة... وإن هذه الحوزة حوزة متحدة واحدة وهذه المرجعية، مرجعية واحدة ومتحدة ومن يرد أن يفرق بينها انظروا إليه بريب وشك.

وأضاف سماحته: أيتها الأخوة الأعزّاء لا بد أن نعرف، أننا كما نقبل يد الإمام الحكيم ونقبل يد الشهيد الصدر، ونقبل أيدي كل الشهداء من العلماء الذين سبقونا بالايمان، نقبل يد الإمام الخوئي وكل المراجع العظام لأنهم صمدوا في حوزة النجف وواجهوا كل هذه المشكلات من أجل أن تبقى هذه الحوزة دائمة إن شاء الله).

وأضاف قائلاً: نحن نريد حكومة عراقية تمثل جميع الفئات والطوائف عربياً وأكراداً، سنة وشيعة وأقليات أخرى.

وأضاف سماحته: سنقاوم أية حكومة تفرض علينا بالاحتجاجات والتجمعات والتظاهرات والإضرابات.

وختم كلامه قائلاً: أقول لكم إن الذي يضمن استقلال العراق هو الاسلام والانتخابات الحرة.

إننا امام مشوار طويل هو جهاد الأمن والاعمار وعليكم جميعاً ان تتكاتفوا للوصول إلى هذا الهدف لأن النظام الصدامي دمر العراق وبدد ثرواته.

وفي وقت سابق تحدّث السيد الحكيم قبل وصوله إلى النجف قائلاً: نحن لسنا عبداً إلا لله ولسنا أسرى ولا تخيفنا القوات التي تحيط بنا.

وقد أدان الأمريكيين بقوله: (سألت الاميركيين) هل تقبلون بأن يحكمكم الانجليز؟ قالوا: عندها قلت لهم: اذن لماذا نقبل نحن أن يحكمنا احد؟^(١)

(١) انظر: محمد جواد الزبيدي، نشرة البقيّة، العدد الثاني ١٣ ربيع الأول ١٤٢٤ هـ.

- ٤ -

خطبتنا صلاة الجمعة التي أقيمت في النجف الأشرف في الحرم
العلوي في الأول من رجب سنة (١٤٢٤ هـ) وهو اليوم الذي استشهد
فيه آية الله السيد محمد باقر الحكيم عليه السلام

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، خالق الخلق، باسط الرزق، فالق الإصباح ذي
الجلال والإكرام الذي بُعد فلا يُرى وقرب فشهد النجوى، والصلاة والسلام
على سيدنا ومولانا سيد الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله
الطيبين الطاهرين.

أوصيكم عباد الله بتقوى الله واتباع أمره ونواهيه.

قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم ﴿وجعلناهم أئمة يهدون
بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين﴾.

في البداية أتقدم بالتهاني والتبريكات لكل إخواننا وأخواتنا، ولكل
محيي أهل البيت عليهم السلام بمناسبة ولادة سيدنا ومولانا الإمام الباقر عليه السلام، باقر علوم
الأولين والآخريين حيث يُصادف مولده الشريف على بعض الروايات في
الأول من رجب وفي هذه المناسبة نبارك للمسلمين ولادة هذا الإمام العظيم.

نحن أيها الأعداء نعيش بداية موسم من مواسم العبادة التي شرعها الله
سبحانه وتعالى للإنسان من أجل تربيته وسموه وان يتكامل في إيمانه من
خلال العمل ومن خلال أداء العبادات في هذه الأشهر الكريمة رجب وشعبان

وشهر رمضان والتي وظفت في هذا الموسم. ولكن أُشير إليه بصورة مختصرة حيث إنَّ الإسلام وضع منهجاً لتربيته وتوجيهه للعبادة يبتني على عدَّة أمور وأسس، أحد هذه الأسس هو المنهج السنوي الذي أُعد للإنسان المؤمن وهذا المنهاج السنوي يتمثل بأمر ثلاثة أساسية:

الأمر الأول: هي الأيام والليالي التي جاء التأكيد الإسلامي عليها من قبل الشارع الإسلامي والاهتمام بها بصورة خاصة سنوياً من قبيل الأيام الأربعة وهو دحو الأرض ويوم الغدير ومولد الرسول ﷺ وبعثته، أو مثل الليالي الشريفة؛ ليلة القدر وليلة عرفة وليلة النصف من شعبان وهي مذكورة في كتب الدعاء والزيارة وأشرنا إليها في كتابنا دور أهل البيت ﷺ في بناء الجماعة الصالحة.

والأمر الثاني: في هذا المجال هو موسم العبادة في شهر رجب وشعبان وشهر رمضان حيث يراد للإنسان المؤمن أن يمارس في هذه الأشهر الثلاث مزيجاً من العبادات المختلفة التي تمثل أركان الإسلام كما ورد في الحديث الشريف، في هذه العبادات كالصوم والصلاة والحج والزكاة، ولاية أهل البيت ﷺ وولاية الرسول ﷺ، ثم الولاء لله سبحانه وتعالى وهي تنبع من مصدر واحد وهو الولاء لله سبحانه وتعالى ثم يتفرع منه الولاء لرسول الله ﷺ ولأهل بيته والعلماء والمؤمنين هذا هو الجانب الأول من منهج الإسلام.

والأمر الثالث: هو موسم الحج، بيت الله الحرام وما أُريد منه من تربية هذا الإنسان وتزكيته.

الإنسان المؤمن وما أُريد له في هذا الموسم من تربيته؛ من تربية الإنسان في الموسم العبادي للأشهر الثلاثة إلى أن ينتهي إلى أعمال ليلة القدر التي

يقدر فيها أعمال العباد التي هي أفضل من ألف شهر ثم ينتهي الى ليلة العيد ويوم العيد يوم الجائزة التي يجازي الله عباده.

يجب أن نهتم بهذا المنهج، وهناك مجموعة من الأعمال كالصلاة بمعناها العام، الذكر والدعاء وإقام الصلاة، أو الزكاة من خلال الصدقة التي حث عليها الإسلام في العيد، أو من قبيل الصوم صيام شهر رجب وشعبان، وأوجب شهر رمضان وفي شهر رجب يستحب العمرة وقصد بيت الله الحرام كما جاء التأكيد في شهر رجب على زيارة الحسين عليه السلام وزيارة الإمام الرضا عليه السلام ثامن أئمة أهل البيت عليهم السلام والروايات موثوقة وتؤكد هذه المضامين وبعد ذلك الولاية وهي الركن الخامس وأهم أركان الإسلام وفي هذا الموسم الشريف. هناك مناسبات كثيرة تختص بأهل البيت عليهم السلام كمولد الإمام الباقر عليه السلام وكذلك شهادة الإمام الهادي عليه السلام وولادة الأئمة الأطهار كالإمام علي عليه السلام والإمام الجواد وولادة الإمام الحجة (عج) وولادة الإمام الحسن عليه السلام وغيرها من المناسبات يطول الحديث فيها، ويوجد تأكيد واهتمام خاص بهذه المناسبات وهي تعتبر عن مدى الارتباط والحب والولاء لأهل البيت عليهم السلام، وأنا ادعو جميع إخواني وأخوتي الاهتمام بهذا الموسم سواء على مستوى الفرد أو الجماعة.

وادعو كذلك إخواني وأخواتي الى الاهتمام بهذه الأشهر الكريمة من أجل طهارة أنفسهم وتركيتها وتربيتها الروحية.

ليضع كل منا منهجاً لتزكية الروح ضمن خطة ومنهج وكذلك الجماعة الصالحة ليستحق كل منا الجائزة في يوم العيد لنستفيد من هذه الأيام الشريفة، في ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر.

والآن أشير الى حديث عن كلا الإمامين، الإمام الباقر عليه السلام والهادي عليه السلام والحديث عن أئمة أهل البيت حديث واسع، وهناك حديث عن شخصيتهم

الأخلاقية بهذه الشخصيات وهو حديث مشترك بين الأئمة في هذا العصر في الجانب الاجتماعي في شخصية أهل البيت وما يمكن أن نستفيدة من دروس من خلال سلوكهم في أوضاعنا الاجتماعية، هذا الحديث لم يسقط الضوء عليه كاملاً وهنا لا يوجد فرصة للتحدث لأن الحديث عن أهل البيت حديث طويل وله جوانب متعددة.

للإمام الباقر عليه السلام توجد عدة قضايا مهمة من شخصيته الاجتماعية: القضية الأولى: هي أن الإمام الباقر عليه السلام هو آخر أئمة أهل البيت الذي شاهدوا واقعة كربلاء وقد تعرض للأسر وفي ضمن عيالاته وفي نفس الوقت كان الإمام الباقر عليه السلام الإمام الذي أرسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم السلام الخاص إليه على لسان الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري حيث إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلفه وقال له: ستدرك أحد أولادي اسمه اسمي وشمائله شمائلتي وأبلغه سلامي وهو الولد من أبنائي يبقّر العلم بقرّاً لذلك سمّي بالباقر وقد سمّي بهذه الصفة، وفي بعض النصوص ورد اسم الإمام الباقر في التوراة، فالباقر عليه السلام له عمق في الرسائل السابقة التي سبقت.

فللباقر - وهذا يعطيه خصوصية ونلاحظ له - دور عظيم في المجتمع الإسلامي في تسليط الضوء، بناءه للحوزات العلمية في المدينة حيث تمكن من خلال عمله في وضع قواعد وأسس الحوزة العلمية لمدرسة الكوفة والتي تحولت إلى بغداد والنجف والحلة وعادت إلى النجف، وضع أركانها ودعائمها الإمام الباقر عليه السلام وجاء الإمام الصادق عليه السلام فرعاها ووسّع مدى الحوزة وكان الإمام الباقر له الدور الرئيسي والمهم لوضع الأركان والمناهج لحوزة قم. والتي هي عش آل محمد عليهم السلام كما ورد في الروايات، والإمام الباقر عليه السلام الذي يبقّر العلم بقرّاً قد تمكن أن يفتح أبواب العلم وينشرها ويقوم المؤسسات

العلمية بالعالم الإسلامي، ومؤثرة في العالم ولها دور عظيم آخر. دور عظيم آخر بالاستقلال الاقتصادي حيث إن الاستقلال اليوم له عدة مفاهيم، والإمام الباقر عليه السلام كان له دور عظيم في استقلال الدولة في زمن بني أمية حيث واجهوا مشكلة خطيرة بعد أن أراد ملك الروم الإساءة إلى شخصية الرسول من خلال الكتابة على العملة المتداولة. الإساءة والتوهين إلى المسلمين، وكانت العملة الرومية في ذلك الوقت شأنها شأن الدولار في الوقت الحاضر، كانت عملة عالمية، ولم يجدوا حلاً، فاستشاروا الإمام الباقر عليه السلام بذلك ليخلصهم من هذا المأزق فقال الإمام الباقر للخليفة الأموي: أسس مركزاً لضرب الدينار الإسلامي ليكون مستقلاً عن العملة الرومية. وبذلك استطاع الإمام أن يجعل العملة الإسلامية مستقلة عن العملة الرومية، فالإمام الباقر عليه السلام شخصية عظيمة. وإذا انتقلنا إلى الحديث عن الإمام الهادي عليه السلام وذكرى شهادته حيث إن المسلمين ومحبي أهل البيت عليهم السلام يجتمعون في سامراء المقدسة التي تقدرت بوجود الإمامين الحسن العسكري والهادي عليهما السلام وولادة الإمام الحجة (عج) فالاجتماع لا بد أن يأخذ منحى - أولاً - توحيد كلمة المسلمين في مسيرته وحركته وتأكيد الولاء والحب لأئمة أهل البيت عليهم السلام.

وأود أن أشير إلى نقطة مهمة جداً في شخصية هذا الإمام العظيم وهذه النقطة هي أن الإمام الهادي عليه السلام هو الذي خطط لبناء الجماعة الصالحة المتمثلة بشيعة أهل البيت عليهم السلام وإعدادهم إعداداً كاملاً ليقوموا بمسؤولياتهم في زمن الغيبة، وإذا أردنا أن نرجع إلى التاريخ ونرى هذه القدرة والطاقة والكفاءة الموجودة لتحملهم للمسؤوليات وجماعة أهل البيت.

إن الأساس لهذا الاستعداد والبناء لحركة هذه الجماعة المنظمة في حركتها هو الإمام الهادي عليه السلام والتي رعاها بعده الإمام الحسن العسكري عليه السلام التي استمرت امامته خمس سنوات في هذه الفترة القصيرة.

لقد كانت فترة إمامة الهادي عليه السلام أطول فترة قياساً لبقية الأئمة عليهم السلام باستثناء الإمام الحجة (عج).

أصحاب الإمام الهادي عليه السلام في هذا الوقت قاموا بتحمل أعباء المسؤولية في زمن الغيبة وقد نقلوا التجربة الى الأجيال التي جاءت بعده، والإمام الهادي عليه السلام تمكن أن يدخل في قضية العقيدة وتفصيل العقيدة ويتبني الجماعة الصالحة في كل تفاصيلها. ويمكن ملاحظة ذلك من خلال زيارة الجامعة المروية عن الإمام الهادي عليه السلام، وأدخل أيضاً هذه التفاصيل في زيارة الغدير للإمام أمير المؤمنين والمروية عن الإمام الهادي عليه السلام. وتمكن أن يقدم خدمة للبشرية وللعالم، لا تضاهيها خدمة للجماعة الصالحة وللساثرين على نهجهم.

كما نسأله تعالى أن يجعلنا من أوليائهم والساثرين على نهجهم وسلوكهم وأن نكون من المرضيين من قبلهم وموضع الرضا ولا سيما بقية الله الحجة بن الحسن (عج) ومن جنوده وأنصاره والممتهدين له، وأن ينزل بركاته عليكم وعلى جميع أتباع أهل البيت وينزل نصره المظفر في جميع المواقع وخصوصاً في العراق بلد العتبات المقدسة وأن يعجل الله ظهوره.

اللهم صل على محمد وآل محمد، وبارك على محمد وآل محمد، وتفضل على محمد وآل محمد.

﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين.﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ.﴾

صدق الله العلي العظيم

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين حمداً دائماً أبداً يصعد أوله ولا ينتفد آخره،
والصلاة والسلام على سيدنا ونبيّنا سيّد الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطيبين
الطاهرين. ونصلي ونسلم على أمير المؤمنين وعلى زوجته فاطمة الزهراء بنت
محمد ﷺ وعلى ولديه سبطي نبي الرحمة الحسن والحسين وعلى علي بن
الحسين وعلى محمد الباقر وعلى جعفر الصادق وعلى موسى بن جعفر وعلى
علي بن موسى وعلى محمد الجواد وعلى علي الهادي وعلى الحسن
العسكري وعلى الخلف الهادي المهدي (عج).

أوصيكم عباد الله بتقوى الله، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى، جعلنا الله
وإياكم من المتقين ومن المتمسكين بالعروة الوثقى نأتمر بأوامره ونواهيه
ومتمسكين بتعاليمه وآتباع رسوله وأهل بيت الرسول ﷺ.

في حديثنا نحاول أن نتناول موضوعين رئيسين:

الموضوع الأول: العدوان الذي تعرضت له المرجعية الدينية في النجف
الأشرف، في هذا الموضوع، الحديث واسع ولكن أشير الى نقاط لكي يتضح
الموقف تجاه هذا العدوان والذي يمثل ظاهرة خطيرة في هذه المرحلة من
الناحية السياسية والاجتماعية، وهذه الظاهرة تستهدف أهم مركز مقدس في
مجتمعنا العراقي، فالمرجعية ليست قضية شأنها شأن الأحزاب الإسلامية كما
أشرت لها. المرجعية الدينية لها تاريخ عريق في العراق يمتد الى أكثر من
قرن ولها دور في إدارة مختلف الأوضاع الاجتماعية والعقائدية والشقافية
والسياسية والدينية، لها دور واسع في هذا التاريخ وعندما تتعرض المرجعية

مع غض النظر عن الأسماء لهذا الاعتداء، أنا أتحدث عن المقام الرفيع لهذه المرجعية. المراجع كلهم نحترمهم ونقبل أياديهم لا أتحدث عن الانتماء وإنما هؤلاء امتداد لمقام الإمام، والاعتداء عليهم يشكل أمراً خطيراً في حياتنا الاجتماعية.

نلاحظ السياسات التي اعتمدها نظام العفالة باستهداف المرجعية وأول عمل قاموا به اعتدوا على مرجعية الإمام الحكيم ﷺ وانتهى إلى قتل المراجع كالشيخ البروجردي والشيخ الغروي والسيد محمد الصدر، بعدها استهدفوا الشيخ بشير النجفي والسيد محمد سعيد الحكيم.

وما تتعرض له المرجعية في الوقت الحاضر ليس أمراً جديداً. فمنذ الانتداب الانجليزي نجد أن عملهم الأول والرئيسي والبعيد عن الوطنية هو نفي المراجع كالتائيني وأبو الحسن الاصفهاني، كان هدفهم اخراج المراجع من حوزة النجف من أجل الضغط عليهم وإبعادهم عن مسؤولياتهم، بعدهم جاء حكم عبدالسلام عارف الذي انتهج نفس الخط وهي سياسة الاعتداء على المراجع هذه هي سياسة الاعداء، وحزب البعث كان القمة في العدوان. فنحن نعتقد أن أزمات النظام هم وراء هذا العدوان وهم الأساس ولا زالوا يندسّون تحت عناوين مختلفة ليصلوا إلى مآربهم في القضاء على المرجعية وتحطيم الحوزة.

الموضوع الثاني: هو مسؤولية قوات الاحتلال عن هذه الاعتداءات التي لم تقم بواجبها لحماية المرجعية وحماية الحوزة والأمة، ونحن ندين هذا الموقف، كذلك لم تقم بواجبها في المحافظة على الهيئات الدبلوماسية كمقر الأمم المتحدة والسفارات الخارجية في بغداد، نحن نحمل قوات الاحتلال مسؤوليات كبيرة ولا بد من متابعة هذه المسؤوليات، والشيء الأهم من ذلك

هو أننا طرحنا منذ اليوم الأول وقبل دخولنا الى العراق وفي الصحافة والحوارات ومن خلال الأخوة في مجلس الحكم والذين يحاورون قوات الاحتلال قلنا لهم: بأن على العراقيين أنفسهم أن يحموا العتبات المقدسة والمدن وكذلك المرجعية والأماكن المقدسة. ولكن على العكس أخذت قوات الاحتلال تنزع الأسلحة من المواطنين الذين نذروا أنفسهم لحماية المرجعية والحوزة والأمة من كيد الأعداء...

نحن ندعو الى ضرورة تشكيل قوة عراقية لحماية الأماكن المقدسة والمراجع ولا نسمح لقوات الاحتلال بأن يحموا هذه الأماكن.

والنقطة الأخيرة أن قضية الأمن في العراق قد فشلت ولم تستطع قوات الاحتلال أن تسيطر على الوضع الأمني داخل العراق بل ازداد خطورة وتعقيداً ولا يوجد طريق لمعالجة هذا الموضوع إلا باعطاء السيادة الكاملة للشعب. والأمر الثاني: تحوّل الوضع الأمني الى العراقيين أنفسهم كما أن الشعب الذي لا بد له أن يتعاون مع الأجهزة الأمنية العراقية. النظام البائد كان يعالجها بالقهر والعدوان والقتل أما نحن نريد تشكيل أجهزة أمنية وبالتعاون مع الشعب.

نحن نوجه نداءنا الى قوات الاحتلال والى المجتمع الدولي ومنظمة الدول الإسلامية، يجب أن تتظافر الجهود وأن تكون القضية الأمنية للعراقيين أنفسهم هذه النقطة الأولى.

والنقطة الثانية: هي قضية الوزارة، قلنا منذ البداية لا ينبغي أن تكون بعنوان غنيمة يجب أن تقوم على أسس ثلاثة:

أولاً: أن يكون الوزراء أكفاء قادرين على ادارة الوزارة ومن أصحاب الكفاءات والقدرات والاختصاصات.

ثانياً: أن يكونوا مخلصين لشعب العراق وان يجِدُوا في بناء عراق جديد وأن يكون هذا الوزير جاداً في إخلاصه وعمله.

ثالثاً: أن تكون هذه الوزارة معتبرة ومنبثقة من الشعب فإذا كان هناك ثغرة فلا بد أن يمثل فيها جميع الطوائف للشعب العراقي وان يتعاون الشعب معها. وهنا تثار في الإعلام، الوضع الطائفي بأن الشيعة أخذوا الحصص الكبرى. نحن منذ البداية دعونا الى الوحدة الإسلامية ولا نوافق أن تتزعزع هذه الوحدة. والنظام الطائفي كان نظام صدام، لذلك زعزع وحدة الشعب العراقي. وإذا أراد الشيعة أن يأخذوا النسبة الصحيحة لأخذوا ما يقارب ٦٥% ولكن تنازلوا وأخذوا الحد الأدنى وهو ٥٢% من أجل المحافظة على وحدة الصف ووحدة الشعب واقتدوا بإمامهم علي عليه السلام «لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين». عندما كان الإمام يتحدث عن حقه خاطبهم بهذه الكلمات.

نحن لا نؤمن بالنظام الطائفي، والوزارة مشاركة لكل الأطياف من أجل خدمة الشعب والمحافظة على مكتسبات الشعب. عندما تكون انتخابات واحصاء تتبين النسب والحقائق.

علينا أن نضع الطائفية جانباً ولا نترك فرصة لعودة الظلم والاضطهاد وان يوفق المتصدين لهذه الأهداف وأن نكون على وعي كامل وحذر من الأعداء..

وأخيراً هذا البلد يقصده الجميع وخصوصاً الأماكن المقدسة فعلى جميعنا أن نحافظ على كرامة وقدسية هذه الأماكن المقدسة من عبث العابثين من جميع النواحي فلا يجوز شرعاً وعرفاً النيل من قدسية هذه الأماكن المقدسة بأي شكل من الأشكال.

والحمد لله رب العالمين

استشهاده

في الأول من شهر رجب المرجب عام ١٤٢٤ هـ أدى شهيدنا المظلوم آخر صلاة له في الحرم العلوي بكل خشوع وتوجه الى الله تعالى صائماً صابراً موثقاً نفسه على لقاء الله.

وما أن خرج من الحرم العلوي باتجاه السيارة التي كانت قد أعدت لنقله، وإذا بروحه الطاهرة كانت قد تسامت الى ربها قبل أن تتناثر أشلاؤه وتتطاير خلاياه لتملأ الفضاء الفسيح بالأنغام تفجر الطاقات المتراكمة وتفجع القلوب التي طالما كبتتها الأوهام والدعايات المغرضة للأعداء.

وإذا بمواكب النور تنطلق في مسيرات متلاحمة ونفوس قد عزمتم على مواصلة درب الجهاد والتضحية حتى ترفرف راية الإمام المهدي المنتظر على ربوع العراق الجريح.

فسلام عليه يوم ولد

ويوم جاهد وصابر

ويوم استشهد ويوم يبعث حياً

الفصل العاشر

جولة متأنية في تراثه المطبوع

لعل من أهم سبل خلود الشخصيات العظيمة على مدى التاريخ هو خلودها من خلال افكارها وآثارها العلمية ونن وان كنا لا ننكر اثر السيرة والسلوك والجهاد في ساحات العمل السياسية في هذا المجال والاجتماعية ايضاً ولكن يبقى للتراث العلمي والثقافي كلمته المهمة والسبابة في هذا المجال.

وعلى هذا الاساس آثرنا ان نخصص هذا الفصل للحديث عن اهم مؤلفات شهيدنا الغالي وبالأخص المطبوعة منها ونحن وان كنا قد تعرضنا لذكر وتعداد مؤلفاته في فصل سابق إلا اننا نحاول هنا التعريف بهذه المؤلفات واعطاء صورة واضحة للقارئ الكريم عنها.

وقد استفدنا في هذا الفصل وفي مواضيع عديدة من مقدمات المؤلفات ذاتها والتي كتب اغلبها سيدنا واستاذنا الشهيد محمدباقر الحكيم رحمه الله واكتفينا بها للتعريف بتلك الكتب وحاولنا في مواضيع اخرى ان نتحدث ولو بصورة مختصرة حول مضمون المؤلف مورد البحث، آمليين التعرف في فرصة اخرى - ان شاء الله - لتراثه رحمه الله بصورة اكثر عمقاً وشمولاً وتفصيلاً.

(١)

المجتمع الإنساني في القرآن الكريم

لقد عرف الإسلام في أنظمتة وتشريعاته طريقه الى المجتمع - في الصدر الأول - من خلال التطبيق، ذلك لأن الجانب الاجتماعي من الإسلام لم يطرحه الرسول ﷺ كمنظريات عامة، ثم جاء التشريع والتقنين بناءً فوقياً لها ليشمل جميع مناحي الحياة، وإنما طرحه الرسول ﷺ من خلال التطبيق الخارجي لها وحسب الحاجات ومتطلبات الحياة الجديدة، حيث كان يبين القوانين والتشريعات اللازمة ويشخص الأحكام المختلفة في قضايا المجتمع التفصيلية. ولذلك لم يكن الإنسان المسلم بحاجة الى تصوّر النظرية، لأنه يعيش الإسلام وروحه وآثاره من خلال التطبيق.

ولكن حينما انحسر الإسلام عن التطبيق في مجمع المسلمين وواجه النظريات المذهبية الاجتماعية والمقائدية المختلفة، ظهرت الحاجة الملحة الى البحث الموضوعي القرآني في مختلف المجالات، لأن الإسلام أصبح بحاجة الى أن يفرض كمنظريّة مذهبية جاء بها الرسول ﷺ عن طريق الوحي الإلهي، وذلك من أجل أن تتضح الصورة الإسلامية في مدى صلاحية النظرية لمعالجة مشاكل الحياة المعاصرة وفهم الإنسان المسلم لها واستيعابها أولاً، ومن أجل مواجهة النظريات المذهبية ومقارنتها بالنظرية القرآنية ومعرفة أوجه الشبه والاختلاف بينها ووجه الامتياز عليها في النظرية القرآنية ثانياً،

وللتقليل والتحديد من التناقضات المذهبية او الاختلافات الفقهية، التي كان أحد أسبابها الاستغراق في التفاصيل والتركيز على الجزئيات ثالثاً. وعلى أساس هذه الحاجة اخترنا هذا المنهج التفسيري في بحثنا الحاضر، حيث اخترنا موضوعاً من الموضوعات الحياتية المهمة التي تناولها القرآن الكريم، وحاولنا اعطاء النظرية الخاصة به من خلال مجمل الآيات التي تناولت أبعاده المتعدده، والقرائن ذات العلاقة به.

موضوع البحث وأهميته

إن القرآن الكريم تناول عدداً كبيراً من الموضوعات العقائدية والأخلاقية والاجتماعية والتاريخية.. وغيرها من مختلف الشؤون والمجالات.

ولعل موضوع (المجتمع الإنساني) الذي عنواننا به بحثنا هذا هو من أهم الموضوعات التي تطرق إليها القرآن الكريم لعدة أسباب: منها: ما يشتمل عليه من أبعاد مختلفة، عقائدية واجتماعية وتاريخية وأخلاقية، مثل بداية وجود الإنسان وبداية تكوّن المجتمع الإنساني، والعناصر الأساسية المقومة له، والسنن التي تتحكم في حركة المجتمع والتاريخ، والمراحل العامة التي مرّ بها المجتمع الإنساني، وحركة التكامل فيه، والتصوّر العام الذي يجب أن يكون عليه المجتمع الإنساني الصالح، والنهاية التي لا بد أن يصل إليها، والعوامل الروحية والاجتماعية التي تسوقه نحو الكمال وتحقيق الأهداف التي وضعها الله تعالى أمامه.

ومنها: سعة دائرة تناول القرآن الكريم لهذا الموضوع، لأن هدف القرآن الكريم هو هداية الإنسان وسعادته وتكامله وإخراجه من الظلمات الى النور، وبناء المجتمع الإنساني الصالح من أهم أسباب هذه الهداية والتكامل، وبذلك أصبح الإنسان في القرآن الكريم موضوعاً وهدفاً رئيسياً.

ومنها: أن البحث في موضوع (المجتمع الإنساني) من أهم البحوث التي اهتم بها الإنسان في هذا العصر، فهو موضوع حي مادام الإنسان حياً على وجه هذه الأرض، ولا يختلف عالما الإسلامي عن غيره في هذا الأمر، فبعد أن انتشرت في عالما المعاصر العديد من النظريات التي تناولت هذا الموضوع ومن مختلف الاتجاهات الفكرية، كان لابد للبحوث الإسلامية أن تتناوله من خلال رؤية القرآن الكريم، لمعرفة النظرية القرآنية والتصوّر الإسلامي بشأنه، ليقدم هذا التصور الى المجتمع الإنساني ككل، قبال النظريات والتفسيرات المادية الأخرى.

الإنسان محور الحياة

والذي يؤكد أهمية هذا الموضوع هو ما نلاحظه في القرآن من اعتبار الإنسان كمحور أساس للحياة والكون والمجتمع، وبذلك امتازت النظرية القرآنية على غيرها من النظريات.

ويمكن أن نرى ذلك بوضوح من خلال الأمور والأبعاد التالية:

الخلافة في الأرض

البعد الأول: هو ما ذكره القرآن الكريم من أن الله تعالى جعل الإنسان خليفته على الأرض، وبذلك امتاز الإنسان على بقية المخلوقات.

قال تعالى: ﴿وَإِذ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾^(١).

وحيثما تساءلت الملائكة عن سبب جعل الإنسان خليفة، وهو الذي يصدر منه الفساد وسفك الدماء، دونهم، وهم يسبحون الله ويقدمونه: ﴿..قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نستبح بحميدك وتقدس لك...﴾، أجابهم سبحانه وتعالى بأنه يعلم ما لا يعلمون: ﴿... قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾ .

ثم عرض سبحانه وتعالى مبرراً عملياً لهذا الامتياز وحق آدم ﷺ بالخلافة دونهم، حيث ميزه بـ (العلم) وذلك بتعليمه الأسماء كلها، ثم عرضهم على الملائكة وطلب منهم أن ينبثوه بأسمائهم، فلما عجزوا، طلب من آدم أن ينبثهم بهم، ثم أكد سبحانه وتعالى لهم القول: بأنه يعلم ما في نفوسهم، قال تعالى: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين﴾ قالوا سبحانه لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم * قال يا آدم انبثهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾^(٢).

وهنا يمكن أن نفهم الخلافة على أنها خلافة تشريعية في إدارة شؤون

(١) البقرة: ٣٠.

(٢) البقرة: ٣١-٣٣.

الأرض والتصرف فيها وفي إدارة نفسه وفي إدارة الكون المحيط به، كما يفهم ذلك من بعض الآيات الكريمة التي تتحدث عن الحكم ومسؤولية الإنسان عن سلوكه وعمله تجاه هذه الأمور، قال تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ...﴾^(١).

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون﴾^(٢).

كما يمكن - أيضاً - أن نفهم هذه الخلافة بأنها خلافة تكوينية ليكون مسؤولاً عن القيام بإعمار الأرض وإدارة شؤونها، والحركة والسلوك فيها: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامشوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾^(٣). وهذا ما سوف نتناوله بالبحث إن شاء الله.

التفضيل والتكريم

البعد الثاني: هو بعد تفضيل الإنسان وتكريمه على كثير من المخلوقات، وهو ما يفهم من أمر الله تعالى للملائكة بالسجود لآدم ﷺ، والذي يُعبر عن الخضوع والإعتراف بهذه الحقيقة الإلهية، والموقع المتميز له بالخلافة لله

(١) سورة ص: ٣٦.

(٢) يونس: ١٣-١٤.

(٣) الملك: ١٥.

تعالى على الأرض، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(١).

وكذلك ما رود من تكريم الله تبارك وتعالى للإنسان على كثير ممن خلق، وتفضيله عليهم تفضيلاً، وفي هذا إشارة الى الموقع المتميز له على من حوله في الأرض، بل والكون أجمع، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾^(٢).

فإن القرآن لا يذكر مثل هذا الوصف (كرمه) و (كرمنا) بصيغة التفضيل لأي مخلوق في هذا الكون ما عدا الإنسان، وحتى الملائكة الذين وصفهم بالطاعة والعبادة، وأنهم ﴿.. عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾^(٣)، ولم يصفهم سبحانه وتعالى بهذه الصيغة من التفضيل.

حمل الأمانة

البعد الثالث: - الذي خص به الإنسان - هو حمل الأمانة دون الخلوقات جميعاً، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾^(٤)، وقد خص الله سبحانه الجبال بالذكر دون غيرها من الموجودات، لما في مظهرها - مما يراه الإنسان - من الضخامة والقوة والقدرة والرسوخ الذي به ثبتت الأرض ورست، ومع

(١) البقرة: ٣٤.

(٢) الإسراء: ٧٠.

(٣) إشارة الى قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلِداً سُبْحَانَ اللَّهِ لَعَنَ الْكُفْرَانَ وَغَدَا حِمْلُ الْمَكْرُمُونَ﴾ الأنبياء: ٢٦.

(٤) الأحزاب: ٧٢.

كل ذلك لم تتمكن من حمل هذه الأمانة الإلهية، وكان الإنسان مؤهلاً لكل ذلك، دون السماوات والأرض والجبال. وما يهتمنا هنا هو تحديد هذا البعد بشأن الإنسان فقط.

تسخير الموجودات للإنسان

البعد الرابع: هو أن الله تبارك وتعالى سخر بقية الموجودات للإنسان، وجعله قادراً على التصرف فيها، كما في قوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لَتَجْرِي فِيهِ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَتَلْتَبَتُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون^(١).

وكذلك قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلُكَ لَتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ﴾ وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار^(٢). وغيرها من الآيات.

ويمكن اعتبار هذا التسخير والقدرة عليه شعبة من شعب الخلافة وبعدها آخر فيها، والذي يعني اعطاء الإنسان الإمكانيات والقدرات التي يحقق بها هذا التمكّن من الأرض والكون المحيط به، تعبيراً عن الخلافة التكوينية على الأرض والتي منها قدرته على تسخير الموجودات فيها، والتي تمثل شيئاً من الامتداد للقدرة الإلهية في التصرف في الأرض والكون، بالإرادة والاختيار،

(١) الجاثية: ١٢-١٣.

(٢) إبراهيم: ٣٢-٣٣.

والعقل والعناية الربانية.

فالإنسان بما وهبه الله تعالى من (عقل)، أصبح قادراً على تصور الأشياء في المستقبل بالتركيب بين المفردات الحسية، ومن خلال (إرداته)، أصبح قادراً على السعي لإيجاد هذه الصورة في المستقبل.

الإنسان محور التغيير في الكون

البعد الخامس: هو أن الله سبحانه وتعالى، ربط التغييرات الحياتية في هذا الكون، بالتغييرات التي تطرأ على الإنسان، ومحتواه الداخلي (الروحي والنفسي) وهذه صفة وخصوصية تميز الإنسان بها على بقية الموجودات، بحيث أصبح هو المحور لهذه الموجودات.

وهذا البعد يمثل النتيجة لبقية الامتيازات السابقة ويعبر عنها، فنحن نرى من خلال القرآن الكريم، أن التغييرات الاجتماعية في الحياة الإنسانية، ترتبط بالتغييرات النفسية، والتغييرات الكونية ترتبط بالتغييرات الاجتماعية الكلية، قال تعالى: ﴿.. إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ...﴾^(١).

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٢)، إذ ربطت هذه الآية التغيير الذي يحصل في السماء والأرض من نزول البركات والخيرات بالمجتمع الذي تسوده التقوى والإيمان، وعلى العكس من ذلك عندما يعم

(١) الرعد: ١١.

(٢) الأعراف: ٩٦.

المجتمع الإنساني الكفر والفساد والفسق والفجور، يتعرض الإنسان الى العقاب الإلهي والهلاك، كما أشارت الى ذلك هذه الآية الكريمة، وكما يدل عليه قوله تعالى: ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون﴾^(١).

وخلاصة ما يستفاد من الأبعاد السابقة التي ذكرها القرآن الكريم، أن الإنسان يمثل المحور الأساس في هذا الكون المحيط به من سماوات وأرض ومخلوقات، ومن ملائكة وجن وحيوانات ونباتات.

ولعل العنصر الأساس الذي استحق به هذا الامتياز، بحيث أصبح المحور في هذه الحياة، هو ما أشار إليه القرآن الكريم في بدأ خلق الإنسان، حيث أن الله تبارك وتعالى نفخ فيه من روحه، فهو نفحة إلهية تحمل في جوهرها قدراً من الصفات الإلهية، قال تعالى: ﴿وإذ قال ربك للملائكة آني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون﴾ فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾^(٢)، ولعل هذا هو الذي يفسر الطلب من الملائكة السجود لآدم.

فصول البحث

تبيّن لنا من خلال العرض للأبعاد المتعددة للإنسان أن الحديث عنه سيكون حديثاً هاماً، لأنه يشكل عنصراً مهماً في فهم النظرية القرآنية عن المجتمع الإنساني. وسوف نتناول في هذا الحديث بداية خلق الإنسان

(١) الروم: ٤١.

(٢) العنكبوت: ٢٨-٢٩.

وخلافته في الأرض لنعرف:

أولاً: معنى الخلافة ومبرراتها الذي سوف يلقي ضوءاً على هذا الامتياز والمحورية.

ثانياً: مسيرة هذه الخلافة من خلقها ووجودها وحتى قيامها على الأرض، وبذلك تتحقق بداية المجتمع الإنساني على الأرض.

وقد ارتأينا أن يشكل هذان الموضوعان (الباب الأول) من هذا البحث، ويكون ذلك في فصلين.

وأما الباب الثاني من البحث: فهو يتناول (المجتمع الإنساني ونشوءه)، حيث نتناول في هذا الباب العناصر الأساسية التي يتكون منها المجتمع الإنساني، والوحدة الفطرية التي كان يقوم عليها هذا المجتمع، ووجود الاختلاف فيه بعد ذلك من خلال العامل الفطري البدائي.

وفي الباب الثالث نتحدث عن الاختلاف في المجتمع البشري وتأثير الهوية على عناصر الوحدة الفطرية، ومعالجه هذا الاختلاف بالشريعة والإمامة والأسس التي يقوم عليها التغيير في المجتمع الإنساني، سواء الأسس البشرية أو الرسالية.

وفي الباب الرابع نتناول النظرية القرآنية في حركة التاريخ، ودور العقيدة الدينية في تقديم المثل الأعلى للإنسان، وتأثير ذلك في العلاقات الاجتماعية، وسنحاول أن نقارن بين ما يطرحه الإسلام، وما تطرحه النظريات الأخرى في هذا المجال.

وفي الباب الخامس نتناول موضوع الدين والعلاقات الاجتماعية،

ونبحث بذلك علاقة الدين بالعناصر الأساسية للمجتمع الإنساني، في
ثلاثة فصول:

١- علاقته بالطبيعة.

٢- علاقة الإنسان بالإنسان.

٣- والعلاقات المتبادلة بين الإنسان والإنسان من ناحية، والإنسان
والطبيعة من ناحية أخرى.

وفي الباب السادس - وهو أوسع الأبواب - نبحث أسس الوحدة الإلهية
الخمسة، والحكم الإسلامي في هيكله وأركانه، ودور الحكم في المجتمع
الإنساني، وخصائص الحكم الإسلامي، كما نبحث - أيضاً - منهج تحقيق
الوحدة ووسائلها. ثم نختم البحث بالفصل الرابع، وهو النتائج والآثار التي
حققتها الرسالة الخاتمة، التي سوف تنتهي - بإذن الله - إلى إقامة الوحدة
الكاملة في مجتمع العدل المطلق، عندما يظهر الإمام الحجة عجل الله تعالى
فرجه الشريف.

وإني لأشكر الجهود الطيبة التي بذلها تلميذنا الفاضل الشيخ المهندس
أبو حيدر الشوكي دام عزّه^(١) في إعداد الكتاب من تلخيص للمحاضرات
وتقويم للنص، وإبداء الملاحظات الفنية والتوضيحية، مما كان له الأثر المفيد
في صياغته بهذه الصورة، كما أشكر - أيضاً - جهود ولدنا العزيز الفاضل
السيد محمد صادق الحكيم دام عزّه على قيامه بصف الكتاب وتصحيحه

(١) وهو الاستاذ الفاضل محمد جواد الزبيدي الذي شارك في إعداد أكثر من كتاب من كتب آية الله الشهيد
السيد محمد باقر الحكيم في حياته المباركة.

واستخراج بعض مصادره، وبيان ملاحظاته المفيدة.

أسأل الله تعالى أن يكون لهما الثواب والأجر والتوفيق، كما وأسأله تعالى أن يجعل هذا البحث نافعا لي عند الله والناس، وأن يكون ذخيرة لي في يوم ألقاه، وأن يغفر لي ما فيه من أخطاء واشتباه، وأن يعفو عني وعن والديّ وجميع المؤمنين يوم الحساب، وأن يتغمّد علماءنا الماضين الذين استفدنا منهم برحمته الواسعة، ولاسيما أستاذنا الشهيد الصدر رحمه الله ووالدنا الإمام الحكيم رضوان الله عليه.

وقد تم ذلك له في ربوع هذه الجمهورية الإسلامية المباركة الي كانت من أعظم النعم الإلهية علينا، تعمد الله مؤسسها الإمام الخميني بالرحمة والرضوان.

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطاهرين ^(١).

(١) لقد كانت كتابته لهذه المقدمة قبيل استشهاده، إذ أُرْخِصَها بـ ٢٩ صفر سنة ١٤٢٤ هـ. تختمه الله برحمته الواسعة وحشره مع محمد وآله الأطهار.

(٢)

علوم القرآن

وقد عرّف السيد الشهيد كتابه هذا في مقدّمة الطبعة المزيدة والمحققة التي قام بنشرها مجمع الفكر الإسلامي وإليك نصّه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على نبيّه سيد المرسلين محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه المنتجبين. اللهم اهدنا بالقرآن، ووفقنا لفهمه وتدبره والعمل به، وثبتنا على هداه، وأعنا على تحمل أعبائه وإبلاغه ﴿... ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعفُ عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾^(١).

وبعد...

هذه محاضرات كنت قد وفقت لالقائها على طلبة كلية أصول الدين في بغداد منذ بداية تأسيسها في عام (١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م)، وكان قد كتب الجزء الأول منها - وهو ما يخص طلبة الصف الأول وبداية الصف الثاني - سيدنا آية الله العظمى السيد الشهيد الصدر رضوان الله عليه، وقد راعى هذا التدوين المستوى العلمي البسيط لهذه المرحلة، ولكن مع ذلك جاءت هذه الكتابة مشتملة على لفتات علمية وابتكارات نظرية في هذا العلم الشريف.

(١) البقرة: ٢٨٦.

وقد أكملت المنهج للسنوات الأخرى، حيث كنت أواكب في التدوين مسيرة التدريس. وقد حاولت الاستفادة فيها مما دونه أو ذكره أعظم العلماء في هذا الفن أو بعض الباحثين الذين كانت له ممارسات في هذا المجال، مراعيًا في ذلك النقاط التالية:

١- غزارة المادة وعمقها.

٢- وضوح العرض ومنهجيته والتركيز على النقاط المهمة والأساسية.

٣- طرح الأفكار الصحيحة والأصيلة وتهذيبها.

٤- مراعاة المستوى العلمي المطلوب لطلاب الكليات المختصة، وللأوساط العلمية في الحوزات والمدارس الدينية التقليدية على مستوى مرحلة (المقدمات) و(السطح الأولي).

٥- الاهتمام بالموضوعات ذات العلاقة بالنهضة الثقافية الإسلامية المعاصرة وحركة الأمة نحو التجديد في التطبيق مع التمسك بالإسلام الأصيل النقي المستنبط من الكتاب الكريم والسنة النبوية.

٦- الالتزام بالمنهج العلمي الذي يتسم بالاحترام، والدقة والموضوعية في القضايا ذات الطابع المذهبي والابتعاد عن إثارة المشاعر والحساسيات المذهبية أو الطائفية وبالشكل الذي لا يضر ببيان الحقائق العلمية.

وقد كانت الظروف الموضوعية السياسية والاجتماعية الخاصة والعامة - عند كتابه هذه المحاضرات - لا تسمح لي بأن أعطي الوقت الكثير لهذه الأوراق، ولذا تم اعدادها في البداية بسرعة وفي وقت محدود، الأمر الذي جعل توثيق المصادر بالطريقة الفنية أمراً عسيراً خصوصاً فيما كتبه أستاذنا

الشهيد الصدر رضوان الله عليه وان هذه الكتابة لم تعد للنشر. ولكن قامت كلية أصول الدين في البداية بنشرها من خلال مجلتها (رسالة الإسلام) في مجموعة من أعدادها وبشكل تدريجي، فكان هذا النشر يمثل (الطبعة الأولى) لهذه المحاضرات. وبالرغم من أنني كنت قد أدخلت الكثير من التعديلات والملاحظات عليها من خلال تكرار تدريسها في الكلية المذكورة وطبعت هذه الملاحظات في (الملازم) الخاصة بالطلبة، إلا أنها لم تأخذ طريقها الى (المجلة).

ولم تتم لي في حينه مراجعة (المجلة) عند الطبع، فجاءت هذه الطبعة - بالرغم من فائدها والعمل المشكور الذي قامت به المجلة - مليئة بالأخطاء وأحياناً سقوط بعض الفقرات فضلاً عن الجوانب الفنية الأخرى.

ثم قام المجمع العلمي الإسلامي الذي يشرف عليه سماحة العلامة السيد مرتضى العسكري مؤسس وعميد كلية أصول الدين سابقاً، بطبع هذه المحاضرات مرة أخرى على شكل كتاب، حيث تم استنساخه وتصويره على أساس أوراق المجلة آفة الذكر مع ايجاد تطويرها في جانبين:

أحدهما: هو تقديم وتأخير بعض الموضوعات بافتراض أن ذلك أكثر انسجاماً مع المنهج التدريسي، ومن اهتمامات المجمع هو اعداد وطبع الكتب الدراسية للحوزات والمدارس الدينية.

والآخر: وضع فهرس جيدة في آخر الكتاب للآيات والأحاديث والأعلام والأمكنة والشعوب والنحل والكتب وغيرها.

وباعتبار أن السادة الأفاضل في المجمع كان هدفهم تقديم الخدمات المجانية بقصد كسب مرضاة الله تعالى وهو هدف مشترك، كما أن هذه المحاضرات لهم حق الاشتراك فيها فقد قاموا بطبعتها بدون مراجعتي، ولعله مراعاة لظروفي الخاصة التي لم تكن تسمح لي - بسهولة - مراجعة الكتاب، أو اعطاء النظر فيه مرة أخرى. فجاءت (الطبعة الثانية) مفيدة ونافعة ولكنها ناقصة.

وقد طلب مني بعض الأخوة الأعزاء، ومنهم الأخوة في مجمع الفكر الإسلامي طبعتها مرة أخرى، وكنت أطلب منهم تأجيل ذلك حتى تسمح لي الفرصة باعادة النظر في هذه المحاضرات علماً بأن الملاحظات السابقة قد افترقتها بسبب ظروف الهجرة والمطاردة ومصادرة الكتب وجميع الممتلكات من قبل سلطات البعث العقلي، حتى تمكنت أخيراً - والحمد لله - باقتطاف فرصة قصيرة ومحدودة وعلى السرعة من اعادة النظر فيها، فأدخلت فيها - مع مراعاة النقاط المذكورة آنفاً في أصل الاعداد - التعديلات التالية:

أولاً: تم تنقيح الكتاب على مستوى التصحيح والتوضيح بالنسبة الى مجموع المحاضرات، وازافة بعض النقاط أو حذفها بالنسبة الى القسم الذي كنت قد دونته.

ثانياً: اضافة بعض الموضوعات المهمة أو تكميلها مثل موضوع (نزول القرآن باللغة العربية) و (الهدف من نزول القرآن) و (التفسير بالرأي) و(مرجعية أهل البيت عليهم السلام الفكرية) و(التفسير عند أهل البيت عليهم السلام) وبعض

الموضوعات ذات العلاقة بالقصص القرآني، والفصل الثاني من خلافة الإنسان وغيرها من الإضافات المهمة.

ثالثاً: تمت إعادة ترتيب الكتاب مرة أخرى بالشكل الذي يتناسب مع التدرج في الموضوعات والمستوى العلمي لها. وقد قسمت الكتاب الى أربعة أقسام:

يتناول القسم الأول موضوعات عامة حول القرآن.

والقسم الثاني: يتناول أبحاثاً حول بعض الموضوعات القرآنية كالمحكم والمتشابه والنسخ، وكذلك معالجة بعض الشبهات المهمة التي أُثيرت حول القرآن الكريم.

والقسم الثالث: تناول موضوع التفسير (التفسير والمفسرون) كأبحاث معنى التفسير والتأويل وشروط المفسر والتفسير بالرأي وتأريخ التفسير والتفسير عند أهل البيت عليهم السلام.

والقسم الرابع: تناول موضوع التفسير الموضوعي، حيث عرفناه، وبتنا أهميته وميزته الرئيسية، ثم تناولنا ثلاثة موضوعات بالبحث وهي: القصص القرآني، والحروف المقطعة في أوائل بعض السور القرآنية، وخلافة الإنسان. وقد لوحظ في إعادة الترتيب والتقسيم المستوي العلمي المتدرج، بحيث يتطابق مع تطور الدرس عند الطالب.

رابعاً: لاحظنا في كتابة البحث أن يكون العرض مدرسياً، ولذا استخدمنا التقسيم الى نقاط ومقاطع وفصول تسهيلاً للدارسين.

خامساً: حاولنا - بقدر الامكان - الاحتفاظ بكتابة أستاذنا الشهيد الصدر رضوان الله تعالى عليه إلا بقدر محدود من التوضيح والتعديل مع الإشارة الى

نسبة الكتابة إليه في الهامش، ويمكن الرجوع لمعرفة النص الدقيق لما كتبه الى الطبعة الأولى والثانية.

وختاماً أسأله تعالى أن يجعل هذا الكتاب نافعا للأخوة المطالعين والدارسين، وأن يتفضل عليّ بالقبول ويصلح لنا نياتنا وأعمالنا، ويجعله ذخيرة لنا في الآخرة ويوفق المسلمين للمزيد من الاهتمام بالقرآن والعمل به ويحقق النصر لهم على أعدائهم^(١).

(٣)

الهدف من نزول القرآن

أهمية الموضوع

ويمكن أن نشير بهذا الصدد وبشكل مختصر الى النقاط التالية:
الأولى: إن فهم القرآن الكريم يتأثر بمجموعة من القضايا كأن تكون الرؤية في تفسيره إسلامية من منطلق أنه وحي إلهي وليس نتاجاً بشرياً، وأن نعرف الظروف التي نزل فيها القرآن الكريم، وأسباب النزول التي تمثل القدر المتيقن من المصداق في المفهوم القرآني.

ومن أهم هذه القضايا التي تؤثر في فهم القرآن الكريم معروفة الهدف من نزوله، لأنّ الهدف بطبيعة الحال يُلقى بظلاله على المعنى القرآني، بحيث يكون إحدى القرائن العامة المنفصلة التي تكتنف النص.

فعندما يتحدث القرآن الكريم عن الكتاب أنه تبيان لكل شيء ﴿.. ونزلنا

(١) مقدمة كتابه: علوم القرآن: ٧ - ١١.

عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴿١﴾، يمكن أن نفهم (كل شيء) هنا على ضوء (الهدف من نزول القرآن)، فالمراد من التبيان هو التبيان الشامل لما يرتبط بهذا الهدف، وهكذا في الموارد الأخرى.

الثانية: إن معرفة الهدف القرآني سوف تساهم في تفسير مجموعة من الظواهر القرآنية - كما سنتناوله بشيء من التفصيل - مثل ظاهرة القصة في القرآن وتكرارها، وظاهرة النسخ والاهتمام بالأحداث التي تمثل أسباب النزول، أو ببعض التفصيلات في الأحكام الشرعية دون البعض الآخر، حيث قد يختلف تفسير الظاهرة باختلاف تفسير الهدف من القرآن، كما في تكرار القصة الذي يتجه البعض إلى تفسيره على أساس بلاغي، بينما قد يكون الأساس التربوي هو التفسير الصحيح.

الثالثة: إن القرآن الكريم يتميز بمنهج خاص فريد في العرض والمضمون والنزول، والنتاج الإنساني - مهما سما - لا يمكن أن يبلغ مستوى هذا المنهج، ولكنه مع ذلك يمكن أن يعتبر المنهج القرآني (الأسوة) التي يتأسى بها السائرون على طريق الأنبياء والمرسلين. ولتشخيص الهدف من القرآن أهمية خاصة في موضوع هذا التأسى، حيث يمكن أن يسعى الرساليون إلى تحقيق الأهداف المشابهة باتباع منهج القرآن باعتباره المنهج الأمثل في تحقيق هدفه، خصوصاً إذا أخذنا بنظر الاعتبار أننا نواجه في الوقت الحاضر مرحلة تغييرية كبرى تشبه إلى حد ما المرحلة التي عاشها الإسلام في الصدر

الأول.

فإن المسلمين بالرغم من إيمانهم بالعتيدة الإسلامية والتزامهم بكثير من الشعائر الإسلامية إلا أنهم - بسبب الظروف القاسية العسكرية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية التي أوجدها الاستعمار وقوى الاستكبار العالمي في بلادهم، وبسبب ابتعادهم التاريخي عن روح الإسلام وتطلعاته - أصبحوا يشبهون أهل الكتاب في الصدر الأول الإسلامي الذين كانوا قد ابتعدوا عن دياناتهم السماوية وروحها وأهدافها الحقيقية وإن كانوا يلتزمون ببعض الشعائر والعقائد الدينية. ولكنهم أصبحوا بعيدين عن الواقع والمضمون الصحيح للديانة السماوية.

وهكذا نجد المسلمين في مجتمعاتهم وعلاقاتهم بعيدين عن الإسلام، وإن كان القرآن الكريم قد حفظ لهم أصول ديانتهم، والسنة النبوية وحركة الاجتهاد الصحيح قد تمكننا من إبقاء التصورات والأحكام الإسلامية تجاه مختلف الأحداث والقضايا بحيث يمكن للمسلم المخلص أن يصل الى الحقيقة بالرغم من بعدها عن التطبيق العملي.

هنا تكمن الفائدة العظيمة في تحقيق الهدف القرآني، وذلك من خلال التعرف على الأسلوب والمنهج القرآني في عرض المضمون، ودراسة القرآن من خلال أبعاد هذا المضمون، وملاحظة الظروف الموضوعية في القاعدة التي نزل فيها القرآن وخصائصها، والتدرج في النزول والعرض، الى غير ذلك من الخصوصيات، والخروج بنتائج معينة بهذا الصدد.

كما يصبح تشخيص الهدف القرآني العام أمراً مهماً من خلال ملاحظة

أسلوب القرآن ومن خلال أتباعه لأن القرآن يمثل أفضل الأساليب.

الرابعة: إن القرآن الكريم يحظى بقدسية واهتمام بين المسلمين باعتباره الوحي الإلهي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وباعتباره الصيغة والنص الإلهيين لهذا الوحي والمضمون.

ولذا لا بد للمسلمين أن يبقوا متفاعلين مع القرآن دائماً، كما كانوا كذلك في مختلف عصور التاريخ الإسلامي وإن بمستويات متفاوتة.

ولتشخيص الهدف من نزول (القرآن) أثر كبير على طبيعة هذا الاهتمام والتفاعل ومستواه ومضمونه، إذ إن الاهتمام والتفاعل يكونان تارة على مستوى حفظ النص القرآني وسلامة تركيبه، وأخرى على مستوى الاهتمام بالمضمون القرآني وفهمه، وثالثة على مستوى التعرف على هداية القرآن الكريم والحقائق العلمية والتاريخية والاجتماعية.. التي احتواها القرآن الكريم، ورابعة على مستوى طرحه كشعار للإنسان المسلم يتزين به ويردده في الصبح والمساء من خلال الاذاعات أو المناسبات أو المجالس الدينية.

ويبقى الأهم من ذلك أن يكون التفاعل والاهتمام بالقرآن على مستوى تحقيق الهدف منه، الذي يجسد التفاعل والاهتمام الحقيقيين، ويشمل في الوقت نفسه مختلف المستويات الأخرى، التي هي بمثابة المقدمة أو الطريق للوصول الى هذا الهدف^(١).

(١) انظر مقدمة كتابه: الهدف من نزول القرآن: ص ٩٠٥.

(٤)

- تفسير سورة الحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

إن تفسير القرآن الكريم من أعظم الأعمال العلمية والتربوية والدينية وفي الوقت نفسه يعتبر من أدق وأشق الأعمال؛ لأنه يتعامل مع كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه حيث يشتمل القرآن الكريم على المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ والخاص والعام والمطلق والمقيد وقد نزل بصورة تدريجية ليواكب مسيرة الرسالة الإسلامية وأحداثها ويشبه فؤاد النبي ﷺ وينزل السكينة على قلوب المؤمنين كما أنه حي لا يموت يعيش مع العصور والأجيال المتناوبة من التاريخ الإنساني لأنه يعتبر عن الرسالة الإلهية الخاتمة، وله مصاديق وتطبيقات في كل عصر وزمان.

ومن هنا نجد أن منهاج التفسير وكتبه على كثرتها واختلاف أبعادها واهتماماتها وفي إيجازها وإطنابها وفي عصورها المتعددة في القرون الماضية وحتى عصرنا الحاضر، بقيت الحاجة قائمة لتفسير القرآن الكريم والتجديد فيه، سواء في المنهج والأسلوب، أو في الاستنباط والفهم، أو في التطبيق والتأويل، وهذه المحاولة التفسيرية لسورة الفاتحة - مع طرح بعض مقدمات التفسير - تأتي ضمن هذا الفهم والرؤية للقرآن الكريم.

ولا أدعي أنني قد جثت فيها بشيء جديد لأنني لم أوفق إلا لمراجعة عدد محدود من كتب التفسير ومصادره، ولم استوعب حتى هذا العدد المحدود

في كل آية مما تناولته في سورة الحمد، ولذا فلا يمكنني أن أُصدر مثل هذا الحكم، وإنما هي محاولة لتحليل هذه السورة الشريفة في فهمها واستجلاء معانيها وأهدافها بصورة مختصرة تتناسب مع وقت ومستوى الدرس التفسيري الذي كنت قد ألقيته على مجموعة من طلبة العلوم الدينية في الحوزة العلمية في قم.

وقد تكفل أحد طلبتنا الأعزاء - وهو جناب الفاضل المهندس الشيخ محمد جواد فاضل الزبيدي مشكوراً - بكتابة تقرير الدرس وتلخيصه ثم قمت بمراجعته فكان هذا الجزء من التفسير الذي أرجو منه تعالى أن يكون نافعا في رفد الحوزة بمادة تفسيرية نافعة في منهجها الدراسي.

وقد قمت بتدريس هذه المادة في وقت لم تكن الحوزة العلمية العربية في قم مع الأسف ملتزمة بتدريس هذه المادة في منهجها الدراسي العام، فكانت هذه المبادرة المحدودة الأولية مساهمة في تشجيع وحث الأخوة الدارسين من ناحية، والمهتمين بتطوير الحوزة العلمية ومناهجها من ناحية أخرى على الاهتمام بهذا الموضوع الرئيس في مناهجها العلمية.

ولإكمال الفائدة في هذا المجال، أود أن أشير في هذه المقدمة الى مجموعة من النقاط أعتقد أنها نقاط مهمة لا بد من اعتمادها في منهج التفسير، حيث حاولت أن آخذ بها أو ببعضها حسب تناسب الفرصة والظروف، وقد أشرت الى المنهج الصحيح للتفسير في المقدمة الأخيرة من مقدمات التفسير، ولكن هنا أحاول أن أُلخص (الأسس العامة للتجربة التفسيرية) التي يمكن أن تستنبط من نظرية أهل البيت عليهم السلام في تفسير القرآن الكريم، وذلك

اكتمالاً للفائدة وبياناً للمنهج الذي يحسن اعتماده، كما اعتقد أن الدراسات التفسيرية في الحوزة العلمية يجب أن تكون على مراحل تتناسب مع المستوى العلمي والدراسي لطلبة العلوم الدينية، مع الأخذ بنظر الاعتبار أهمية أن يكون التفسير مهتماً بالحاجات الفعلية التي يحتاجها طلبة العلوم الدينية في عصرنا الحاضر، الذي انفتح فيه العالم على الإسلام بعد انتصار الثورة الإسلامية، وقيام الحكومة الإسلامية الصالحة، والنهوض الإسلامي في البلاد الإسلامية، والحركة الواسعة للعودة إلى الإسلام، حتى بالنسبة إلى الجاليات الإسلامية التي كانت تعيش ظروف الغربة وأخطار الذوبان في المجتمعات الغربية، بل أصبحت البشرية الآن تتطلع إلى الإسلام كمنقذ لها من آلامها ومحتتها، وكحل صحيح لمشاكلها وأزماتها.

ولا شك أن القرآن الكريم الذي هو حيّ ويجري مجرى الشمس والقمر، كما يعبر عنه أهل البيت عليهم السلام يمثل أفضل حلّ وعلاج لهذه المشكلات، إذا تمكنا من تفسيره وتيسيره للناس بالصورة التي تنطبق على حياتهم، واستنطاقه بالطريقة التي يخاطب بهال الناس في هذا العصر، ويواكب قضاياهم ومشاكلهم، كما كان يخاطب الناس في عصر نزوله، وتمكن من أن يحدث فيهم ذلك التغيير العظيم، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم. ويمكن تلخيص هذه الأسس العامة للتجربة التفسيرية بالنقاط التالية:

١- توضيح المفردات اللغوية والمفاهيم القرآنية، وذلك بالرجوع إلى أصولها اللغوية، والتفتيش عن العلاقة بين هذه الأصول وبين موارد استعمال مادة هذه المفردات، والمفاهيم في مواضعها المختلفة وهيئاتها المتعددة، مما

يكون نظرة صحيحة عن معاني هذه المفردات القرآنية بعيداً عن الأطر الخاصة النابعة من ذات المفسر أو ظروفه ومجتمعه أو النابعة من الأطر الخاصة للصحابة والتابعين الذين فسروا القرآن من خلال هذه الأطر في كثير من الأحيان وألقوا بظلالها على هذه المعاني.

ولا يعني هذا بطبيعة الحال إلغاء القرائن الحالية أو المقالية، وإنما النظر بدقة الى هذا الجانب في فهم المعاني القرآنية وعدم الخلط بين المصداق الذي يكون مرهوناً بالظرف ويتبادر الى الذهن بصورة بدوية، وبين المفهوم والمعنى القرآني المقصود بالاستكمال.

لا سيما وأن القرآن كان من أهدافه الاهتمام بالمصداق في عصر نزوله لمعالجة وتغيير الأوضاع السائدة، ولم ينزل بشكل تجريدي، ولكن هذا الاهتمام بالمصداق في أسباب النزول لا يعني تقييد المعنى القرآني بذلك المصداق - كما يذكر في القرآن - والشيء نفسه نقوله بالنسبة الى الآيات المتشابهة، وضرورة عقد المقارنة بينها من أجل الوصول الى المعنى القرآني العام، بعيداً عن الإطار الخاص الموجود في هذه الآية أو تلك.

٢ - عدم الاستغراق في الأمور الفرعية للتفسير ذات العلاقة بالقضايا الأدبية أو النحوية أو اللغوية أو الصرفية أو الفقهية أو العقائدية أو التاريخية، إلا بالقدر الذي يرتبط بتكوين الصورة القرآنية.

وتحويل مثل هذه الأبحاث الى الأبحاث المختصة بها، لأن مثل هذا الاستغراق وإن كانت له فوائد علمية لا يمكن إنكارها وتستحق التقدير والاحترام للجهود التي بذلت من أجلها، ولكنها في الوقت نفسه تستهلك من

الدارسين الكثير من أوقاتهم، وتضيق عليهم فرصة التركيز على المعنى القرآني، كما أنها قد تشوش الفهم والرؤية الصحيحة للمعاني القرآنية، وتلقي بظلالها الثقيلة على المعنى القرآني الأصيل.

وهذه الظاهرة إنما نجدتها في كتب التفسير القديمة، باعتبار أن تطور هذه العلوم بدأ مواكباً لعلمية تفسير القرآن، فكان التفسير هو العلم الذي ولدت من رحمته هذه العلوم، واحتضنها حتى بلغت الرشد.

٣- الاهتمام بجانب (تفسير المعنى) الى جانب (تفسير اللفظ) وهو ما كان يصنعه المفسرون منذ البداية ولكن هذا الاهتمام بدأ يتضاءل بعد ذلك بسبب نموّ وتطور الاهتمامات الفرعية التي أشرنا إليها في النقطة الثانية.

وفي هذا الاهتمام نحتاج الى التفتيش عن أوسع الآفاق للمصدايق القرآنية، وأدقها سوءاً على مستوى الواقع الذي نزل فيه القرآن الكريم، أو الواقع الإنساني العام الذي يمثل الهدف الرسالي للقرآن الكريم.

ولعلّ من الخصائص المهمة للتفسير عند أهل البيت هو الاهتمام بهذا الجانب، بما يسمى في بعض النصوص بالتأويل، أو ما يجري عليه القرآن الكريم.

وهنا نحتاج الى الدقة أيضاً في تحديد هذه المصدايق، بحيث تتطابق مع المفاهيم القرآنية.

٤- الاهتمام بالسياق القرآني، وترابط الآيات بعضها ببعضها الآخر، وكذلك الارتباط بين بعض الفصول والمقاطع في السورة الواحدة، وذلك من أجل اكتشاف الأهداف القرآنية والمقاصد الربانية، لنزول الآيات في عملية

التغيير الاجتماعي، والإخراج من الظلمات الى النور.

٥- محاولة تصوّر الظروف التي أحاطت بنزول القرآن الكريم واستنباطها من القرآن الكريم نفسه، أو من المسلمات التاريخية، أو النصوص والروايات الصحيحة، وعدم الاكتفاء بالرواية المرسلة أو الإسرائيلية أو الضعيفة، فإن الإحاطة بهذه الظروف، يمكن أن يشخص الهدف، كما يشخص المصداق الذي عناه القرآن في عصر النزول، وينفع في تشخيص المصداق في العصور الأخرى.

٦- الحديث عن المعنى الإجمالي للآية والمقطع القرآني والهدف العام له، فإن ذلك ينفع في تكوين الصورة الكاملة والنظرية القرآنية والخروج من النظرة التجزيئية المتناثرة، كما ينفع في فهم الآيات والمقاطع الأخرى؛ فإن القرآن يشبه بعضه بعضاً، وينسجم بعضه مع بعضه الآخر.

٧- الاهتمام في بيان الأبعاد الاجتماعية والسياسية والأخلاقية والترهوية والسنن الاجتماعية، التي تتحكم في مسيرة التاريخ الإنساني، أو التي تؤثر في بناء المجتمع البشري، لأن الهدف الأساس للقرآن - كما ذكرنا في المقدمات - يرتبط بهذا الموضوع، لأن القرآن كتاب هداية وتطهير وتزكية وتغيير وإخراج من الظلمات الى النور على مستوى العقل والروح والسلوك.

٨- النظر الى القرآن الكريم كوحدة بيانية متكاملة، فهو على تفرقه ونزوله نجوماً وتدرجياً، ولكنه كتاب أحكمت آياته ثم فصلت، فلا بد من فهم مطلقه على ضوء مقيده، ومتشابهه على ضوء الآيات الأخرى المتشابهة والمحكمة، وهكذا بالنسبة الى الناسخ والمنسوخ، ومجمله ومبيته، وأوله وآخره.

٩- إرجاع المأثور من الحديث الى القرآن الكريم، وفهمه وقبوله على

ضوء القرآن الكريم، لا إرجاع القرآن الى المأثور، هذا كله في فهم المعنى القرآني، وأما معرفة المصاديق والقرائن الحالية فيمكن للمأثور أن يكون له دور مهم عندما يكون موثقاً ومعتمداً.

وهنا يجب أن نعرف أن هذا المأثور لا بد أن ينتهي الى النبي ﷺ والى أهل بيته الكرام الطاهرين.

١٠ - تناول بعض الموضوعات القرآنية بالبحث، واستنباط النظرية القرآنية فيها وفي حدود الآيات القرآنية والنصوص المعتبرة التي توضح الرؤية فيها، وذلك في حدود المقاصد والأهداف القرآنية.

إن هذه الأسس - مضافاً إليها ما ذكرناه من بعض النقاط في المنهج الصحيح للتفسير - يمكن أن تشكل أساساً لمنهج التفسير المقترح في الحوزات العلمية.

وفي الختام لا بد من أن أسجل كلمة شكر للأخوة الأعزاء الأفاضل في مجمع الفكر الإسلامي الذي أتاحوا هذه الفرصة لكتابة هذه المقدمة، ولطبع هذا النتاج والبضاعة المزجاة التي أقدمها بين يديه سبحانه وتعالى، سائلاً منه القبول لي وإخواني الأعزاء الذين ساهموا في هذا العمل القليل رجاء الأجر الكثير منه تعالى، فإنه يقبل اليسير ويعطي الكثير بمنه وفضله وجوده، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين^(١).

(١) مقدمة كتابه: تفسير سورة الحمد، الشهيد السيد محمد باقر الحكيم ﷺ.

(٥)

القصص القرآني

قدّم الشهيد لكتابه هذا الذي اقترحناه ليكون كتاباً دراسياً في المركز العالمي للعلوم الإسلامية وجاء تقديمه وافياً بغرض تعريفه وإليك نصّ ما كتبه في هذا الصدد:

لاشك أن موضوع القصة في القرآن من أهم الموضوعات القرآنية التي تحتاج الى اهتمام خاص وعناية متميزة؛ لأنّ القصة تعبر عن ثلث القرآن الكريم كما ورد في النصوص، وهي تتناول في الوقت نفسه عامة الأهداف التفصيلية التي استهدفها القرآن الكريم.

وقد كنت تناولت هذا الموضوع بالبحث بصورة مختصرة في المحاضرات التي أقيمتها على طلاب كلية أصول الدين في السنة الرابعة منها، حسب المنهج المعد، وكان البحث يتناول من حيث المنهج والمضمون جانباً جديداً في بحث القصة القرآنية، وحاولت بعد ذلك التوسع في البحث نسبياً؛ ليصبح قابلاً للنشر بصورة كتاب مستقل، ولكن الهجره كانت سبباً في أن يصبح هذا الكتاب بعد أن أنجزته بعيداً عن متناول اليد بعد أن تعرضت جميع ممتلكاتي ومنها مكتبتي الخاصة الى النهب والسلب على يد النظام الحاكم. وقد كرّرت التجربة في ذلك بعد أن طلب مني تدريس هذا الموضوع في جامعة الإمام الصادق عليه السلام قسم الدراسات العليا، فأضفت الى البحث بعض الموضوعات الأخرى مع توسع في الشرح والتحليل في الإلقاء.

ثم إن المركز العالمي للعلوم الإسلامية في قم الذي يتولى الشؤون العلمية للطلبة غير الإيرانيين وجد في هذا البحث والمنهج ما يلائم مناهجه العلمية،

فطلب مني اضافة (قصص أنبياء أولي العزم عليهم السلام) ما عدا نبينا محمد عليه السلام، فأضفت إليه قصص نوح وإبراهيم وعيسى عليهم السلام؛ إذ كان البحث السابق قد تناول قصة موسى عليه السلام بالتحليل، وبذلك أصبح البحث يشتمل على قسمين: (القصة في القرآن) و(قصص أنبياء أولي العزم عليهم السلام).
أما القسم الأول منها فيتضمن فصولاً خمسة:
الفصل الأول: خصائص القصص القرآني.

ونتناول فيه جانبين: الجانب الأول: القصة القرآنية والهدف العام من نزول القرآن، والجانب الثاني: الخصائص الأساسية للقصة في القرآن.
الفصل الثاني: أغراض القصة في القرآن الكريم، ونقسمها الى ثلاثة أنواع:
الأول: الأغراض الرسالية.
الثاني: الأغراض التربوية.
الثالث: الأغراض الاجتماعية والتاريخية.

الفصل الثالث: في دراسة مجموعة من الظواهر التي اتصفت بها القصة في القرآن الكريم، مثل: ظاهرة تكرار القصة، وظاهرة اختصاص القصص القرآني بأنبياء منطقة الشرق الأوسط، وظاهرة تأكيد القرآن لقصص بعض الأنبياء كموسى وإبراهيم عليهم السلام، ظاهرة الأسلوب الخاص في عرض القصة.
الفصل الرابع: دراسة منهجية وتطبيقية لمواضع القصة في القرآن الكريم من حيث الأبعاد التالية:

- ١- أسباب تكرار القصة.
- ٢- تشخيص الغرض الذي سبقت له القصة في الموضع الخاص.
- ٣- تفسير تباين الأسلوب في العرض والمضمون.
- ٤- العلاقة بين القصة وسياقها في القرآن.

٥- تحليل لمضمون المقطع الذي يتحدّث عن القصة.

وقد أخذنا قصة موسى كنموذج لهذا المنهج في دراسة القصة باعتبارها أوسع قصة تناولها القرآن الكريم في عدد المواضيع؛ إذ تناولنا تسعة عشر موضعاً لذكر قصة موسى في القرآن الكريم.

ولابدّ أن نلاحظ هنا أن هذا الفصل يعرض أحد المناهج التي يمكن التزامها في بحث القصة في القرآن الكريم. وهو منهج جديد في دراسة القصة القرآنية في حدود اطلاعي.

الفصل الخامس: دراسة منهجية أخرى في دراسة القصة القرآنية، تناولنا فيه قصة آدم (خليفة الإنسان) على الأرض، حاولنا فيه أن نستلخص النظرية في هذا الاستخلاف، واتبعنا فيه أسلوب العرض للمنهج السائد في الدراسات القرآنية التفسيرية من ذكر الآراء المتعددة، وشرح المفاهيم المذكورة ومناقشتها، مضافاً إلى ذلك عرض النظرية. وهو منهج في البحث تلقيناه على يد أستاذنا آية الله الشهيد الصدر رحمته الله.

وبذلك نقدم منهجاً آخر في دراسة القصة القرآنية.

وبهذا يختتم القسم الأول من البحث.

وأما القسم الثاني من البحث (قصص أنبياء أولي العزم): فيتضمن فصولاً أربعة، يتناول كل فصل منها قصة أحد الأنبياء الأربعة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام.

وقد أتبعنا في دراستهم:

أولاً: تعريفاً عاماً بالنبي وموارد ذكره في القرآن الكريم.

وثانياً: الحديث عن قوم النبي من خلال تناول الأبعاد العقائدية والأخلاقية والسياسية والاجتماعية لهم، ولكن بصورة مختصرة.

وثالثاً: الحديث عن شخصية النبي ومواصفاته.

رابعاً: الحديث عن مراحل حياته من خلال تقسيمها الى مراحل رئيسة.

خامساً: تسجيل الملاحظات حول القصة بصورة عامة، ومضافاً الى ذلك

الملاحظات حول كل مرحلة من مراحل حياة النبي.

وفي هذا المنهج اختلفت قصة موسى عليه السلام عن بقية قصص الأنبياء الثلاثة بسبب أن قصة موسى قد ورد تحليل جميع مواضعها التي ذكرت في القرآن الكريم، الأمر الذي أغنانا عن اتباع هذا المنهج فيها، فجاءت مكتملة لما ورد في القسم الأول منها.

ولاشك أن دراسة قصص هؤلاء الأنبياء التي هي أهم القصص التي وردت في القرآن الكريم يؤهل الطالب لمعرفة ودراسة بقية قصص الأنبياء من خلال المطالعة والمتابعة، ولا سيما أننا نجد أمامنا عدداً من مناهج دراسة القصة في القرآن الكريم تفتح أمام الأستاذ والطالب آفاقاً في البحث دون مؤونة وتكلفة، ويمكن للأستاذ أن يطور الطلاب من خلالها، أو يوجههم الى البحث والكتابة على نسق واحد.

كما أن أغلب الملاحظات التي أوردتها حول مراحل القصص أو القصة نفسها تصلح لأن تكون موضوعاً للمتابعة من قبل الطلبة عندما يكلفون بكتابة البحوث.

ملاحظات عامة حول البحث

ويحسن هنا في المقدمة أن أشير الى مجموعة من الملاحظات التي أرى أنها نافعة ومهمة في فهم هذا البحث وطبيعة مصادره ووسائل الإثبات فيه، مضافاً الى ملاحظات أخرى أقدمها بين يدي الأساتذة للاستفادة منها في

توجيه الطلبة أعزهم الله.

الملاحظة الأولى: اعتمدت في مراجعة المصادر لتكوين الرؤية: كتب البحار للشيخ المجلسي، والميزان للعلامة الطباطبائي، وقصص القرآن لابن كثير، وقصص القرآن لعبد الوهاب النجار، وإنما تم اختيار هذه الكتب لأنها تمثل اتجاهات تفسيرية أساسية: فالأول يمثل أوسع جامع للأخبار التي وردت عن أهل البيت عليهم السلام في بيان وشرح القصة، والثاني يمثل آخر مدرسة في تفسير القرآن الكريم تعتمد تفسير القرآن بالقرآن، وتستفيد من الأخبار والتأمل العقلي والمعرفة الإنسانية والتجارب التاريخية، والثالث يمثل مدرسة التفسير بالمأثور عند جمهور المسلمين، والرابع يمثل مدرسة الرأي وتقريب الحوادث القرآنية من الحوادث الحسية والتجريبية، مضافاً إلى مدرسة أهل الحديث والوقوف على النصوص المتوارثة في مدرسة الجمهور بملاحظة نقد اللجنة لهذا الكتاب.

ومع الاهتمام الخاص بهذه الكتب كنت أستفيد بطبيعة الحال - أحياناً - من كتب أخرى: كمجمع البيان للشيخ الطبرسي، وتفسير المنار للسيد رشيد رضا، وبعض كتب التاريخ واللغة.

الملاحظة الثانية: لقد حاولت الالتزام بمنهج فرز المدلولات القرآنية في القصة عن المدلولات الأخرى المستفادة من النصوص الدينية: كالتوراة، والإنجيل، أو الروايات الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرام عليهم السلام، ومن الطبيعي أن يكون هناك فرق في اعتماد تكوين الرؤية بين هذه المصادر؛ إذ اعتمدت بالدرجة الأولى على القرآن الكريم، وعلى ما ورد عن النبي وأهل بيته عليهم السلام، واستفدت من الباقي لتوضيحها وشرحها.

الملاحظة الثالثة: أن أحاديث الصحابة لا يمكن أن تقاس بالحديث

المروي عن النبي وأهل بيته الكرام عليهم السلام حتى لو قلنا بحجية قول الصحابي؛ لأن هذه الحجية عند القائلين بها إنما تصح إذا كانت القرائن تشهد بأن الصحابي قد أخذ عن النبي صلى الله عليه وآله، وفي مثل قصص القرآن قد ندعي أن القرائن تشهد أن الصحابة قد أخذوا عن أهل الكتاب، فلا تثبت الحجية لما يذكروه.

الملاحظة الرابعة: أن هناك عدة نقاط أود أن أضعها بين يدي الأساتذة لعلها تكون موضع الفائدة في تدريس هذا الكتاب:

١- لقد حاولت الاختصار جهد الإمكان، وتوضيح الصورة والأفكار عن طريق استخدام الفصول والنقاط والتقسيم تسهيلاً للتناول والحفظ، فإن ذلك هو منهج القرآن في تقسيمه إلى سور وآيات.. وفضلت التحليل والتعليق على أصل القصة تعميماً للفائدة وتيسيراً للعمل.

٢- يمكن للأستاذ - اختصاراً للوقت ومن أجل حفظ الموازنة بينه وبين المادة العلمية الملقاة - أن يركز في الشرح على الملاحظات والنقاط التحليلية، ويكتفي في عرض القصة وصورتها على مراجعة الطالب ومطالعة مع توجيهه وبيان النكات الدقيقة له، أو حتى حذف بعض النقاط التي لا يراها ضرورية.

٣- يحسن بالأستاذ أن يُرجع الطالب إلى بعض المصادر في بعض القضايا ولا سيما ذات العلاقة بثقافة أهل البيت عليهم السلام والتي تم التأكيد عليها أو الإشارة إليها وكذلك القضايا ذات العلاقة بالعقائد أو التاريخ.

٤- يحسن بالأستاذ التأكيد لأهمية هذا البحث وغيره من البحوث القرآنية في الدراسات الحوزوية التي كانت محرومة من هذه الدروس التي لها دور كبير في توضيح رؤية الإسلام والقرآن للقضايا الأخلاقية والسياسية والاجتماعية والمعنوية، ولا سيما أن القصة لها دور مهم في توضيح ذلك، وبيان المعاناة التي تحملها الأنبياء والمبلغون، وأساليب المواجهة والعمل

والأخلاق السياسية والاجتماعية، وهو مما لا بد للطلاب أن يعرفه؛ لتشابه مهمة العلماء والمبلغين بمهمة هؤلاء الأنبياء الكرام ﷺ الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله ﷻ .

وفي الختام أسأله تعالى القبول والتوفيق لطاعته، ولما ينفع من العلم والمعرفة، وأن يختم لنا بخير، كما أسأله تعالى أن يوفق العاملين والمتعلمين لما يحبه ويرضاه، وأن يجعل هذا العمل ذخيرة لي يوم ألقاه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وإني لأشكره سبحانه على هذا التوفيق، كما أشكر كل الأعماء الذين ساهموا في إعدادة وتصحيحه وإخراجه وفي مقدمتهم ولدي الفاضل السيد صادق الحكيم والموفق الفاضل ماجد الطائي. والحمد لله رب العالمين^(١).

(٦)

المستشرقون وشبهاتهم حول القرآن

هو الحلقة الثانية من سلسلة (من هدي النجف) عن المستشرقين وشبهاتهم حول القرآن لسماحة الحجة السيد محمد باقر الحكيم، استاذ علوم القرآن في كلية أصول الدين، وهو تشتمل على بعض مذكرات سماحته التي أعدها لطلبته في كلية أصول الدين ونشر قسم منها في مجلة (رسالة الإسلام)^(٢).

(١) مقدمة كتابه: القصص القرآني، السيد الشهيد محمد باقر الحكيم: ص ٩-١٥.

(٢) تاريخ النشر: ١٣٢٠/١٢/١٩٧٠م.

(٧)

الجهاد

سنة الله على خلقه، وواجب شرعي - فردي أو اجتماعي - وهو ثوب عرفه أتباع أهل البيت عليهم السلام، ولبسوه منذ القدم، ولا زالوا، فمادام الظلم موجوداً فالجهاد موجود عندهم.

وخلال هذا الكتاب أوضح سماحة آية الله المجاهد الشهيد السيد محمد باقر الحكيم عليه السلام أهم النقاط الشرعية والسياسية والإنسانية للجهاد وأقسامه ومبرراته وسبله ومقوماته بأسلوب يفهمه عامة المجاهدين، وركز على منهج منظم يسير على وفقه المجاهدون في سبيل الله، وبيّن - من خلاله - ان هذه المسؤولية تقع على عاتق أبناء الأمة الإسلامية بأجمعها^(١).

(٨)

نظرية الإمامة (الأهداف / الأدوار / المواقف / الأدلة)

ضرورة الإمامة

أهل البيت عليهم السلام - كما نعرف - كان دورهم الأساس هو الإمامة وامتداداً للرسالة الإلهية الخاتمة، وكان وجودهم تعبيراً عن امتداد هذه الرسالة في خط الإمامة، هذا هو العنوان العام في دور أهل البيت عليهم السلام، ولكن هذا العنوان العام قد يعتره شيء من الغموض، مما نحتاج فيه إلى هذا البحث، وهذا الغموض هو أن المتبادر إلى الأذهان دائماً أن الإمامة هي: عبارة عن (الخلافة) المتمثلة بولاية الأمر وقيادة التجربة الإسلامية والحكم الإسلامي،

(١) الجهاد، لسماحة السيد محمد باقر الحكيم عليه السلام: ص ٥.

ومن ثم فقد يأتي هذا السؤال إذا كانت الإمامة هي عبارة عن الخلافة والولاية والحكم، فأهل البيت عليهم السلام قد حرموا من هذه الخلافة كما نعرف، باستثناء فترات محدودة وقصيرة جداً في التاريخ الإسلامي، وهي فترة أمير المؤمنين عليه السلام وخلافة الإمام الحسن عليه السلام وهي مدة قصيرة جداً، وإن كنا ننتظر الخلافة المطلقة لهم التي يقوم بأعبائها إمامنا وسيدنا الحجة بن الحسن (عج) ، وباستثناء ذلك فإن هذه القرون العديدة التي مضت في تاريخ الإسلام وهي حوالي أربعة عشر قرناً من الزمن، وما يمكن أن نفترض من قرون أخرى تأتي حتى يظهر سيدنا الإمام الحجة (عج)، ويتولى أهل البيت عليهم السلام هذا الدور. لم يتسلم أهل البيت (الخلافة)، فهل أن ذلك كان تعطيلاً لدورهم في الحياة الإسلامية طيلة هذه المدة الطويلة، حتى يظهر أمرهم في المستقبل؟! أو أن الإمامة ودور أهل البيت عليهم السلام هو أوسع وأشمل من قضية تولي الحكم وإدارة هذا الحكم، وأن تولي إدارة الحكم هو أحد الأدوار والأبعاد في دورهم عليهم السلام الواسع في حياة الإسلام والمسلمين؟ هذا هو السؤال الذي يشرح العنوان.

ونحن نحاول في هذا البحث أن نبين الأبعاد والأدوار الواقعية المتعددة لأهل البيت عليهم السلام في الحياة الإسلامية العامة، مضافاً إلى دور الخلافة وقيادة التجربة الإسلامية وولاية الأمر^(١).

(١) وهنا يحسن بنا أن نشير إلى أن هذا الموضوع هو من الأبحاث التي يمكن أن يكتب الباحثون فيها موسوعة كاملة، نسميها «موسوعة أهل البيت عليهم السلام»، ولدي أمل أن أكتب ذلك، إلا أن هذا البحث بالخصوص إنما هو في إطار التخطيط النظري له، والأمل المستقبلي أن أكتب عدة كتب، كل كتاب قد يشتمل على عدة أجزاء، لبيان هذه الأدوار، وأحد النماذج لهذه الكتب هو كتاب (دور أهل البيت عليهم السلام في بناء الجماعة الصالحة) الذي يجر عن دور واحد من هذه الأدوار. وقد وضعت الإطار النظري والتخطيطي لإنتاجها.

تقسيم البحث:

ونبدأ هذا البحث أولاً: بتمهيد يتركب من خطين رئيسيين، لا بد من الحديث فيهما قبل الشروع في أصل الموضوع:

أولاً: الحديث عن النظرية الإسلامية في موقع أهل البيت عليهم السلام في الرسالة الإسلامية، وهذا الموضوع من الموضوعات المهمة التي لا بد أن نتناولها في التمهيد من أجل الدخول في هذا البحث.

ثانياً: هو تشخيص الأهداف والأدوار لأهل البيت على المستوى النظري مع الإشارة إلى أدلة هذه الأهداف والأدوار من الكتاب الكريم والسنة التي وردتنا من النبي صلى الله عليه وآله وعن أهل البيت عليهم السلام.

نظرية الإمامة:

أما فيما يتعلق بالأمر الأول وهو بيان (النظرية)، يلاحظ بأن الرسائل الإلهية السابقة كانت تعتمد في إدامتها واستمرارها وبقائها على مجموعة من الأنبياء الذين يأتون بعد كل نبي من أنبياء أولي العزم، يتحملون مسؤولية هذه الرسالة على مستوى التطبيق والتنفيذ والتفسير، ولكن الرسالة الخاتمة التي هي أعظم هذه الرسائل وأفضلها، أراد الله لها الإستمرار والبقاء إلى آخر الحياة البشرية، يلاحظ فيها أنها رسالة لا يوجد فيها نبي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، نص عليه القرآن كما في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ..﴾^(١)، وكذلك ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) الأحزاب: ٤٠.

وتواتر عنه لدى المسلمين من قوله لعلي عليه السلام: «... أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»^(١).

إذن، فهذه الرسالة من ناحية هي أعظم الرسالات الإلهية، ويراد لها الإستمرار والدوام أكثر مما يراد للرسالات الإلهية الأخرى، ولكن من ناحية أخرى نجد أن هذه الرسالة لم توضع لها ضمانات للاستمرار والبقاء من خلال إرسال الأنبياء التابعين، كما وضعت ضمانات للرسالات السابقة التي جاء بها الأنبياء أولو العزم، حيث أن هؤلاء الأنبياء التابعين كانوا يقومون بمهمة إدامة زخم تلك الرسالة ومتابعة الإشراف على تطبيقها ودعوة الناس إليها، لأن عمر الرسول - بصورة عادية - يبقى محدوداً بالنسبة إلى عمر الرسالة نفسها، ولا يستمر عمره - عادة - باستمرار الرسالة نفسها، ولذلك كان الله تعالى يرسل الأنبياء التابعين من أجل أن يديموا حركة الرسالة ومسيرتها.

هذا السؤال هو الذي يفرض الحديث عن قضية ضرورة وجود الإمامة، وموقع ودور أئمة أهل البيت عليهم السلام من الرسالة الخاتمة، حيث شاء الله أن يكون استمرار الرسالة الخاتمة عن طريق نظرية (الإمامة)، وأن تكون هذه الإمامة في أهل البيت سلام الله عليهم.

إن هذا الموضوع يحتاج إلى بحث وشرح واسع، وسوف أشير إليه في حدود الإثارة وبعض خطوطه العامة فيما يأتي - إن شاء الله تعالى - إلا إننا نحاول هنا معالجة ثلاثة أسئلة رئيسية:

(١) البحار ٢٦: ٢٠٨، مستدرک الحاکم ٣: ١٠٩، صحيح البخاري ٣: ٥٨، راجع كتاب المراجعات: ١٩، مراجعة رقم ٢٨، وقد ذكر فيه مصادر علماء المسلمين.

الأول: ماهي ضرورة وجود الإمامة في الرسالة الخاتمة.

الثاني: لماذا كان استمرار الإمامة في الرسالة الخاتمة في خصوص أهل البيت عليهم السلام ولم يوضع هذا الدوام بصيغة أوسع وأشمل من هذه الأسرة الشريفة وهم (أهل البيت)، ووضعت الإمامة والإختصاص في خصوص (آل النبي محمد صلى الله عليه وآله)؟

الثالث: لماذا اختصت الإمامة بخصوص الأئمة الإثني عشر المعروفين من أهل البيت عليهم السلام.

وجواب كل واحد من هذه الأسئلة نحتاج فيه إلى بيان بعدين:

أحدهما: تفسير هذه الظاهرة، لأنّ الظواهر الإلهية والإسلامية بصورة عامة ليست ظواهر اعتباطية، أو مجرد قضايا تعبدية، وإنما هي ظواهر لا بد أن يكون وراءها حكمة ومصالح تُفسر هذه الظواهر.

والبعد الآخر: هو الاستدلال على ثبوت هذه الظاهرة في الإسلام وهذا الإختصاص بأهل البيت عليهم السلام، وهو بحث تناوله علماؤنا في مختلف العصور، عندما كانوا يتناولون عقيدة الإمامة.

وهذا التصور النظري الخاص للاستمرار، من الامتيازات التي اختصت بها مدرسة أهل البيت: على المدارس الأخرى، لأنّ المدارس الأخرى تدّعي أن الرسالة الإسلامية كان استمرارها بطريق أوسع، ولم يكن الإختصاص بأهل البيت عليهم السلام.

هنا نحتاج أيضاً من الناحية النظرية أن نتبين هذا الموقع الخاص لأهل البيت عليهم السلام في قضية استمرار وإدامة هذه الرسالة.

فأولاً: نحتاج بالنسبة إلى النظرية أن نتبين دور الإمامة وضرورتها في الرسالة الخاتمة من أجل ملء هذا الفراغ ببيان خصوصياته وهو فراغ

ضرورة استمرار الرسالة ، حيث أُريد لهذه الرسالة الخاتمة أن تكون رسالة أبدية تنتهي بعمر البشرية .

وثانياً : نحتاج أن نتبين اختصاص أهل البيت عليهم السلام بهذا الدور دون غيرهم من الناس ، وتفسير هذا الاختصاص ، وهل أنه هو مجرد اصطفاء غيبي دون وجود تفسير له علاقة بحركة البشرية والحياة الاجتماعية ، أو أن هذا الاصطفاء له علاقة بهذه الحياة البشرية والإرتباط بين الأمر الأول والثاني ؟
وثالثاً : نحتاج أن نتبين اختصاص أهل البيت عليهم السلام بخصوص هذا العدد المحدود ، وهم الأئمة الإثنا عشر عليهم السلام .

هذا كله في ما يتعلق بموضوع أصل النظرية ، وهو الأمر الأول الذي سوف نتناوله في فصول ثلاثة على المستوى النظري .

الأول : البحث في ضرورة (الإمامة) وموقعها في الرسالة الإسلامية .

الثاني : في اختصاص (الإمامة) بخصوص (أهل البيت عليهم السلام) .

الثالث : في اختصاص أهل البيت بالأئمة الإثني عشر من أهل البيت عليهم السلام .

الأهداف والأدوار :

أما فيما يتعلق بالأمر الثاني وهو الأهداف والأدوار العامة لأهل البيت عليهم السلام ، بعد أن نعرف أن لأهل البيت عليهم السلام هذا الموقع الخاص .
وفي هذا البحث سوف نلاحظ أن هناك سبعة أهداف وأدوار رئيسية وأساسية ، يمكن أن نستنبطها من حديث أهل البيت عليهم السلام ، عند الرجوع إلى أحاديثهم عليهم السلام عن دورهم في حياة المسلمين ، وهذا البحث سوف نشرحه من خلال تسمية الأدوار ، وبيان النصوص ذات العلاقة بتشخيص هذه الأدوار .

الدور الأول: حفظ الحياة الإنسانية لما ورد في شأن الإمامة وأهل البيت عليهم السلام بأنهم أمان لأهل الأرض.

الدور الثاني: قيادة التجربة والحكم الإسلامي وولاية الأمر.

الدور الثالث: المرجعية الدينية والفكرية للمسلمين.

الدور الرابع: المحافظة على الشريعة الإسلامية، وبقاء هذه الرسالة محفوظة ومنزهة عن التحريف والتزوير.

الدور الخامس: المحافظة على وجود الأمة الإسلامية ووحدةها وحيويتها.

الدور السادس: بناء الجماعة الصالحة، ولذلك فإن موضوع بناء الجماعة الصالحة يكون أحد الأدوار والأهداف التي استهدفها أهل البيت عليهم السلام في الحياة الإسلامية.

الدور السابع: تجسيد القدوة والأسوة في السلوك الإسلامي الراقي، وإيجاد المثال الخارجي له.

وقد يستحق كل واحد من هذه الأدوار بحثاً أو كتاباً مستقلاً، ولكننا في هذا الاستعراض سوف نحاول التلخيص والاقتصار على القضايا الرئيسية مع الإشارة إلى أدلتها وذكر العناوين التي يمكن أن تكون مجالاً للبحث التفصيلي مع الإشارة إلى بعض المصادر التي تناولت هذه الأبحاث التفصيلية.

المواقف:

وإلى جانب هذين الأمرين أو الخطتين من البحث (النظرية والأدوار) يوجد بحث ثالث - أيضاً - مهم، وهو استعراض (المواقف) والانجازات المهمة الرئيسية التي اختص أو تميز بها كل واحد من هؤلاء الأئمة الإثني عشر إلى جانب المساهمة في الأدوار المشتركة وتحقيق الأهداف العامة، حيث يمكن تقسيم البحث في هذا الموضوع على عدد الأئمة أنفسهم، وبيان

الأدوار من خلال المواقف الخاصة لهم والتي كان لها بطبيعة الحال أثر مهم في الوقت نفسه في تحقيق الأهداف العامة المشتركة^(١). وقد أردفه بعدة مقالات نشر اثنان منها في مجلة الفكر الإسلامي العددين ٢٩ و ٣٠، ركز فيها على الاستدلال على نظرية الإمامة بشكل تفصيلي. ونأمل أن يطبع هذا الكتاب الفريد كما ينبغي وشأن العلامة الحجة آية الله الشهيد السيد محمد باقر الحكيم رضوان الله تعالى عليه.

(٩)

دور أهل البيت عليهم السلام في بناء الجماعة الصالحة ج ١ و٢

وخير من كتب عن هذا الكتاب هو المؤلف عليه السلام في مقدمة الكتاب التي تضمنت أفكاراً ورؤى أساسية تستحق النشر والبحث في الحواضر الإسلامية بشكل عام وفي الحواضر الإسلامية بشكل عام وفي الحواضر العلمية بشكل خاص. وإليك نص ما كتبه في هذا التعريف:

أ- اطروحة أهل البيت عليهم السلام وأهميتها

«إنَّ اطروحة أهل البيت عليهم السلام من أهم الاطروحات الإسلامية ذات الأبعاد المتعددة، العقائدية والفكرية والثقافية والتاريخية والاجتماعية. فهم امتداد للنبوّة في خط الإمامة، وولاية الأمر الذين أوجب الله طاعتهم وولايتهم ومودتهم.

كما أنهم عدل القرآن الكريم الذي هو الثقل الأكبر، وأهل البيت عليهم السلام الثقل الآخر الذي لن يفترق عن القرآن، بل هم علماء القرآن أيضاً يفسرونه

(١) من مقدمة بحثه: نظرية الإمامة المنشور في مجلة رسالة الثقلين.

ويوضحونه ويبيّنونه ويكشفون غرائبه ويستخرجون كنوزه.
وفي الوقت نفسه هم حملة السنّة النبوية في تفاصيلها ومصاديقها،
ويعرفون ما تؤول إليه الآيات والأحاديث في حاضرها ومستقبلها.
كما أنّهم الأسوة الحسنة والقُدوة الصالحة في الاستقامة، والصبر، وسعة
الصدر، وحُسن الخلق، والمنهج الصحيح في الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة
والموعظة الحسنة، والجهاد في سبيله بالنفس والمال، والاستعداد للمتضحية
بِالغالي والرخيص من أجل الدفاع عن الحق والعدل ونصرة المظلومين: ﴿إِنَّمَا
يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

ولذلك فقد تحمل أهل البيت عليهم السلام أعباء مسؤوليتهم الرسالية لا تأخذهم
في سبيل النهوض بها لومة لائم، فسجّلوا في التاريخ والمجتمع الإسلامي
حضوراً قيادياً فاعلاً ومؤثراً وقاموا بالإنجازات العظيمة طيلة حياتهم في
جميع الميادين، الروحية والسياسية والعلمية والأخلاقية، يدافعون عن
الإسلام والمسلمين في مواجهة أعدائهم الداخليين والخارجيين من الحكام
المتحرفين، والمنافقين، والسياسيين الانتهازيين، والزنادقة الملحدين،
وأصحاب البدع والضلالات، وعلماء سوء، واليهود، والنصارى،
والمفسدين.

ب- أهل البيت عليهم السلام الركن الأهم

إنّ هذه الأبعاد والخصائص التي يرتبط بعضها بالآخر تؤكد أهمية هذا
الطرح الإسلامي، وفي الوقت نفسه توضح ما ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام
من أنهم يمثلون أحد (الأركان الأساسية) التي بني عليها الإسلام بل هم
(الركن الأهم) فيها.

وهذا الامتياز وذلك الموقع الخاص لأهل البيت عليهم السلام (حقيقة) يكاد أن

يجمع عليها جميع المسلمين، وإن اختلفوا بعد هذا في الكثير من التفاصيل، سواء في عمقها أو سعتها أو وضوحها. ويكشف عن هذه (الحقيقة) أيضاً - مضافاً إلى نصوص الآيات والروايات الصحيحة المتواترة والكثيرة - مشاعر التقدير والاحترام والتسليم والحب والولاء التي يكنها جميع المسلمين - عدا النواصب - لأهل البيت عليهم السلام.

مع أن مجرى الأحداث التاريخية التي عاشها أهل البيت عليهم السلام كانت بالاتجاه المعاكس والمضاد لوضوحها والاعتراف بها، لأن ما تعرّض له أهل البيت عليهم السلام من قتل وتشريد ومحاصرة مادية ومعنوية وبشكل متواصل طيلة قرونٍ من الزمن على يد الأمويين والعباسيين والعثمانيين، كان يفرض القضاء - أو فرض العزلة على الأقل - على مدرسة أهل البيت عليهم السلام في المجتمع الإسلامي.

ولكن نلاحظ - مع ذلك كله - هذا الواقع المعنوي الواسع الذي يتمتع به أهل البيت عليهم السلام في صفوف المسلمين، وليس ذلك إلا بسبب وجود هذه (الحقيقة الإلهية) لأهل البيت عليهم السلام في (أصل) النظرية الإسلامية، من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية، وإدراك المسلمين لها من ناحية، والجهود والخدمات العظيمة التي قام بها أهل البيت عليهم السلام للإسلام والمسلمين، بحيث فرضت نفسها على الواقع التاريخي على رغم كل العوامل المضادة.

كما أن هذا الواقع الإيجابي من المسلمين تجاه أهل البيت عليهم السلام، هو الذي يفسر لنا هذا العدد الكبير من الدراسات والكتب والأبحاث الخاصة، التي تناولت هذا الموضوع الإسلامي من قبل علماء المسلمين على اختلاف مذاهبهم، أو وجود الاعتراف بهذه الحقيقة في مطاوي كتب المعارف الإسلامية في الفقه والتفسير والحديث والتاريخ وغيرها، بحيث لا نكاد

نستثني منها أي كتاب.

ولا يمكن تفسير هذه الظاهرة التاريخية - بكل ملبساتها - بصورة منطقية ومقبولة إلا على أساس العقيدة الإمامية الاثني عشرية في أهل البيت عليهم السلام، حيث يرون فيهم (الركن الاساس) الذي يقوم عليه بناء الإسلام - الرسالة الخاتمة - الذي تعهد الله سبحانه وتعالى بحفظه وبقائه، وأهل البيت عليهم السلام يمثلون الامتداد الطبيعي والاستمرار والبقاء لهذه الرسالة في مضمونها ومسؤوليتها وإن لم يتصف هذا الامتداد بالنبوة، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي».

فأهل البيت عليهم السلام امتداد للمضمون، لأنهم عدل القرآن ومفسروه، ولأنهم حملة السنة النبوية بكل تفاصيلها، وأهل البيت عليهم السلام امتداد للمسؤوليات؛ لأنهم أئمة الهدى وأعلام التقى، والمبلغون عن رسول الله وولاية الأمر من بعده.

فكما قدر لهذه الرسالة الخاتمة أن تبقى وتستمر، فلا بد أن يبقى أهل البيت عليهم السلام حقيقة قائمة ومؤثرة في المجتمع الإسلامي، وهذا هو الواقع الذي لا يمكن لأي باحث أن ينكره مهما تمادى في المكابرة والهروب من الحقيقة والواقع.

ج - حقيقة دور أهل البيت عليهم السلام

ولكن - مع كل ذلك - يبقى سؤال مهم وهو: ما هي حقيقة الدور الذي قام به أهل البيت فعلاً في الحياة الإسلامية؛ مع وجود هذا الموقع المتميز الخاص لهم عليهم السلام في النظرية الإسلامية عند المسلمين؟.

ويكون الجواب عادة بذكر دورين رئيسيين:

الأول: (الخلافة) وولاية الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

الثاني: (المرجعية) الفكرية والدينية في كل الشؤون ذات العلاقة بفهم الرسالة وتفصيلها.

ولذلك نجد ان غالبية الأبحاث والدراسات التي تناولت هذا الموضوع بصورة أو بأخرى ركزت على هذين الأمرين الرئيسيين.

ولكن حصر دور أهل البيت عليهم السلام بهذين الأمرين الرئيسيين - علي أهميتهما العظمى من الناحية النظرية والتصوير العام للرسالة الإسلامية - يشير (اشكالا كبيرا) من الناحية العملية الخارجية، وهو أن هذا الحصر - (خارجياً) و (واقعياً) - يعني أن هذا (الركن الأهم) في الإسلام - وهم أهل البيت - قد تم تعطيله وتقليصه - حتى الآن - إلى حد كبير في الحياة الإسلامية، حيث أبعاد أهل البيت عليهم السلام عن دور الخلافة وولاية الأمر خارجياً باستثناء السنوات القليلة لخلافة الإمام علي وولده الإمام الحسن عليهما السلام، وكذلك نرى أن هذه (المرجعية) الفكرية والدينية لا يأخذها المسلمون - باستثناء الإمامية الإثني عشرية - إلا أخذاً محدوداً جداً.

ويزيد هذا الإشكال أن هذه الدراسات التي تناولت هذين الأمرين الرئيسيين - وهي أبحاث قيمة وجديرة بالاحترام والتقدير - اقتصرت في غالبيتها على عنصر إثبات هذه الولاية والمرجعية تقريباً، دون أن تولي أهمية خاصة لبيان الدور المهم الذي كان من الممكن أن تؤديه هذه الإمامة وهذه المرجعية في الحياة الإسلامية، وعلاقتها النظرية بالرسالة الخاتمة وسائر الرسائل الإلهية وأهدافها المقدسة، مع أن أهل البيت عليهم السلام أنفسهم عندما تناولوا هذا الموضوع أكدوا هذا الدور المهم وهذه العلاقة النظرية تأكيداً واسعاً.

د - التطوير في الدراسة عن أهل البيت عليهم السلام

ولذلك فنحن بحاجة - من أجل تفسير هذا الواقع المتميز لأهل البيت عليهم السلام من النظرية الإسلامية ولدى المسلمين - إلى (تطوير نوعي) في الابحاث والدراسات حول أهل البيت عليهم السلام يهتم اهتماماً خاصاً باكتشاف جميع أبعاد دور أهل البيت عليهم السلام في الحياة الإسلامية من ناحية، والتركيز على جانب علاقة هذه الأبعاد بالنظرية الإسلامية من ناحية أخرى.

وهنا يحسن بنا أن نشير إلى بعض هذه الأبعاد في الدراسات المتطورة:
الأول: توضيح جميع الأهداف الإسلامية من وراء إرساء فكرة أهل البيت عليهم السلام في الرسالة الإسلامية، بحيث تؤكد من خلالها مبدأ خاتمية الرسالة الإسلامية، ومبدأ تحقيق هذه الرسالة لأهدافها عملياً، ولو تحقيقاً إجمالياً.

الثاني: توضيح جانب الارتباط بين هذا (الركن الأهم) للإسلام والأركان الأخرى، بحيث يظهر التكامل في أركان النظرية الإسلامية، والانسجام في البناء والأهداف والنتائج.

الثالث: ايضاح الارتباط بين المواصفات الخاصة، ونقاط الامتياز العقائدية والفكرية التي يختص بها مذهب أهل البيت عليهم السلام دون بقية المذاهب الإسلامية، وبين هذا الفهم للنظرية الإسلامية الذي يقوم على أساس فكرة أهل البيت عليهم السلام ودورهم في الحياة الإسلامية.

فمثلاً ما هو الارتباط بين أمور (العصمة) و (التقية) و (الشفاعة) و (التأويل) و (البداء) و (الخمسة في أرباح المكاسب) و (زواج المتعة) وغيرها من الأفكار والتشريعات الإسلامية التي يختص بها مذهب أهل البيت عليهم السلام وبين هذا الركن الأساس في النظرية الإسلامية؟

وهل الاختلاف هو مجرد اختلاف في رأي عقائدي أو فقهي، ثم تحول إلى صراع سياسي عقائدي، أم لهذه القضايا والأفكار ارتباط وثيق بأصل النظرية فانعكس ذلك على المجتمع الإسلامي؟

الرابع: بحث الارتباط العملي - على أساس المصالح الإسلامية والأهداف العالية - بين المواقف والنشاطات التي قام بها أئمة أهل البيت عليهم السلام في العهود المختلفة للمجتمع الإسلامي.

فإن أهل البيت عليهم السلام لما كانوا فكرة وأطروحة إلهية للرسالة الخاتمة، فلا بد أن نفترض - والأمر كذلك - أنهم يتحركون من رؤية واحدة للأفكار والأحداث والحقائق الاجتماعية (المصالح والمفاسد الواقعية) التي تترتب عليها المواقف، فهم في هذا الجانب كالأنبياء الذين نفترض فيهم أنهم لو اجتمعوا في زمان واحد، لما اختلفوا في رؤاهم ولا في أقوالهم وأفعالهم ومواقفهم.

ولكن مع ذلك نجد أن هناك اختلافاً واضحاً بيناً في شكل وصورة هذه المواقف، وأحياناً في الأقوال والسلوك والمنهاج والأسلوب، كما هو الحال في الأنبياء انفسهم أيضاً. إذاً فما هو الرابط الواحد الذي يمكن أن نستنبطه من أقوالهم وأفعالهم ومواقفهم وسلوكهم؟ بحيث (يكون) النظرية التي يمكن أن يفسر كل ذلك الاختلاف على أساسها، كما نلاحظ ذلك في القرآن الكريم عندما يتحدث عن الأنبياء.

ولا شك أن ما قام به علماء الإسلام من أتباع مدرسة أهل البيت (سلام الله عليهم)، فضلاً عن النصوص التي صدرت عن أهل البيت عليهم السلام لمعالجة كل هذه القضايا، يمكن أن يشكل أساساً وتراثاً مهماً لمثل هذه الدراسات المتطورة.

ولعل أحد أهم عناصر التجديد و (التطوير) في البحث حول أهل

البيت عليه السلام، الذي يصب في هذا الاتجاه، هو ما بدأه أستاذنا المفكر الإسلامي الكبير آية الله العظمى الشهيد السيد محمد باقر الصدر (رضوان الله عليه)، فيما كتبه أو ألقاه من دروس عن أهل البيت عليهم السلام، ولكن هذه الأبحاث لم يكتب لها - مع الأسف الشديد - الكمال، بعد أن اغتالت يد الإجرام الوحشي والفساد في الأرض هذا العالم الرباني العظيم^(١).

وهذه الدراسات تحتاج بطبيعة الحال إلى بحوث تمهيدية واسعة ومهمة، تشكل بمجموعها (موسوعة أهل البيت عليهم السلام الكبيرة)، تتناول بحث (التراث الفكري والتاريخي والأخلاقي والعقائدي) الموروث عن أهل البيت عليهم السلام، والمبثوث في كتب الحديث والتفسير والأخلاق والدعاء والزيارة.

إنه بالرغم من تكامل وتطور البحث في القواعد والأصول التي يقوم عليها البحث في هذه الموضوعات من ناحية، وكذلك تطور البحث فعلاً في مجالات الفقه والأصول والرجال والتفسير من ناحية أخرى، أصاب البحث في الموروث عن أهل البيت عليهم السلام في المجالات المذكورة أعلاه كثير من الركود والجمود، ولم يتطور بالقدر الذي تطورت به الأبحاث الفقهية والأصولية والرجالية.

وبدون ذلك سوف يعتمد البحث النظري على المادة الأولية التي يختلط فيها الغث بالسمين، والمطلق بالمقيد، والعام بالخاص، والمحكم بالمشابه، والمجمل بالمبين... وهكذا.

أو أن يعتمد البحث على النتائج العلمية (التقليدية) التي توصل إليها

(١) لقد قامت حكومة صدام العفلقى التكريتي في سنة (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) بقتل الشهيد الصدر، وأخته الفاضلة العلوية بنت الهدى، صبراً دون ذنب ارتكبا، إلا أن قالوا ربنا الله ثم استقاما، كما قتل قبلهما وبعدهما عشرات الآلاف من المؤمنين الصالحين، في عملية تصفية واسعة للوجود الإسلامي في العراق استمرت أكثر من سبعة عشر عاماً حتى الآن.

العلماء السابقون، وهي نتائج - على أهميتها وقيمتها العلمية - حدسية، ثم استنباطها في ظروفها وبرؤية (تجزئية).
أو أن يقوم الباحث بجهد استثنائي - لا يتيسر عادة لشخص واحد - يستأنف فيه البحث في التراث من أجل تكوين النظرية.

هـ- آفاق البحث في نظرية أهل البيت (عليه السلام)

ولكن وجدت نفسي - مع كل هذه الصعوبات الحقيقية العلمية والموضوعية - قبل عدة سنوات أمام محاولة بسيطة للكتابة في هذا الجانب النظري، وذلك عندما قام (المجمع العالمي لأهل البيت (عليه السلام)) بعقد المؤتمر التأسيسي العالمي له، حيث كتبت مقالاً حاولت فيه طرح بعض الأفكار العامة للنظرية، فوجدت إزاءها بعض التشجيع المشكور من بعض المساهمين في المؤتمر.

ورأيت أن من المهم هو أن نبدأ أو نستمر في طرح هذا الجانب النظري، ثم يمكن أن يتكامل من خلال الباحثين والعلماء.

وعلى رغم كثرة المشاغل والمحن والأعمال التي ابتليت بها في هذا المقطع الزمني، والتي تختلف بطبيعتها عن الأعمال الثقافية والفكرية اختلافاً بيناً، بل هي عوامل مضادة للعمل العلمي عادة، وكذلك ابتعادي النسبي عن مركز النشاط العلمي وهو الحوزة العلمية وعن أجوائها وخدماتها، حاولت أن أقوم بمراجعة تلك المحاضرة وتحليلها، فانفتحت أمامي مجموعة من الآفاق للبحث:

الأول: بيان الأهداف الرئيسة لوجود اطروحة أهل البيت (عليه السلام) في الرسالة الخاتمة (نظرياً وتطبيقياً)، بحيث تعبر عن حقيقة هذا الركن الأهم من الرسالة الإسلامية.

وهذا ما يمثل الجانب المشترك بين أئمة أهل البيت عليهم السلام.
 الثاني: بيان وتفسير المواقف التي قام بها كل واحد من أئمة أهل البيت عليهم السلام، التي يتميز بها في عصره ومرحلته، والارتباط بين هذه المواقف بعضها بالآخر، وعلاقتها بالأهداف الرئيسة؛ كل ذلك مع تقسيم تاريخ أهل البيت عليهم السلام إلى مراحل متميزة، وبيان خصائص تلك المراحل.
 الثالث: تناول القضايا الفكرية والعقائدية والشرعية التي تميّز بها مذهب أهل البيت عليهم السلام من ناحية ارتباطها بالنظرية الإسلامية في أهل البيت عليهم السلام، علماً بأنّ البحث في هذه القضايا من الناحية الكلامية والفقهية هو بحث متكامل.
 الرابع: مسيرة أتباع أهل البيت عليهم السلام بعد غيبة الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، والمراحل الرئيسية التي مرّت بها، ودورهم في تحمل المسؤوليات الكبرى ذات العلاقة بالنظرية.

و- دور أهل البيت عليهم السلام في الحياة الإسلامية

ووجدت أن البحث الأول - الذي يمثل البحث الرئيس والأساس - يشتمل على عدّة بحوث مهمة نظرية وتطبيقية، بحيث قد يحتاج كل واحد من الأهداف إلى كتاب مستقل، حيث يمكن تلخيص (الأهداف) من أطروحة أهل البيت عليهم السلام بالأمور الخمسة التالية:
 ١- الخلافة الإلهية، أو ولاية الأمر، أو قيادة الحكم الإسلامي.
 ٢- المرجعية الفكرية والدينية للمسلمين.
 ٣- الدفاع عن الإسلام (العقيدة الإسلامية، الكيان السياسي للإسلام).
 ٤- الدفاع عن الأمة الإسلامية، والمحافظة على وجودها وخصائصها ووحدةها.

٥ - بناء الجماعة الصالحة والصفوة المنتخبة التي تتحمل المسؤوليات الخاصة.

ولا شك أنّ هذا العمل بهذه السعة يحتاج إلى وقت واسع وتفرغ مناسب وعدد من المساعدين الأكفاء.

ولكنني وجدت نفسي مندفعاً لأنّ أبدأ هذا العمل الصالح متوكلاً على الله تعالى فيه ومستمدداً العون منه، راجياً التوفيق في إخلاص النية والصدق والهداية في العمل ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً﴾.

كما وجدت نفسي أيضاً مسوقاً للكتابة ابتداءً في الهدف الخامس، وهو (الجماعة الصالحة)، ولعلّ السبب في هذا الاختيار للبداية هو احساسني بالحاجة الفعلية - من خلال الممارسة العملية - لوجود تصور كامل (نظري وتطبيقي) للجماعة الصالحة؛ ليكون مثلاً واقعياً ويقدم للعاملين في ميادين العمل السياسي والاجتماعي يتأسون به ويقتمدون بهداه.

كما وجدت هذا البحث يملأ فراغاً في المناهج الدراسية لطلاب العلوم الدينية، كما ينفع الخطباء والمبلغين، والأوساط المثقفة المؤمنة في الوطن، أو في المهجر أو في بلاد الغربية، الذين لا تيسر لهم عادة القدرة على معرفة تفاصيل هذا التصور.

ويشهد عالمنا الإسلامي - في هذا العصر - تطوراً واسعاً في هذه المجالات (الحوزة، والتبليغ وإقبال المثقفين بالثقافة العامة على الإسلام، والهجرة إلى بلاد الغرب).

حيث يهيئ لهم مثل هذا الكتاب أكثر المعلومات العامة التي يحتاجونها في الأحاديث العامة والمذاكرة حول أهل البيت عليهم السلام والجماعة الصالحة. وقبل كل ذلك كنت أشعر شخصياً أننا بحاجة ماسة إلى أن نقدم المثال

الواقعي الخارجي للجماعة الصالحة التي ندعو إلى وجودها لتصبح النظرية الإسلامية واقعية وليست افتراضية في خضم دنيا الشهوات، وتضارب المصالح المادية والتناقضات السياسية والضغط النفسي والخارجية التي يعيشها عصرنا الحاضر.

بعض الصعوبات

وقد بدأت في الكتاب أولاً بتكوين التصور العام له ثم شرعت بالكتابة، حيث واجهت عدة صعوبات أذكر اثنتين منها:

الأولى: الوقت، فقد كنت اقتطعه بصعوبة من زحمة الأعمال المتضادة أحياناً، ولذلك كنت أضطر في بضع الأحيان أن أبداً بكتابة فكرة، ثم أنقطع عنها قبل اكتمالها فترة تطول عدة أشهر، أو ما يقارب السنة في بعض المرات، فأرجع إلى ما يشبه نقطة الصفر، لاسيما إذا أخذنا بنظر الاعتبار أن البحث ذو طبيعة تركيبية نظرية. أو كنت اكتفي بذكر الإشارة إلى مصادر النصوص دون كتابتها اقتصاداً في الوقت، مما سبب اشكالات في الاعداد للطبع، وعبئاً إضافياً على الاخوة في مجلة رسالة الشقلين الناطقة باسم (المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام)، الذين يستحقون كل شكر وتقدير عليه.

الثانية: أن هذا البحث يعتمد بصورة أساسية على المواد الأولية كأخبار أهل البيت عليهم السلام والنصوص التاريخية أو الفقهية، أو المعلومات الرجالية، وهي تحتاج إلى البحث عنها ثم استيعابها ثم الفحص عن مستوى الاعتبار لها، ثم المقارنة بينها لاستنباط النظرية، وكان ذلك يحتاج إلى وقت كبير وعناء خاص.

وقد كان الفضل الكبير في تسهيل هذه الصعوبات - بعد الله تعالى -

للموسوعات الحديثية والمعاجم التي كتبها علماؤنا السابقون جزاهم الله خير الجزاء.

ز - خطة الكتاب

وقد تابعت في هذا الكتاب الخطوات والأمور التالية:

الأول: تقسيم الكتاب إلى سبعة ابواب، وتقسيم الابواب إلى فصول مستقلة تتضمن عناوين رئيسية، أو أقسام تتضمن فصولاً كما هو في البابين السادس والسابع.

وقد تضمن الباب الأول، فصلي: (الأهداف) و (الخصائص).
وتضمن الباب الثاني (القواعد والأسس) فصول: (الفكرية)، و (الأخلاقية)، و (الثقافية) و (الروحية المعنوية)، و (السياسية الاجتماعية).

وتضمن الباب الثالث (نظام الجماعة العام) فصول: (المرجعية الدينية)، و (الهوية)، و (علاقات الأمة مع المرجع)، و (العلاقات الداخلية والخارجية).
وتضمن الباب الرابع (نظام أمن الجماعة) فصلي: (الخطوط الأمنية)، و (السياسات الأمنية).

وتضمن الباب الخامس (النظام الاقتصادي) فصول: (التشريعات الاقتصادية العامة)، و (التشريعات الاقتصادية الخاصة)، و (النشاطات الاقتصادية).

وتضمن الباب السادس (نظام العلاقات الاجتماعية) قسماً: (النظرية، أبعادها وأسسها)، و (البناء الفوقي للنظرية).

كما تضمن القسم الأول فصلين هما: (أبعاد النظرية)، و (أسس

النظرية).

وتضمن القسم الثاني فصلي: (البناء الفوقي وأبعاد النظرية)، و (البناء الفوقي والأسس).

وأما الباب السابع (الشعائر والعبادات) - وهو أوسع الأبواب - فقد تضمن قسمي: (الشعائر)، و (العبادات).

وأما القسم الأول، فقد تضمن: فصول (شعائر أهل البيت)، و (الأيام والليالي)، و (المساجد والأماكن المقدسة).

وأما القسم الثاني، فقد تضمن: صنف العبادات المؤقتة، وهي: (اليومية)، و (الاسبوعية)، و (الشهرية)، و (السنوية).

وصنف العبادات غير المؤقتة: وهي (الصلاة غير المؤقتة)، و (الصوم غير المؤقت)، و (الدعاء)، و (الذكر)، و (الجهاد).

وقد تضمنت هذه الأبواب والفصول والأقسام في كثير من الأحيان تمهيداً للبحث للتعريف بالموضوع وبيان أهميته، أو خاتمة في استنتاج النظرية أو تلخيص الأفكار حسب أهمية الموضوع وسعة دائرة البحث أو الحاجة.

وقد يبدو أنّ هذا الترتيب في الأبواب والفصول يتسم بالغرابة، لأنه لم يأت وفق الترتيب المعروف في الكتب التي تتناول مثل هذه العناوين، مضافاً إلى وجود عناوين غير معروفة.

ولكن يخفّ هذا الاستغراب إذا التفتنا إلى الأمور الآتية، وكذلك عند قراءة الكتاب.

الثاني: أنّ الهدف من وراء هذا الكتاب هو بيان دور أهل البيت عليهم السلام عملياً في تكوين الجماعة الصالحة، وتكوين النظرية حولها، ثم بيان معالم

وتفاصيل هذه الجماعة الصالحة.

وهذا أمر ينفع الجماعة الصالحة نفسها، كما ينفع سائر المسلمين الذين يريدون أن يعرفوا الحقيقة، ويلتزموا أو يتأسوا بها، وفي الوقت نفسه ينفع كل الباحثين عن الحقيقة من سائر الناس.

الثالث: الاهتمام في الكتاب وبنقاط الاختصاص والامتياز لمذهب أهل البيت عليهم السلام بعد توضيح النظرية، دون الاستغراق في النقاط المشتركة أو شرحها وتفصيل مبرراتها وعللها، بل اكتفي بالإشارة إليها، فإن تلك النقاط المشتركة - على أهميتها البالغة أحياناً - مما تناولته الأبحاث العامة لجميع المسلمين، ويسهل الحصول عليها نسبياً، كما أنها تخرج الكتاب عن هدفه الخاص.

الرابع: الاهتمام باستنباط معالم النظرية بالاستناد إلى المصادر الأساسية (القرآن الكريم، والسنة النبوية، والنصوص المعتمدة التي وردت عن أهل البيت في نقل السنة النبوية أو شرحها أو بيانها)، مضافاً إلى النصوص المعتمدة التي وردت عن أهل البيت عليهم السلام في بيان تفاصيل السياسات والمناهج والأساليب والمواقف.

الخامس: أن استنباط النظرية لما كان بحاجة إلى اجتهاد صحيح يعتمد على المصادر والقواعد الصحيحة للاجتهاد، ومن أجل أن تكون النسبة إلى أهل البيت عليهم السلام وجماعتهم نسبة صحيحة، التزمنا في استنباط أصول النظرية والأفكار الرئيسية والمركزية بالنصوص المعتمدة، أو الآراء الاجتهادية المعروفة في أوساط علماء شيعة أهل البيت عليهم السلام، مع ذكر الشواهد والنصوص التي تؤيد هذا الاجتهاد، أو التي يستند إليها أصحابه.

وأما في التفاصيل فقد سعيت إلى الاستناد فيها إلى النصوص المعتمدة

أيضاً، أو النصوص المتعددة التي يوجد في النفس الوثوق بها، باستثناء بعض الموارد الجزئية التي لا تؤثر على أصل النظرية، بل توضحها وتشرحها، وبهذا يمكن أن نفسر ذكر بعض النصوص المتشابهة بمضمونها، أو الإشارة إلى تعددها أو اعتبارها.

وأما تفاصيل المستحبات لا سيما الشعائر والعبادات - وإن كنا اعتمدنا فيها أساساً - على القاعدة المعروفة التي يسميها الفقهاء بـ (قاعدة التسامح في أدلة السنن)، فإن ذكرها بهذا التفصيل يوضح النظرية وأبعادها من جهة، وفي الوقت نفسه حاولت قدر المستطاع أن أشير إلى صحة الرواية أو اعتبارها عندما أجد ذلك مناسباً لتثبيت الفكرة.

كما أنني حاولت أن أستثني الأفكار الغريبة التي لا أجد لها مصدراً معتبراً.

وفي الختام أؤكد مرة أخرى أن هذه المحاولة هي بداية، وتقترن عادة بالكثير من الأخطاء والزلات والعيوب.

أسأله تعالى أن يتجاوز عنا ذلك، كما أسأله تعالى القبول والتوفيق لآكمال هذا (المشروع)، وأن يكون موضع الرضا والقبول من سيدنا ومولانا صاحب العصر والزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

كما أرجو من القراء الأعزاء والباحثين الأفاضل الكرام أن يغضوا النظر عن هذه الأخطاء ويتفضلوا عليّ بإهدائها لي أو بملاحظاتهم القيمة في تحقيق هذا الهدف.

والله ولي التوفيق والسداد والقبول.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين

الطاهرين.

﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعفُ عنا وافرغ لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾^(١).

وهذا الكتاب كما يستحق التلخيص ليكون في متناول اليد لعامة المثقفين، كذلك يستحق التفصيل والتوسُّع في مادته فإنه يصلح أن يكون صورة ناصعة للنظام الاجتماعي الإسلامي وهو النظام النموذجي للإنسانية التي لازالت تبحث عن نظام اجتماعي يحقق لها كل طموحاتها ويفجر لها طاقاتها المعنوية الكامنة في أعماقها. فهو إذن تعبير عن حاجة عصرية واقعية لكل حواضر المسلمين وغيرهم. ومن المأمول أن يتحقق المجتمع الصالح العامر بالجماعات الصالحة في كل أرجاء المعمورة بإذن الله تعالى.

(١٠)

ثورة الحسين (النظرية - الموقف - النتائج)

تُقَدِّمُ هذه المحاضرات التصور النظري العام لثورة الإمام الحسين عليه السلام وبيان الاطار لافكري والشرعي والسياسي والأخلاقي لهذه الملحمة التاريخية وأسبابها ونتائجها، اعتماداً على ملاحظة مجموعة من الظواهر التاريخية والحقائق الثابتة دون الخوض في جانب السرد التاريخي أو الدخول في تفاصيل الأحداث، حيث أصبحت هذه الأحداث معروفة، ودون شرح الجوانب والأبعاد المختلفة لهذه الثورة العظيمة الخالدة مرَّ المعصور والأزمان.

(١) مقدمة كتاب: دور أهل البيت عليهم السلام في بناء الجماعة الصالحة، ج ١ ص ٩-٢٤.

(١١)

دور المرأة في النهضة الحسينية

في ثورة الإمام الحسين عليه السلام نماذج مشرفة للأجيال ولنهضته انعكاسات على حركة التاريخ بانعطاف العزة والكرامة. وقد ساهم المفكر الإسلامي وقائد مسيرة الحسين في عراقنا المعاصر سماحة آية الله المجاهد الشهيد السيد محمد باقر الحكيم عليه السلام في توضيح بعض تلك الإنعكاسات على واقعنا الحاضر؛ بعباء خصب، خلال محاضراته الشيقة التي ألقاها في مناسبات كثيرة ومواطن عديدة، ومن خلال كتاباته وكتبه القيمة.

ومن تلك المحاضرات - التي عرضت من على شاشة تلفاز الإنتفاضة - بأسلوب مبسط حول (دور المرأة في النهضة الحسينية) واستمرارها، وانعكاسه على مرّ الزمن.

وإيماناً من سماحته بأهميته البالغة، وقدرة المرأة المؤمنة عموماً والعراقية بشكل خاص، من قلب الموازين لصالح الإسلام.

وشعوراً منه بالدور الكبير الذي قامت به المرأة العراقية في التاريخ، وما تقوم به في الوقت الحاضر في النهضة الإسلامية؛ ركّز على مواقفها العظيمة، وما مُنيت به من مكانة سامية في المجتمع العراقي الحاضر. لكي تمارس المرأة العراقية وظيفتها الجهادية، وتحتلّ موقعها الأصيل^(١).

(١) دور المرأة في النهضة الحسينية، الشهيد السيد محمد باقر الحكيم: ص ٥-٦.

(١٢)

حقوق الإنسان من وجهة نظر إسلامية

الشريعة الإسلامية أولت اهتماماً بالغاً في حقوق الإنسان وكرمته، وجعلت جميع الناس: (أما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق) وحقته بحصانة يحفظ بها «كإنسان» له حق التمتع بكافة «الحقوق» في الحياة. بيد أن الغربيين نادوا بحقوق الإنسان - اعلاتاً فقط - ليثبتوا للعالم أنهم المهتمون برعاية الإنسان وحقوقه!!

وإذا ما سألناهم إذن لماذا ينتهك حق الإنسان في الشرق - عموماً - وفي العراق خصوصاً - ، بل يهدر دمه ووجوده.. وأغلب حكّام الشرق تبعاً لكم وأنتم أسيادهم؟ لم يسمعونا وولوا مدبرين كأن في آذانهم وقرا. ومن هذا المنطلق وضع المفكر الإسلامي سماحة آية الله المجاهد الشهيد السيد محمد باقر الحكيم رحمته الله هذه الملاحظات حول حقوق الإنسان، لتعرف الأمم عن كذب واقع الإسلام في هذا المضمار، وكذب أعداء الإسلام والإنسانية في ادعائهم الخادع^(١).

(١٣)

الحكم الإسلامي بين النظرية والتطبيق

الكتاب تعبير عن جهد علمي تخصصي وقد جاء وافياً بالغرض. وإليك تعريف إجمالي عنه:
يشتمل الكتاب على تقديم وثلاثة أبواب وخاتمة:

(١) حقوق الإنسان من وجهة نظر إسلامية للشهيد السيد محمد باقر الحكيم رحمته الله : ص ٥ - ٦.

الباب الأول: تناول موضوع الثورة الإسلامية في إيران باعتباره الحدث التغييرى المهم الذي قام على أساس النموذج المعاصر للحكم الإسلامى. ويشمل على فصلين:

الأول: فى أسلوب الثورة الإسلامية ونتائجها.

الثانى: فى التحديات المعاصرة التى تواجهها الثورة الإسلامية كحدث تغييرى مهم.

الباب الثانى: تناول نظرية الحكم الإسلامى، تعالج فيها علاقة الولاية بالشورى ويشتمل على فصلين:

الأول: استعرض فيه النظريات الأساسية فى علاقة الولاية بالشورى وناقشها وبين الموقف المختار منها.

الثانى: اشتمل على بيان العلاقة بين الشورى والولاية فى مرحلة التنفيذ.

الباب الثالث: تناول التطبيق للنظرية الإسلامية للحكم المتمثل بالجمهورية الإسلامية فى إيران، ضمن مقدمة وثلاثة فصول.

المقدمة: تتناول التصور العام عن دور الحكم فى التغيير الاجتماعى.

الفصل الأول: خصائص الحكم الإسلامى.

الفصل الثانى: الضمانات الدستورية فى نظام الجمهورية الإسلامية لتحقيق هذه الخصائص.

الفصل الثالث: تناول التجربة الواقعية فى تطبيق هذه الخصائص.

ويشير المؤلف الى أن هذه البحوث جاءت حصيلة شعور وتفاعل ميدانى وحقيقى مع الأحداث التى شهدتها ساحة العالم الإسلامى بسبب النهوض الإسلامى والتحدى الكبير الذى واجهته فى قضية (الحكم الإسلامى) فى النظرية والتطبيق.

وان الأفكار المطروحة فيها جاءت متطابقة مع التوقعات والتحليل لأسبابها ونتائجها مما يمثل جانباً من المصدقية والواقعية فيها. حيث كان كتابة الفصل الأول في أوائل انتصار الثورة الإسلامية وقبل بدأ الحرب الظالمة ضد الجمهورية الإسلامية، نشر في بداية هذه الحرب. وكانت كتابة الفصول الأخرى في الأربع سنوات الأولى للحرب ثم انتهت الحرب وتوفي الإمام عليه السلام وبقي النموذج التطبيقي صادقاً أمام الأحداث.

والمؤلف هو أحد الاساتذة الذين يُشار إليهم بالبنان سواء في كلية أصول الدين الإسلامية في العراق، وقد عايش الصحوة الإسلامية قبل بزوغ فجر الثورة الإسلامية المباركة في إيران الى جنب مرجعية والده في العالم الإسلامي سماحة آية الله العظمى السيد محسن الحكيم والى جنب استاذة الفريد سماحة آية الله العظمى الشهيد محمد باقر الصدر رضوان الله تعالى عليهما^(١).

(١٤)

العلاقة بين القيادة والأمة من خلال رؤية نهج البلاغة

قد شاطر نهج البلاغة القرآن الكريم في الوعظ والإرشاد، والأحكام، وتربية الفرد والمجتمع، وهو تجسيد حي لكتاب الله وتعاليم الإسلام، ودستور لحياة أفضل ونظام أكمل، وما تحتاجه الدولة العادلة بنظرة شمولية ودقة واعية.

(١) انظر الحكم الإسلامي بين النظرية والتطبيق، للشهيد السيد محمد باقر الحكيم عليه السلام. تلخيص السيد منذر الحكيم.

وهو الكنز الثري الذي كلما اغترف منه العارفون ازداد عطاءاً؛ وكلما استنار فيه المفكرون شع نوره وضاءاً. فهو الجوهرة اليتيمة التي لا تخفو، والشعلة النورانية التي لا تخبو.

وقد تناول القائد المفكر سماحة آية الله العظمى المجاهد الشهيد السيد محمد باقر الحكيم رحمه الله، وأدلى دلوه في نهج البلاغة مستخرجاً من كوامنه حلية نلبسها ولثاليئ نسجها بيراعه الشريف منتهاً من معينه حول القيادة ومتطلباتها، وعلاقة الأمة بالقائد، والقائد بالأمة.

والقيادة في هذه الحقبة الزمنية أصبحت محوراً ومدار حديث المجتمعات بعدما أرسى الجمهورية الإسلامية قواعدها على الأرض وأثبتت أعمدتها وترجمت الإسلام الى الواقع العملي.

فكشفت سماحته النقاب عن مميزات وصفات القائد الإسلامي، وما على الأمة الإسلامية من التزامات اتجاه قائدها.

فجاء - هذا الكتاب - من ضروريات ثقافة العصر، ومن أوليات خلفيات المسلم في معرفة الحاكم السائر على نهج القرآن من غيره ^(١).

(١٥)

الوحدة الإسلامية من منظور الثقلين

لعلنا لا نجانب الحقيقة لو قلنا إن من أخطر القضايا وأدق المهمات التي تصدى لها أئمة أهل البيت عليهم السلام خلال حياتهم الزاخرة بالعمل والجهاد وسعوا بكل وجودهم من أجل تحقيقها في الواقع الخارجي على أسس القرآن الكريم

(١) العلاقة بين القيادة والأمة من خلال رؤية نهج البلاغة للشهيد السيد محمدباقر الحكيم: ص ٦٥.

وسنة النبي الأمين ﷺ هي وحدة الأمة وتماسكها في اطار الكيان الإسلامي العام، حفاظاً على عظمته وهيئته أمام أعداء الإسلام والمترتبين به، وتحقيقاً لمصلحه الإسلام العليا في بناء الأمة ورشدها الأمثل في السير اللاحب نحو الله سبحانه وتعالى في أجواء الحب والألفة والكلمة الطيبة والموقف الهادف، بعيداً عن الضغائن والتعصب والتنافر والتقاطع فيما بين فرقها ومذاهبها وتجمعاتها ومحاورها، التي نمت في أجواء تركات الجاهلية الأولى وأهواء بعض الحكام المنحرفين والسلطين الذي نزوا على سدة الحكم وعاثوا في بلاد الله وعباده ظلماً وفساداً ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويُشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام، وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد﴾^(١)، ﴿والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾^(٢).

وقليل من تناول هذه القضية بدراسة شمولية مترابطة، تناولها كمحور موضوعي في البحث والتحليل في آيات الكتاب الكريم وسيرة أهل البيت ﷺ. ومن هذا القليل المسدد هو سماحة آية الله السيد محمد باقر الحكيم ﷺ مؤلف هذا الكتاب، الذي جمع في عطائه الإسلامي الوحدوي بين النظرية والتطبيق، وناغمت أطروحته تجربته، ولعل السرف في التوفيق الذي أحرزه في هذا الكتاب وأمثاله يكمن في هذا الجمع الفريد، فقد عاش في كنف أكبر المرجعيات الإسلامية المعاصرة المتمثلة في مرجعية والده آية الله العظمى السيد محسن الحكيم ﷺ التي شهدت انفتاحاً شاملاً بين فرق

(١) البقرة: ٢٠٤-٢٠٥.

(٢) الرعد: ٢٥.

المسلمين ومذاهبهم على صعيد المطارحات العلمية والفكرية، وعلى صعيد الممارسة السياسية والاجتماعية، وكذلك مرجعية آية الله العظمى المجاهد الإمام الخميني رحمه الله التي خاضت كفاحاً مريراً وجهاداً متواصلًا من أجل إقامة حكومة الفقيه الإسلامي العادل، وقادت دفعة هذه الحكومة المباركة بعد قيامها، وأثبتت للعالم كله عظمة الإسلام وقدرته على توحيد الأمة وتفجير طاقاتها وإثراء قدراتها، لا على صعيد مواجهة الطاغوت المتفرعن بكل وسائل القدرة المادية والهيمنة الاستكبارية وحسب، بل على صعيد الأمة ذاتها في إثبات هويتها الرسالية الواحدة وقدرتها على الصمود والبناء، وطرح النموذج الحيوي الرائد للأمم الإنسانية المعاصرة، كما أنه عاش في كنف التجديد العلمي والطرح الرسالي الهادف للإسلام بأفقه العالمي والمعاصر من خلال مرجعية الشهيد السعيد آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر رحمه الله، بالإضافة إلى التجربة التي عاشها في قضية الوحدة من خلال الأوضاع السياسية والاجتماعية في الساحات الإسلامية، وخصوصاً الساحة العراقية، ومحاولات الاستعمار وبعض الحكومات العميلة التي حكمت وسيطرة على العراق وشعبه على أساس سياسة «فرق تسد»، والتركيبية المذهبية في بلده العراق، وقدرة المسلمين في مثل هذا البلد الإسلامي الأصيل على التعايش والتكافل الإسلامي فيما بينهم.

كل ذلك أثمر أفاقاً واسعاً في قلمه وترابطاً موضوعياً في رؤاه نجدها واضحة في مضامين مفردات هذه الدراسة البكر، التي بدأت بتمهيد عن الوحدة الإسلامية من منظور حضاري، كاشفاً فيه عن أهميتها، ومستعرضاً لمستلزمات الموقف الإسلامي في مواجهة التحديات المعاصرة، وكيفية معالجتها، وأساليب تطوير وتدعيم الحالة الإسلامية في هذه المواجهة،

والضرورة الواقعية والحضارية لقيام الوحدة الإسلامية.

ثم يؤسس هذه الدراسة على أسس من الثقلين المباركين مبتدئاً بالمنظور القرآني للوحدة، الذي تناول في آياته الكريمة ظاهرة الوحدة والاختلاف في التاريخ الإنساني، وعلاج أسباب الانحراف عن الدين الحق فيها، ويربط ذلك منطقياً بأسس الوحدة في المجتمع الإسلامي عقائدياً وأخلاقياً، مستوعباً فيها الوسائل الشرعية من القرآن الكريم والسنة الشريفة، لتحقق هذه الوحدة، مشيراً فيها إلى الثمرات والفوائد التي يكشف عنها تاريخ أهل البيت عليهم السلام باعتبارهم رواد هذه الوحدة والقادة إليها.

ثم يسبر غور التاريخ المشرق لأهل البيت عليهم السلام وهم يخوضون غمار مسيرة الوحدة الإسلامية في الأمة في مختلف المراحل والأدوار، مقررراً فيها المباني التي أسسوا عليها منهجهم العملي في إرساء هذه الوحدة المباركة، مستنبطاً منها نظرية متميزة لأهل البيت عليهم السلام في الوحدة الإسلامية، والتي كانت رائدة للمسلمين في مسيرتهم الإسلامية عبر التاريخ، ولم يهمل البعد النقدي من خلال المقارنة بين نظريتهم عليهم السلام والنظريات الأخرى، التي تعاطاها البعض هنا أو هناك.

ثم يخلص سماحته إلى نتيجة علمية قائمة على أسس الثقلين الكريمين، مدعومة بالواقع التاريخي الرائد لأهل البيت عليهم السلام في أسس ومنهج التقريب بين المذاهب الإسلامية في مرحلتنا المعاصرة.

والمعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام إذ تقدم هذا السفر الجليل إلى القراء الكرام، تعدهم بأنها ستواصل طرح المزيد من هذه الدراسات البناءة، مشاركة منها في التعريف بمعالم مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وتقديم أطروحتهم المثلى لقيادة المسلمين نحو العدل والقسط، وإنقاذ

البشرية من الظلم والجور، وإعلاء كلمة الله في الأرض : ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾. صدق الله العلي العظيم والحمد لله رب العالمين^(١).

(١٦)

الشباب أمل المستقبل

المشتاقون للمعرفة، والناشدون للحقيقة - دوماً - وراء المصدر النافع، والقدوة الصالحة، يأخذون من نيرها العذب شراباً سائغاً يروي فكرهم ويهذب سيرتهم، استناداً الى مبدأ (الحكمة ضالة المؤمن)، واستفادة لملء الوقت بالعلم والفكر الوهاج.

ومن تلکم: شريحة الشباب الواعي - فهم عماد الحاضر، وأمل المستقبل - وقد التفت حول قائد مسيرتها، آية الله المجاهد السيد محمد باقر الحكيم لتنزود من نصائحه، وتتمثل بوصاياه.

وقد أجاب سماحته (برعايته الأبوية) لذلك، وتفضل ببعض ما أجاد يراع قلمه الشريف، وأرسلها الى المشاركين في (المخيم الشقافي الثاني)، الذي عقد في مدينة دماوند عام ١٤١٦ هـ.

(١) مقدمة كتاب: الوحدة الإسلامية من منظور الثقلين: ٧ - ١٠.

(١٧)

الشعب العراقي وملحمة كربلاء

عُرف العراقيون بولائهم لأهل البيت عليهم السلام منذ بزوغ الإسلام على ربوع بلادهم، وابتلو بلاءً حسناً في انتمائهم لخطهم عليهم السلام. وعندما وقعت ملحمة كربلاء وهول مصيبتها؛ فقد أثّرت حول موقف العراقيين تساؤلات، ووجهت نحوهم انتقادات بعدم نصرتهم للإمام الحسين عليه السلام، ومدى تفاعلهم مع وقعة الطف.

وظلت هذه الأسئلة تنتظر الإجابة الصحيحة على مرور الزمن.

وفي هذا الكتاب يلمس القارئ العزيز محاولة قائد المسيرة الحسينية في العراق، والمفكر الإسلامي الكبير سماحة آية الله السيد محمد باقر الحكيم عليه السلام، في كشف النقاب بتحليل تاريخي ودراسة معمقة، مجيباً عن بعض الأسئلة المثارة على العراقيين ورفع الإشكالات، مسلطاً الأضواء على دورهم وموقفهم البطولي في السابق والحاضر، لنصرة الحق ومناصرة الإسلام، موضعاً اتخاذهم ملحمة كربلاء معلماً يسيرون على خطاه.

وهو مقتطفات من محاضرات سماحته ألقاها في محرم الحرام عام

١٤١٩هـ حول: (الشعب العراقي وملحمة كربلاء).

(١٨)

أهمية اعادة كتابة التاريخ

قدمت التجربة التاريخية الطويلة في تدوين الأحداث والوقائع في حياتنا الإسلامية نماذج كثيرة من التزوير والتجني على الواقع. وفي تاريخنا المعاصر لا نعدم أن نجد هناك من كتب التاريخ خدمة لأهداف محددة مسبقة تضعها عادة أجهزة السلطة وخصوصاً في العراق حين تصدى النظام الصدامي العفلقى لاعادة كتابة التاريخ، فجاءت الكتابات والدراسات التي أعدت لهذا الغرض مليئة بالتشويه والتحريف المعتمد أو الحذف حتى لأحداث معاصرة مازال شهودها يعيشون بين ظهرائنا. من هنا كان الاهتمام بتدوين تاريخ الأحداث المعاصرة تدويناً نزيهاً وسليماً يمثل واحدة من ركائز منهج «مركز دراسات تاريخ العراق الحديث» في تناوله للأحداث التاريخية وعلى هذا الصعيد استضاف «مركز دراسات تاريخ العراق الحديث» في شهر رمضان المبارك عام ١٤١٨ هـ آية الله السيد محمد باقر الحكيم في ندوة عن اعادة كتابة التاريخ. وكانت الحصيلة هذا الكتاب.

(١٩ و ٢٠)

حوارات (١ و ٢)

مجموعة منتخبة^(١) من حوارات فكرية وسياسية أجريت على فترات متباعدة أو متقاربة مع سماحة آية الله السيد محمد باقر الحكيم^{رحمته}، تناولت العديد من القضايا المعاصرة ذات الأهمية الخاصة سواء على الصعيد الفكر الإسلامي أو التحديات التي يواجهها والحلول التي يضعها تجاه تلك التحديات، أو على الصعيد السياسي ضمن مساحة محددة بوجه خاص وهي مسألة العراق وما تتفاعل فيه من أحداث سياسية خطيرة. ومع أن أغلب هذه الحوارات قد نشرت في وقت سابق في منابر اعلاميه عربية متعددة، إلا أن جمعها في كتاب واحد سيجعلها أكثر قدرة على تكوين صورة واضحة عن الطريقة التي يتناول من خلالها سماحة السيد محمد باقر الحكيم الأمور في الشأن الفكري الإسلامي وفي الشأن السياسي العراقي أيضاً.

ومن هنا جاءت فكرة هذا الكتاب، الذي سيساهم في اعطاء الأمة خطأً فكرياً وسياسياً واضحاً وهي تواجه أشرس هجمة تغريبية يحملها دعاة التغريب وهي هجمة تستهدف مسخ هوية الأمة وتشويه عقيدتها.

(١) هناك مئات الحوارات والمقالات الفكرية والصحفية التي أجريت مع سماحة آية الله السيد الحكيم، وقد اختير هذا العدد للنشر لأنه يمتاز بأنه قد كتب بيد سماحته .

(٢١)

القضية الكردية من وجهة نظر إسلامية

كانت القضية الكردية في العراق ولا زالت منذ أن تشكلت الدولة العراقية الحديثة في أواخر الربع الأول من القرن العشرين ولحد الآن من القضايا المهمة على صعيد الحياة السياسية في العراق، وقد شهدت هذه القضية طيلة الفترة السابقة أنماطاً متعددة في التعامل السلطوي من قبل الحكومة المركزية في بغداد، إلا أن السمة التي شكّلت ظاهرة واضحة في هذا التعامل هي ظاهرة العنف التي وصلت في أغلب الأحيان إلى القتال والتدمير في المناطق الكردية.

وقد كان لابتعاد الأنظمة الحاكمة في العراق عن تبني الحل الاحكامي للقضية الكردية التي هي جزء من مشكلة القوميات في البلدان الإسلامية، الأثر المباشر على طغيان العنف في مواجهة هذه المشكلة، ففي الوقت الذي يدعو فيه الإسلام ومن خلال منهج متكامل إلى التعايش السلمي بين القوميات ضمن الدولة الإسلامية الواحدة والدعوة إلى الاحترام المتبادل بين القوميات المختلفة، كانت أنظمة الحكم في العراق تتبنى نظرية الفصل القومي في ما يدخل ضمن الظاهرة العنصرية التعصبية البعيدة عن روح الإسلام.

وعلى الرغم من أن المرجعية الدينية في النجف الأشرف لم تكن تمارس من الناحية الفعلية الحكم في العراق، إلا أنها تحظى بتأييد شعبي كبير، وهذا ما حصل لمرجعيه الإمام الحكيم عليه السلام على طول أيام مرجعيته للأكثرية الشيعية العربية في العراق وفي بقية العالم الإسلامي، وكانت المرجعية تنظر

الى المسألة الكردية كأية قضية إسلامية وإنسانية، ولذلك فقد أفتى الإمام الحكيم في أواسط الستينات بحرمة قتال الأكراد، في الوقت الذي كان فيه عبدالسلام عارف قد استحصل فتوى من بعض وعاظ السلاطين^(١). بوجوب مقاتلة الأكراد؛ وهذا البحث الذي كتبه السيد محمد باقر الحكيم يتناول هذه القضية على الصعيدين الإسلامي والسياسي معاً عسى أن يضيء الدرب للسائرين.

(٢٢)

الصراع الحضاري والقضية الفلسطينية

كانت القضية الفلسطينية منذ أواسط هذا القرن ولا زالت تحتل صدارة الأحداث على الصعيد العالمي والأقليمي... وقد شهدت هذه القضية منذ عام النكبة في ١٩٤٨ م ولحد يومنا هذا أنماطاً متعددة من المعالجات والنظريات تناولت أساليب وأسس حل المشكلة الفلسطينية... وكان من الواضح طيلة هذه الفترة أنّ هناك سعي حثيث بذلته الأنظمة العربية من أجل إخراج القضية من إطارها الإسلامي.. وتصويرها على أساس أنها قضية الصراع بين العرب والصهاينة.. فخرست بذلك هذه القضية قوة إسلامية لا يستهان بها. ولقد كان هذا الأمر من الأخطاء الكبيرة التي وقعت فيها الأنظمة العربية في فهمها لطبيعة الصراع.. وهذا ما أدركته المرجعية الدينية الشيعية في النجف الأشرف فوقفت تجاه ذلك التيار موقف الرفض.. مذكرة الأنظمة دائماً بأنّ قضية فلسطين هي قضية كل المسلمين ويجب التعامل معها على هذا الأساس من

(١) عقد المؤتمر في بغداد ١٩٦٤م، وحضره علماء من أهل السنة، ومن جملتهم شيخ الأزهر.

أجل الاستفادة من الطاقات الإسلامية في هذا الصراع.

ولقد ذكّرت المرجعية الدينية المتمثلة بالإمام الحكيم عليه السلام عام ١٩٦٧م حينما انعقد المؤتمر الإسلامي في الأردن وذلك بعد نكسة حزيران بهذا الأمر حينما أرسل الإمام الحكيم رسالة الى ذلك المؤتمر حملها اثنان من أبناءه أحدهما رئيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق... وقد تضمنت الرسالة دعوة الأنظمة العربية الى التعامل مع القضية الفلسطينية على أساس أنها قضية المسلمين.

هذا البحث المختصر عن القضية الفلسطينية كتبه آية الله السيد محمد باقر الحكيم في مؤتمر نصره القضية الفلسطينية الذي عقد في طهران أواخر عام ١٩٩١م. إنه خبير عاش تطورات هذه القضية منذ أكثر من ثلاثين عاماً وقد استهدف بالدرجة الأولى بيان طبيعة الصراع الحضاري الذي يخوضه المسلمون ضد الإستكبار العالمي ثم الإشارة بشكل عام الى الأسس والمبادئ التي تحكم هذا الصراع.

ويقدم السيد الحكيم في هذا البحث مشروعاً لتشكيل فيالق التحرير وهي فيالق يفترض أن تتشكل من خلال تعبئة إسلامية عامة لتقوم بعملية انقاذ أرض فلسطين المغتصبة، كما يستعرض سماحته وبشكل موجز موقف نظام صدام الخياني من القضية الفلسطينية والآثار المدمرة التي ألحقها بالمسلمين من خلال غزوه للكويت وما استتبع ذلك من نتائج وخيمة لازالت تلقي بآثارها على العالمين العربي والإسلامي.

إن البحث على الرغم من اختصاره إلا أنه يلقي الضوء وبشكل مركز على أهم الأسس والمبادئ والأساليب الصحيحة والتي يجب أن تسود التعامل مع القضية الفلسطينية.

(٢٣)

الاخوة الايمانية من منظور الثقلين

مجموعة من المحاضرات الأخلاقية المبسطة، أُلقيت على جماعة من الأخوة المؤمنين في العشر الأوائل من شهر رمضان المبارك، بين صلاتي الظهر والعصر، للإستذكار والتذكير في موضوع هام، كان يشعر بالحاجة الماسة الى التذكير به، وهو «علاقة الإخوة الإيمانية»، وقد استفاده من الآيات الكريمة والروايات الشريفة المروية عن النبي ﷺ وأهل بيته الكرام ﷺ .

وقد قام بمراجعتها لتهديبها في لغتها وسبكها بالمقدار الذي لا يخرجها عن أسلوبها البياني.

(٢٤)

الإمام الحكيم (السيرة الذاتية - الجانب العلمي - المرجعية الدينية -**الحوزة العلمية)**

الحديث عن العظماء؛ يستوجب التوقف والتأني لأنه سيصطدم المحدّث بهالة عملاقة لا يدري كيف يصفُ وبماذا يخوض وبأَي شيء يغوص.

ولئلا تذهب أعمالهم من حافظّة التاريخ، ولكي تتوارثها الأجيال لتقتدي بقادتها؛ صار الحديث عنهم ضرورياً، وأصبحت ترجمتهم حتمية تاريخية كأمانة يتحمّلها المعاصرون ليوصلوها الى الأحفاد.

ومن باب (ما لا يدرك كلّه لا يترك كلّه)، جاء حديث سماحة آية الله المجاهد السيد محمد باقر الحكيم ﷺ عن السيرة الذاتية، والمرجعية الدينية، والبعد العلمي لوالده العظيم الإمام الحكيم ﷺ، الذي عاش - عن قرب - سيرته

الخاصة، وخاض معترك جهاده السياسي، وقاد منهجه العلمي، وتفاعل مع حركته الإصلاحية للأمة التي شملت جميع أبوابها. وقد ترك الحديث عن: جهاده السياسي الى فرصة أخرى وبصورة مستقلة.

وهذا الكتاب: أضحى ترجمة عن حياة الإمام الحكيم رحمه الله، لأنه حديث المعاشة والمشاهدة؛ والتجربة. وحديث عالم شاهد يدون عن عالم شهد له العالم.

(٢٥)

مرجعية الإمام الحكيم رحمه الله نظرة تحليلية شاملة

لقد تميزت مدرسة أهل البيت عليهم السلام عن سائر المدارس؛ بوجود المؤسسة المرجعية التي يكون المرجع على رأس الهرم فيها. وقد أنتجت هذه المؤسسة على مر التاريخ نماذج مشرقة من المراجع والمفكرين وأساطين العلم الذين كان لهم الدور الرئيس في حفظ المذهب والدفاع عنه ورعاية شؤون المسلمين في المجالات المختلفة.

ومن بين هؤلاء الأفاضل تبرز شخصية الفقيه الراحل الإمام الحكيم رحمه الله كعلم بارز ترك بصماته الواضحة على المراحل التي تلت مرجعيته.

لقد تميزت مرجعية الإمام الحكيم رحمه الله بشكل خاص؛ بأنها جاءت بعد حربين عالميتين، خلفتا جملة من الآثار على المجتمع الإسلامي بشكل عام، وشيعة أهل البيت على وجه الخصوص، وقد عمل الإمام الحكيم رحمه الله على راب الصدع، وإصلاح الخلل الذي أصاب المجتمع نتيجة لهاتين الحربين، وعمل جاهداً على الأخذ بناصية الأمة نحو وعي مسؤولياتها وممارسة دورها اللائق

بها.

وقد بدأ سماحة آية الله المجاهد السيد محمد باقر الحكيم رحمه الله حياته المباركة في أحضان هذه المرجعية الرائدة، وواكب التفاصيل الدقيقة التي أحاطت بها منذ ظهورها وحتى رحيل الإمام الحكيم رحمه الله. لقد عاصرها وعاشها معايشة المتفهم لها، المعني بشؤونها الملم بتفاصيلها، الواعي لحركتها وأهدافها، فكان بحق تاريخاً حياً متحركاً بما لم يحط به غيره من دقائقها.

وقد تحدث سماحته في أكثر من مناسبة عن الدور التاريخي لمرجعية الإمام الحكيم رحمه الله وكتب عنها بعض الكتب. لذا فقد ارتأت مؤسسة دار الحكمة أن تقدم للأمة صفحة لا تستغني عنها، ولا ينبغي تجاهلها، لأن الأمم إنما تخلد بعظماؤها، وتسمو بقادتها الأفاضل. ومن المعروف أن السنوات العشرين التي أقيمت فيها هذه الخطب والأحاديث كانت مفعمة بالأحداث، مليئة بالتغيرات؛ وبالتالي فإن هذه الظروف تُلقى بظلالها على الحديث.

كما إن سماحته باعتباره معنياً بالأحداث المتلاحقة والتطورات المثيرة، ورائداً فيها، ومسؤولاً عنها مسؤولية مباشرة، فلا شك أن يتناول ضمن الخطاب الواحد مجموعة من أحداث الساعة، ويُسبغها بحثاً وتحليلاً، ثم يبين الموقف المطلوب إزاءها.

وقد رتبت وفق تسلسلها الزمني حفظاً للأمانة التاريخية أولاً، ولتزويد القارئ بصورة جلية لمراحل تطور العمل السياسي والجهادي الذي صاحب هذه الخطب والأحاديث.

الفهرس

- كلمة المجمع ٥
 الإمام الخامنئي يدين عملية تفجير موكب آية الله الشهيد السيد محمد باقر
 الحكيم ﷺ ٨
 بيان المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية حول استشهاد آية الله
 السيد محمد باقر الحكيم ١١

الفصل الأول

شهيد المحراب في سطور

الفصل الثاني

آل الحكيم

- ١- النسب المشرق ٢٥
 ٢- بيت العلم والفقاهة ٣٠
 ٣- أسرة الكفاح والجهاد ٣١
 أسباب اعلان الجهاد ٣٥
 معالم الجهاد السياسي للسيد محسن الحكيم ٣٩
 مواقف جهادية أخرى ٤٤
 ٤- بيت المرجعية ٤٧
 رؤية الإمام الحكيم للمرجعية ٥١

- أولاً: المرجع وجهازه ٥٢
- معالم في الموقع القيادي للمرجعية ٥٤
- ثانياً: الحوزة العلمية ٥٨
- الرؤية العامة عند الإمام الحكيم للحوزة العلمية ٦٠
- ١- الحوزة محور العمل الثقافي والسياسي ٦٠
- ٢- اسلامية الحوزة ٦٢
- ٣- وضع أسس الاستقرار والثبات ٦٥
- ثالثاً: الأمة ٦٧
- بناء العلاقات مع الأمة ٦٩
- إحياء الشعائر الإسلامية ٧١
- ايجاد المؤسسات العامة ٧٣
- الموارد المالية المنظمة ٧٤
- ثقافة الجهاد في سبيل الله ٧٧
- ٥- آل الشهادة في سبيل الله ٨١
- الفقهاء حصون الإسلام ٨١
- المؤتمر الشعبي الإسلامي ٨٤
- الشهداء في سطور ٨٩
- أ- حجة الاسلام والمسلمين الشهيد السيد محمد مهدي الحكيم عليه السلام ٨٩
- ب- الشهداء الستة الذين استشهدوا في ٧ شعبان ٩٠
- ١- آية الله الشهيد السيد عبدالصاحب نجل الإمام الحكيم عليه السلام ٩٠
- ٢- حجة الإسلام والمسلمين الشهيد السيد علاء الدين ٩١
- ٣- حجة الإسلام والمسلمين المجاهد الشهيد السيد محمد حسين ٩١
- ٤- حجة الإسلام والمسلمين الشهيد السيد كمال الدين ٩٢

- ٥- حجة الإسلام والمسلمين العلامة الشهيد السيد عبدالوهاب ٩٢
- ٦- الأستاذ الفاضل الشهيد السيد أحمد ٩٢
- ج- الشهداء العشرة الذين استشهدوا في رجب (١٤٠٥ هـ) ٩٣
- ١- آية الله الشهيد السيد مجيد الحكيم ٩٣
- ٢- حجة الإسلام الدكتور الشهيد السيد عبدالهادي ٩٣
- ٣- حجة الإسلام والمسلمين الشهيد السيد محمد رضا ٩٣
- ٤- الأستاذ الفاضل الشهيد السيد محمد ٩٤
- ٥- حجة الإسلام والمسلمين الشهيد السيد عبدالصاحب ٩٤
- ٦- حجة الإسلام الشهيد السيد حسن ٩٤
- ٧- الفاضل الشهيد السيد حسين ٩٤
- ٨- الفاضل الشهيد السيد ضياء الدين ٩٥
- ٩- الفاضل الشهيد السيد بهاء الدين ٩٥
- ١٠- الفاضل الشهيد السيد محمد علي ٩٥
- د- شهيدان يلتحقان بالركب ٩٥

الفصل الثالث

النشأة العلمية والأخلاقية

- ١- النشأة والتربية الأخلاقية ٩٩
- تربية الأولاد والأبناء ١٠٠
- معالم التربية عند الإمام الحكيم ١٠٢
- منهج التربية ١٠٧
- ٢- النشأة العلمية ١١٣

الفصل الرابع

النشاط العلمي والعطاء الفكري

- ١- التدريس الحوزوي..... ١٢١
- ٢- التدريس الجامعي..... ١٢٢
- ٣- التأليف والدراسات الثقافية..... ١٢٥
- الف - القرآن والتفسير..... ١٢٥
- ب - أهل البيت: والسيرة..... ١٢٧
- ج - ثقافة اسلامية عامة..... ١٢٧
- د - في السياسة والحركة الإسلامية..... ١٢٨
- هـ: الفقه الإسلامي..... ١٣٠
- الأمن الاجتماعي في الإسلام..... ١٣١
- جرائم أمن الجماعة..... ١٣١
- تمهيد:..... ١٣١
- الخط الأول..... ١٣٥
- الفساد في الأرض في القرآن الكريم..... ١٤٤
- علاقة الإفساد في الأرض بجريمة المحاربة:..... ١٤٦
- المحاربة في السنة الشريفة..... ١٤٩
- نصوص المحاربة..... ١٥٠
- مصطلح (المحارب) في النصوص..... ١٥٣
- تشخيص موضوع الحكم في السنة..... ١٥٥
- مصاديق المحارب في السنة..... ١٥٦
- تقسيم النصوص إلى طوائف..... ١٥٧
- تشخيص الموضوع في ضوء الروايات..... ١٥٨

تشخيص الموضوع في ضوء المقارنة بين القرآن والسنة	١٦٢
خلاصة المطاف	١٦٤

الفصل الخامس

ملاحح من شخصيته وسيرته

١- منهجه العام	١٦٧
٢- منهجه اليومي	١٦٩
٣- منهجه في العمل	١٧٢
٤- العمل المؤسساتي	١٧٧
٥- سيرته في التحرك الاجتماعي	١٧٨
مصلحة الإسلام أولاً	١٨١
الدفاع عن الحق	١٨٢
الصبر والمثابرة والاستقامة	١٨٣

الفصل السادس

النشاط الاجتماعي والسياسي

نشاطه ﷺ في عصر مرجعية الإمام الحكيم ﷺ

حركته السيامية	١٩٢
نشاطه بعد مرجعية الإمام الحكيم ﷺ	٢٠٠
تشخيص دقيق للمرحلة بعد وفاة الإمام الحكيم ﷺ	٢٠٠
اعتقالاته	٢٠١
اعتقاله الأول	٢٠٢
اعتقاله الثاني	٢٠٣

٢٠٥	حركته الجهادية خارج العراق
٢١٢	محاولات اغتياله
٢١٣	أ - محاولات اغتياله داخل العراق:
٢١٤	ب - خارج العراق

الفصل السابع

المواقف والإنجازات

٢٢٥	١ - موقفه من الولاية والجمهورية الإسلامية
٢٢٩	٢ - دوره في تأسيس المجلس الاعلى للثورة الاسلامية في العراق وذرعه العسكري
٢٢٩	فيلق بدر
٢٣٣	٣ - موقفه من انتفاضة (١٥) من شعبان عام (١٤١١ هـ)
٢٣٥	٤ - دوره في تأسيس وتطوير المقاومة الإسلامية
٢٣٦	٥ - تأثيره في حركة التوابين
٢٣٨	٦ - المؤسسات الثقافية
٢٣٩	٧ - آراء ومبادئ

الفصل الثامن

قيادة المعارضة العراقية

٢٤٥	باتجاه الأهداف الرسالية
٢٤٧	نداءات وبيانات
٢٥٧	أولاً - الحرب وتداعياتها
٢٥٨	ثانياً - أبعاد التغيير

٢٥٩	ثالثاً - الخيارات المطروحة
٢٦٠	رابعاً - مساعينا لتجسيد هذا الخيار
٢٦١	خامساً - الأمة ودورها في التغيير والمستقبل
٢٦٢	سادساً - واجبات الأمة في هذه المرحلة
٢٦٤	سابعاً - الأهداف العامة
٢٦٤	الحرية
٢٦٦	العدالة

الفصل التاسع

آية الله السيد محمد باقر الحكيم بعد انهيار النظام العقلي

٢٩١	نص اللقاء مع تلفزيون الجمهورية الإسلامية. حول زيارة الاربعين
٣٠٤	مقابلة اجرتها معه قناة العربية الفضائية:
٣٠٥	المؤتمر الصحفي الذي عقده سماحته في البصرة
٣٠٧	وصوله محافظة النجف الاشرف
٣٠٩	آخر خطبتي الجمعة
٣١٩	استشهاده

الفصل العاشر

جولة متأنية في تراثه المطبوع

٣٢٤	(١) المجتمع الإنساني في القرآن الكريم
٣٣٦	(٢) علوم القرآن
٣٤١	(٣) الهدف من نزول القرآن
٣٤٥	(٤) - تفسير سورة الحمد

- (٥) القصص القرآني ٣٥٢
- (٦) المستشرقون وشبهاتهم حول القرآن ٣٥٨
- (٧) الجهاد ٣٥٩
- (٨) نظرية الإمامة (الأهداف / الأدوار / المواقف / الأدلة) ٣٥٩
- (٩) دور أهل البيت عليهم السلام في بناء الجماعة الصالحة ج ١ و ٢ ٣٦٦
- (١٠) ثورة الحسين (النظرية - الموقف - النتائج) ٣٨٢
- (١١) دور المرأة في النهضة الحسينية ٣٨٣
- (١٢) حقوق الإنسان من وجهة نظر إسلامية ٣٨٤
- (١٣) الحكم الإسلامي بين النظرية والتطبيق ٣٨٤
- (١٤) العلاقة بين القيادة والأمة من خلال رؤية نهج البلاغة ٣٨٦
- (١٥) الوحدة الإسلامية من منظور الثقلين ٣٨٧
- (١٦) الشباب أمل المستقبل ٣٩١
- (١٧) الشعب العراقي وملحمة كربلاء ٣٩٢
- (١٨) أهمية إعادة كتابة التاريخ ٣٩٣
- (١٩ و ٢٠) حوارات (١ و ٢) ٣٩٤
- (٢١) القضية الكردية من وجهة نظر إسلامية ٣٩٥
- (٢٢) الصراع الحضاري والقضية الفلسطينية ٣٩٦
- (٢٣) الاخوة الايمانية من منظور الثقلين ٣٩٨
- (٢٤) الإمام الحكيم (السيرة الذاتية - الجانب العلمي - المرجعية الدينية -
الحوزة العلمية) ٣٩٨
- (٢٥) مرجعية الإمام الحكيم عليه السلام نظرة تحليلية شاملة ٣٩٩